تاريخ

الاسرائيليين

لشاهين بك مكاريوس

مطبعة ا[illegible] بمصر

سنة ١٩٠٩

مقدّمة

اصل اليهود ونسبهم

الفصل الاول

تمهيد

يذهب اكثر العلماء الى ان البشر ينقسمون الى اربعة فروع يمكن ردّ جميع طوائفهم واجيالهم اليها واعتمادهم في هذا التقسيم على الاختلافات الكائنة في الاوصاف الادبية والعقلية والبدنية وهذه الفروع الاربعة هي القوقاسي والمنغوليّ والزنجيّ والملقي

اما القوقاسي او الابيض فاسمهُ مشتق من جبال القوقاس الواقعة بين البحر الاسود وبحر قزبين والموصلة اوربا باسيا وهو الفرع المنتشر في اوربا واميركا والجزء الغربي من آسيا والقسم الشمالي من افريقيا وبعض أُستراليا وسنعود الى الكلام عليهِ

والمنغولي او الاصفر يشمل سكان الصين واليابان وبورما وسيام وسهول سيبيريا ومنهُ بعض الشعوب المنتشرة في شرق

آسيا وجنوبها الشرقي ومنهم الاتراك والمجر واهل فنلاندا ولبلاندا والاسكيمو في اميركا

والزنجي ومواطنهُ افريقيا واوصافهُ معروفة

اما الملقي فيشمل سكان شبه جزيرة ملقًا وما جاورها من الجزر واهل مدغسكر ونيوزيلاندا وهنود اميركا الحمر

ولا يخفى ان المعتبر من تاريخ البشر انما هو تاريخ الفرع القوقاسي اذ لم يكن لسائر الفروع بعض ما كان لهُ من التأْثير في العمران ولأن المدنيَّة مديونة لهُ لا لغيرهِ من الفروع الاخرى في ما صارت اليهِ ويندرج تحتهُ طوائف ثلاث كبيرة نأْتي على ذكرها هنا وهي

الآريون او الهنود الاوربيون

الساميُّون

الحاميُّون

اما الآريون فام اوربا القديمة والحديثة (الاَّ من ذكرنا بين المنغول) كاليونان واللاتين والتيوتون والجرمان بما فيهم الانكليز والسلتيون والسلاف وثلاثة من امم آسيا اعني الهنود والفرس والافغان

والساميُّون يشتملون على العبرانيين او اليهود والفينيقيين والاشوريين والعرب والبابليين والكلدانيين

اما الحاميون فلم يشتهر منهم في التاريخ سوى المصريين القدماء

ولا يخفى ان للساميين منزلة كبيرة في تاريخ العمران ومقام الهيئة الاجتماعية الحاضر فمنهم اشتقت الاديان الثلاثة العظمى بين المتمدنين اعني اليهودية والنصرانية والاسلامية فهم دعاتها والمنادون بها وعنهم اقتبسها غيرهم من الطوائف الآرية وما شاكلها

فاليهود اذًا قوقاسيون ساميون يرجع نسبهم الى سام بن نوح وقد كانوا ايام انبساط ظلهم في فلسطين يحافظون على انسابهم ويدونونها في كتب تحفظ لهذه الغاية متبعين في تدوينها الاسباط فالعشائر فالبطون فالبيوت فلما تفرقوا ايدي سبا فقدت هذه الكتب وضاعت انسابهم ومع ذلك فقد حفظوا كيانهم حيثما حلوا ولم يكثروا من الاختلاط بالامم الاجنبية حولهم حتى لقد قيل ان الذين استوطنوا اوربا منهم منذ قرون كثيرة لا يزال لفظهم للغات الاوربية يمتاز عن لفظ الاوربيين لها حتى يومنا هذا[1]

ولا يخفى ان معظم تاريخ اليهود حتى خراب اورشليم مأخوذ عن التوراة فهي خزانة تاريخهم وحكاية ما حلَّ بهم من العبودية والظلم وما اصابوهُ من العزّ والفوز والسؤدد كما انها كتاب وحيهم ومجموعة معتقدهم وشرائعهم الدينية والادبية والمدنية فالناظر في

(١) المقتطف مجلد ٢٧ صفحة ٣٤

تاريخهم لا بدَّ لهُ ان يعتمد التوراة لاستخلاص اخبارهم ثم يجد التمام في ما بقي من آثار الاشوريين والبابليين وغيرهم من الامم التي عاصرتهم وكان لها معهم وقائع واتصال وتجارة هذه مصادر تاريخهم واخبارهم الى خراب اورشليم اما بعد ذلك فهي متفرقة في تواريخ الامم التي اقاموا بين ظهرانيها شعباً لا وطن لهُ ولا بلاد وامة لم يبقِ لها الدهر من مزايا الامم سوى آثارها وتذكار الماضي واعتقادها اعتقاداً واحداً اين سارت وايَّان حلَّت

وابو هذه الامة[1] ابرهيم او ابرام والمعروف من امرهِ انهُ وصل

---

(١) يظن بعض كتَّاب الافرنج ان اليهود من العرب ومن هؤلاء دزرائيلي (اللورد بيكنسفلد) كما ترى في روايتهِ تنكرد التي عرَّبها المقتطف فقد جاء فيها ما يشبه هذا القول ولا يخفى ان جد اليهود بعد ابرهيم اسحق ابنهُ وجد العرب اسمعيل ابن ابرهيم واخو اسحق لابيهِ فالقرابة ظاهرة ثم ان بعض قبائل العرب كانوا يهوداً وذلك قبل الاسلام وبعدهُ كما سيجيء في تراجم مشاهير هذه الامة وقد كان ابرهيم اشبه شيء بشيخ قبيلة من العرب كما يتضح من سيرتهِ المدونة في التوراة فقد كان اعتمادهُ في المعيشة على مواشيهِ وقطعانهِ الكثيرة يضرب فيها في طول البلاد وعرضها حيث الكلا والماء ثم ان ما حُفِظ عنهُ من الاخلاق والعادات شبيه بعادات العرب واخلاقهم كاكرام الضيف والانفة والنجدة وشدة البأس والكرم وحفظ الجوار الى غير ذلك من العادات واساليب المعيشة هذا فضلاً عن ان اليهود والعرب من جنس واحد وفرع واحد فقرابتهما بحسب العلم ظاهرة واضحة كما انها مؤكدة بحسب التواريخ الدينية والاخبار المنقولة

من بلاده في ما بين النهرين نحو القرن العشرين او الحادي والعشرين قبل الميلاد وجاءَ الى ارض كنعان الواقعة جنوبي سوريا والمعروفة اليوم باسم فلسطين او الارض المقدسة ولم تأْتِ التوراة على السبب الصريح لمهاجرة ابرهيم ارض آبائهِ وانما يؤْخذ مما جاءَ فيها في مواضع متفرقة انهُ فضَّل ذلك كي يعبد الله عملاً بما أُنزِل عليهِ من الوحي وهذا يطابق ما جاءَ في القرآن من انهُ انما غادر اهلهُ وبلادهُ لانهم كانوا عبدة اصنام وكان يعبد الله فخاصمهم وارتحل عنهم الى حيث يبيت في مأْمنٍ منهم وحيث تتسنى لهُ عبادة الحق دون معارضة او خصامٍ وكانهُ اولئك البيورتان الذين ارتحلوا من انكلترا وذهبوا الى اميركا يطلبون فيها ملجأً لهم يكونون فيهِ بحيث لا يخشون بطش اعدائهم ولا دسائس الذين يريدون بهم شرًّا فيحافظون على عقيدتهم وايمانهم

الفصل الثاني

انتشار اليهود وتاريخهم

آباء اليهود الأوّلون

"ابرهيم بن تارح من نسل سام من سلالة حابر وُلد في اور الكلدانيين وما زال هناك الى ان امرهُ الله قائلاً انطلق من ارضك ومن عشيرتك وبيت ابيك الى الارض التي اريك وانا اجعلك امة كبيرة فقام واخذ ساراي امرأَتهُ وارتحل هو وابوهُ تارح وبعض افراد عائلتهِ من اور يقصدون ارض كنعان فنزلوا في حاران (اسم مكان او مدينة موقعها في الشمال الشرقي مما بين النهرين بين الفرات وخابور ولا تزال معروفة باسمها القديم وموقعها على شاطئ نهر بليك نحو ٥٠ ميلاً من مصبهِ في الفرات ويزعم الدكتور بيك انها حاران الحديثة بجانب بحر العتيبة بقرب دمشق) وما زال ابرهيم ومن معهُ في حاران الى ان مات تارح فمضى حينئذٍ على هجرتهِ الى ارض كنعان فوصل الى شكيم وهي من اقدم مدن فلسطين (هي سوخار

واسمها اليوم نابلس وعدد اهلها ٩٠٠٠ نفس)

وحدث جوع شديد في الارض فاضطرَّ ابرهيم ان ينحدر الى مصر وكان لهُ مع فرعون ملكها وقائع لا موضع لاثباتها هنا ثم عاد الى ارض كنعان وكان لوط ابن اخيهِ معهُ في رحلتهِ هذه فاصاب من غنى عمهِ بسهم وافر ايضاً ثم وقع نزاع بين رعاتهما ادَّى الى انفصالهما فاختار لوط ان يرتحل الى سهل الاردن المخصب حيث كانت سدوم وعمورة وسار ابرهيم الى ارض حبرون (وهي اليوم الخليل) وحدث بعد هذا ان بعض ملوك البلدان الواقعة على الفرات اغاروا على مدن سهل الاردنّ فاخذوا سدوم وأُسر لوط مع اهل بيتهِ فلما بلغ الخبر ابرهيم سلَّح غلمانهُ ثلاث مئة وثماني عشرة نفساً وكبسهم ليلاً هو وعبيدهُ فكسرهم واسترجع لوطاً واملاكهُ ونساءَهُ وجميع الاسرى وكل ما كان لهم وابى ان يأْخذ لنفسهِ شيئاً من الغنيمة جزاءً لاتعابهِ وفيما كان راجعاً من ساحة الحرب التقى بملكي صادق ملك ساليم فاعطاهُ عشرًا من كل شيءٍ من الغنيمة (١)

وكان لابرهيم ولد من جاريتهِ هاجر اسمهُ اسمعيل رزقهُ قبل ابنهِ الآخر اسحق من زوجتهِ سارة وقد جاءَ في التوراة ان اسمعيل

(١) نقلنا ما تقدَّم عن قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج پوست

هذا هو ابو اكثر قبائل البدو والرحَّل في الشرق والعرب ينتسبون اليهِ فالعرب واليهود ابناءُ العم

وعاد ابرهيم فتزوج في اخريات ايامهِ فولد لهُ عدة بنين وبنات ومات وعمرهُ مئة وخمس وسبعون سنة وورثهُ ابنهُ اسحق وهو الجدّ الثاني لليهود

ومن يمعن النظر في سيرة ابرهيم واخلاقهِ وافعالهِ وينظر بينها وبين المشهور عن اليهود اليوم يتضح لهُ شدة ما قاساهُ هذا الشعب من الضيق والاضطهاد والضغط الشديد حتى تبدلت اخلاقهُ عما كان عليهِ اسلافهُ كابرهيم ومن جاءَ بعدهُ ولا عجب في ذلك فثمرة الظلم والاستبداد والضغط واحدة في جميع الشعوب والامم ولا تقتصر على اليهود والتاريخ مشحون بحكايات ما آلت اليهِ احوال الشعوب التي منيت بالظلم والاستعباد قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر واذا صحَّ ان اليهود اخوة العرب ابطال الصحراءِ وصدقنا ما رواهُ المؤَرخون عن بسالتهم التي ابدوها في حروبهم وحصار اورشليم وقمعهم ملوك سوريا من خلفاءِ الاسكندر علمنا ان جزءًا كبيرًا من هذه التهم التي لصقت بهم في العصور المظلمة وظلت آثارها ظاهرة في عصرنا هذا انما منشأُهُ الكره والحقد والتعصب الديني الاعمى وسنعود الى الكلام في هذا الشأن في بابهِ الخاص بهِ

واسحق لفظة عبرانية معناها «يضحك» فلما ماتت والدتهُ تزوج بابنة ابن عمهِ من بين النهرين وجاءَ بها الى ارض كنعان وولد لها منها ابنان توأمان عيسو ويعقوب وتوفي ولهُ من العمر مئة وثمانون سنة

ويعقوب ابنهُ هو جدّ اليهود الثالث ولقبهُ اسرائيل واليهِ ينتسب اليهود فيقولون اسرائيليون وفي ايامهِ انتقلت اسرتهُ الى مصر كما سيأْتي

وتزوج يعقوب من ابنتي خالهِ بعد ان اقام في خدمتهِ اربع عشرة سنة وولد لهُ منهما ومن سريتيهِ احد عشر ابناً وابنة واحدة واحد اولادهِ يوسف الذي نقم عليهِ اخوتهُ فباعوهُ من تجار مصريين وهؤُلاء جاؤُوا بهِ الى مصر فكان في خدمة احد موظفي حكومتها ثم سجن ظلماً وعدواناً لكنهُ عاد فأُطلق سراحهُ ودخل في خدمة فرعون حيث اصبح ثانيهُ في السلطة ولهُ حديث طويل مع اخوتهِ ليس هذا محلُّهُ واخيرًا ارسل فاتى بابيهِ واخوتهِ الى مصر فاقطعهم فرعونها جزءًا من الدلتا فاحتلوهُ واقاموا هناك زماناً طويلاً في عيش رغيد قائمين على رعاية السائمة والزراعة في بقعة من اخصب بقاع الارض لكنَّ الزمان ابى الاَّ معاندتهم فقلب لهم ظهر المجنّ اذ تغيرت الاسرة الحاكمة في مصر وقام بعدها ملوك كرهوا الاسرائيليين فاذلُّوهم واستعبدوهم وسخروهم في بناء المدن والقصور واصرُّوا على قرضهم

فامر فرعون بذبح الذكور من المولودين واستحياء الاناث وفي ذلك العهد وُلِد موسى وتلطفت امهُ في الحيلة حتى نجا من الموت واتخذتهُ ابنة فرعون ابناً لها فربتهُ في قصر ابيها حتى شبَّ فدرس علوم المصريين وحكمتهم وآدابهم حتى حذقها وبرع فيها (١)

(١) جميع ما تقدَّم منقول عن التوراة باختصار وليس في ما اكتشف من الآثار المصرية القديمة ما يشير الى وجود الاسرائيليين في مصر وحكاية استعبادهم للفراعنة وقيامهم على خدمتهم وتسخيرهم في بناء المدن على أنَّ ذلك لا ينفي وقوع هذه الحوادث كما نصت عليهِ التوراة اذ لا يصحّ الجزم في ان الباحثين توفقوا الى اكتشاف جميع الآثار الموجودة ومثلهُ ما حدث للاسرائيليين مع ملوك بابل واشور فقد انكر بعض المؤرخين بعض ما جاء في التوراة في هذا الشأن ولكن الاكتشافات الاثرية في انقاض هاتين المدينتين وخرائبهما ما عتمت ان كشفت الغطاء عن المستور وبينت جليًّا ان المحفوظ من تواريخ هاتين المملكتين في الآجرّ المنقوش يطابق ما جاء في التوراة مطابقة تامة وعليهِ فلا يبعد ان يكتشف في الآثار المصرية ما يجيء مثبتاً لرواية التوراة وعلى كل حال فالمؤرخ مجبر على متابعة ما جاء فيها حتى ينقض بالادلة الاثرية والتاريخية وهذا لم يتسنَّ لحدّ الآن ولا نظنهُ ممكناً

الفصل الثالث

موسى والخروج من مصر

قضى الاسرائيليون في مصر نحو اربع مئة سنة ذاقوا في خلالها حلاوة رغد العيش وصفائهِ وتجرعوا مرارة الذل والاستعباد فبعد ان قبلهم الفراعنة على الرحب والسعة واقطعوهم الاراضي الخصبة لهم ولمواشيهم عادوا فانتقضوا عليهم واستبدوا بهم واقرُّوا على قرضهم من مصر فاتخذوا لذلك جميع الوسائل من مثل تشغيل الرجال بالاشغال الشاقة وقتل الذكور من المولودين فيهم ولا يعلم بالتأْكيد اي الفراعنة بدأَ بظلمهم والجور في معاملتهم وانما يظنُّ كثيرون من علماء الكتاب انهُ آمس (اموسس) الاول وهو اول ملوك السلالة الثامنة عشرة وقال بعضهم بل هو رعمسيس الثاني (الملك الثالث من الاسرة التاسعة عشرة) وهو سيزوستريس اليوناني صاحب الغزوات المشهورة والمباني الفخيمة

ولما شبَّ موسى ورأَى ما يحيق ببني جنسهِ من الارهاق والظلم

وما يقاسونهُ من صنوف العذاب ثارت في صدرهِ النخوة الجنسية وهاجتهُ العصبية الى الانتصار لهم فاخذ يطوف بينهم لعلهُ يرى باباً للفرج ورأَى مرة احد الوكلاء المصريين يضرب اسرائيلياً ضرباً مبرحاً فانتصر للاسرائيلي وقتل المصري ولما شاع الامر وخشي ان ينالهُ عقاب القاتل فرَّ الى ارض مديان وهي في البرّية واقعة عند خليج العقبة الى طور سيناءَ فتزوج فيها بابنة يثرون كاهن المكان واقام هناك اربعين سنة وجاءَ في التوراة ان الله ظهر لهُ في طور سيناءَ وامرهُ بالعودة الى مصر لانقاذ بني اسرائيل واظهر لهُ من العجائب ما اثبت بهِ قدرتهُ واتى اليهِ باخيهِ هرون فعاد الاثنان الى مصر وبذلا جهدهما في اقناع فرعون كي يأْذن للاسرائيليين في الخروج من بلادهِ الى حيث يعبدون الههم فلم يذعن لمطالبهما واخيراً امرهما الله بأَن يضربا مصر بالضربات العشر المشهورة ففعلا حتى اذا ما عيل صبر المصريين اذن فرعون للاسرائيليين في مغادرة بلادهِ فخرجوا منها وفيهم ستمئة الف مقاتل ما عدا النساء والاولاد ولما انفصلوا عن المصريين ندم هؤلاء على ما فرط منهم اذ تركوا عبيدهم يفلتون من ايديهم فتبعوهم حتى ادركوهم على شاطئ البحر الاحمر فخاف الاسرائيليون من المصريين لقرب عهدهم بظلمهم واستبدادهم فشق الله البحر الاحمر وعبروا فيه على اليابسة ولما حاول المصريون اللحاق بهم

عاد البحر فاتصلت امواجهُ وطمت عليهم فاغرقت جيشهم (١)

(١) اختلف الكتّاب والمؤرخون واهل الكتاب في تعيين فرعون الخروج هذا فقال بعضهم انهُ توتمس الثاني وقال غيرهم بل هو منفتاح على ان الحقيقة لا تزال مجهولة لأنّ آثار المصريين القدماء صامتة عن هذه الحادثة فلا ترى لها فيها خبرًا وعليهِ فيصعب تعيين فرعون الخروج كما يصعب تعيين سميهِ الذي شرع يظلم الاسرائيليين وقد وقع في جرائد مصر ومجلاتها منذ سنتين مناقشة في هذا الشأن بعد ان أُشيع انهم اكتشفوا جثة فرعون الخروج او "فرعون موسى" كما دعوهُ فاستفتى بعضهم المقتطف واليك ما قالهُ في الجواب "لا ندري كيف يبحث العلماء عن فرعون موسى بحثًا علميًا وهم لم يجدوا حتى الآن دليلاً واحدًا اثريًا على ان بني اسرائيل كانوا ساكنين في مصر وهذا لا ينفي رواية التوراة ولكنهُ يمنع رجال العلم من البحث عن فروع قضية بحثًا علميًا قبل اثبات القضية نفسها اثباتًا علميًا فعلم الآثار المصرية لم يثبت حتى الآن ان بني اسرائيل كانوا ساكنين في مصر في عهد منفتاح او قبلهُ فكيف يستطيع ان يبحث عن خروجهم من مصر في زمنهِ او زمن غيرهِ" انظر المقتطف مجلد ٢٥ صفحة ١٨٤

وعندنا ان ما قالهُ المقتطف صحيح من وجهيهِ العلمي والاثري وانهُ يستحيل على ابناء الزمان الحاضر ان يختصوا احد الفراعنة دون غيرهِ بما اتفق للاسرائيليين في ايامهِ من الظلم والاستبداد او الخروج من ربقة العبودية حتى يكون لهم في الآثار المصرية شاهد او دليل يرجعون اليهِ . وقد يحدث ان يكتشف هذا الدليل كما انهُ يمكن ان يبقى مخفيًا الى الابد على أنّ ذلك لا ينفي صحة الخبر كما نصت عليهِ التوراة وانما يظل الخبر مفتقرًا الى الشاهد الاثري حتى يصبح حقيقة علمية لا ريب فيها وحتى يتعين الافراد الذين كانت لهم اليد الطولى في تنسيق هذه الحوادث على النمط الذي نصت عليهِ التوراة والاّ فان الكتابيين على اختلاف فرقهم يؤمنون بحكاية التوراة واعظم

ولم تنتهِ علاقات الاسرائيليين بالمصريين عند الخروج فانهُ بعد قيام الملكية فيهم عادت المواصلات بين الفريقين فكان بعضها حبيًّا سلميًّا و بعضها حربيًّا عدائيًّا فمن ذلك ان سليمان بن داود تحالف مع ملك مصر واتخذ ابنتهُ زوجة لهُ ومنها ان المصريين غزوا ارض كنعان فاخضعوها وقتلوا احد ملوك الاسرائيليين ثم عادوا مرة اخرى فاعانوهم على ردّ هجمات البابليين هذا فضلاً عن الروابط التجارية والصناعية التي كانت بين البلادين كما ورد في اخبار ملوك بني اسرائيل فقد كانوا يأْتون بالخيل ونحوها من مصر و يصنعون فيها المركبات ثم ان مقام الاسرائيليين في مصر زمانًا طويلاً كالذي اشرنا اليهِ اثَّر في اخلاقهم وعاداتهم واساليب معيشتهم والظاهر انهم تناولوا الشيءَ الكثير عن المصريين الذين كانوا في اوج مجدهم ومنتهى عزهم وسؤْددهم حتى كانوا ارقى الامم المعروفة في ذلك العصر واشهرها في العلوم والمعارف وقد بدا شيءٌ من هذا التأْثير في الاسرائيليين ايام كانوا في البرية والتيه كما يرى من مراجعة اخبارهم المدونة في سفر الخروج من التوراة

المؤَرخين على اتخاذها دستورًا في حكاية تاريخ اليهود الى ان يبدو ما ينقضها وهذا ما نظنهُ مستحيلاً . نعم ان في بعض آثار المصريين القدماء ما يمكن تأْويلهُ بحيث يجيء مطابقًا لرواية التوراة وان غابت فيهِ الاسماء او اختلفت فمن ذلك ما وجد منقورًا على احد القبور " قد جمعت حبوبًا وانا خليل الله الغلَّة فكنت ساهرًا وقت الزرع وعند ما صار جوع مدة سنين عديدة قد فرقت الحبوب في المدينة في كل الجوع "

الفصل الرابع

بعد الخروج

انتهى بنا الكلام في الفصل السابق الى خروج الاسرائيليين من مصر على الاسلوب المذكور في التوراة وقد كان تاريخهم الى هذا الحدّ قصة اسرة صغيرة اخذت تنمو وتزداد حتى صارت قبيلة كبيرة لا كيان لها ولا حكومة منها ولا شارع او وازع منها ينظر في امورها ويردّ قويها عن ضعيفها متفرقة في ارض مصر عرضة للعبودية والسخرة والاستبداد والاهانة اما بعد الخروج فانهم تألفوا شعباً واحداً وامة واحدة لها قائد من بنيها وجيش يقوم على حمايتها وحاكم يتولى امورها وشؤونها واخذت تبدو فيها صفات الامة المستقلة فانها لم تكد تغادر مصر حتى بدأ الشارع في سنّ النواميس والقوانين والشرائع الدينية والادبية والمدنية كما تكون في الامة المستقلة القائمة بنفسها وعليهِ فتاريخ الاسرائيليين لا يبتدئ حقيقة الاّ بعد الخروج وتاريخهم هذا يستغرق قروناً عديدة اتفق لهم في خلالها كثير من الحوادث العادية من حروب وتقدم وانحطاط واصابهم شيء من

الوقائع الكبيرة التي اتخذناها حدوداً في قسمة تاريخهم الى اقسام ستة يفصل القسم الواحد عن الآخر حادثة خطيرة من حوادث وجودهم

﴾القسم الاول﴿ من الخروج من مصر الى تأسيس مملكة شاول اي من ١٤٩١ — ١٠٩٥ قبل الميلاد الموافقة سنة ٢٤٤٨ الى سنة ٢٨٨٢ عبرية

﴾القسم الثاني﴿ من تأسيس المملكة الى انقسامها الى مملكتي يهوذا واسرائيل من ١٠٩٥ — ٩٧٥ ق · م · الموافقة سنة ٢٨٨٢ الى سنة ٢٩٦٤ عبرية

﴾القسم الثالث﴿ من انقسام المملكتين الى السبي الى بابل اي سنة خراب بيت المقدس الاول من ٩٧٥ — ٥٨٨ ق · م · الموافقة سنة ٢٩٦٤ الى سنة ٣٣٣٨ عبرية

﴾القسم الرابع﴿ من السبي الى بابل الى الفتح الروماني اي سنة بناء بيت المقدس ثانيةً ٥٨٨ — ٦٣ ق · م · الموافقة سنة ٣٣٣٨ الى سنة ٣٤٠٨

﴾القسم الخامس﴿ من الفتح الروماني الى خراب اورشليم اي سنة خراب بيت المقدس الثاني ٦٣ ق · م — ٧٠ بعد الميلاد الموافقة سنة ٣٤٠٨ الى سنة ٣٨٢٨ عبرية

﴾القسم السادس﴿ من خراب اورشليم الى عصرنا الحاضر

اي من حين شقوا عصا الطاعة على الرومان فاتاهم فسبسيان وابنهُ تيطس فاخربا اورشليم ودكَّا معاقلها وحصونها ومزَّقا شمل اليهود كل ممزَّق فتفرقوا في بلاد الله وانتشروا في اطراف الارض

القسم الاول

فلما خرج الاسرائيليون من مصر وعبروا البحر الاحمر ساروا في البرّية الواقعة جنوبي فلسطين نحو اربعين سنة انزل الله في خلالها الشريعة على موسى فبيَّن فيها كيفية عبادتهِ وشرح لهم معاملاتهم واعيادهم ومواسمهم وذبائحهم وتقدماتهم وانواع الجرائم والذنوب والقصاص الذي ينال منْ يقترف هذه الذنوب والجرائم كما ستراهُ مفصلاً في بابهِ واهم ما أُنزل على موسى في طور سيناءَ الوصايا العشر التي يصح اتخاذها بمثابة دستور لعقائدهم وقاعدة لايمانهم وسنأتي على ذكرها في الكلام على ديانتهم

واصابهم في مدة تيههم هذا امور ومحن كثيرة يضيق بنا المقام عن استيفائهما اخصها فناءُ الجيل الذي خرج من مصر الاَّ رجلين فقط وقيامهم على موسى وهرون اخيهِ يطلبون العودة الى مصر واطراحهم عبادة الله والاستعاضة منها بعبادة الاوثان فنزلت بهم الضربات والامراض حتى تابوا ولما صاروا على مقربة من ارض الموعد

توفي موسى وعهد بالقيادة الى يشوع بن نون غلامهِ فدخل هذا بالاسرائيليين الى ارض فلسطين من الجهة الشرقية وحارب الامم المقيمة فيها فغلبهم على ملكهم واستباحهم قتلاً ونهباً وقسم ارضهم بين جزءٍ من شعبهِ ثم عبر الاردنّ وحارب من بقي من شعوب كنعان السبعة فغلبهم ايضاً وهكذا حتى انتشر الاسرائيليون في اكثر الارض واستعبدوا اهلها

ولمَّا مات يشوع تولَّى امورهم قضاة منهم نشأُوا فيهم واشتهروا باعمالهم الحربية و بسالتهم فكانوا يفصلون الخصومات بين الشعب ايام السلم و يتولون الاحكام و يدفعون عنهُ شر الغزاة الذين كانوا يغيرون على البلاد آونة بعد اخرى

و بلغ عدد هؤُلاء القضاة ١٥ اولهم عثنئيل الذي خلَّص الاسرائيليين من ملك آرام النهرين وآخرهم صموئيل الذي كان نبي الله وهو الذي خلصهم من قبضة الفلسطينيين · ومن اشهر هؤُلاء القضاة اهود وشمجر و باراق وجدعون و يفتاح وشمشون الجبار وسيأْتي الكلام على بعضهم في ذكر مشاهير اليهود من الجبابرة وغيرهم وكانت مدة حكم هؤُلاء القضاة بعد موت يشوع ٤٥٠ سنة كانت البلاد فيها اشبه شيءٍ بولايات متحدة في كل ولاية سبط من الاسباط الاثني عشر يحكمهُ كبار العشائر فيهِ وهذه الاسباط جميعاً

مرتبطة برباط واحد اعني بهِ عبادة الاله الواحد والاتحاد معاً في دفع العدوّ المفاجئ او ردّ الغزاة وكانوا يشتركون في الحفلات الدينية الكبرى على انهم كثيرًا ما ارتدوا عن عبادة الله الى عبادة الاصنام وفي التوراة ان ذلك كان سبباً لتسلط الاجانب عليهم فكان لهم من قضاتهم هؤلاء قوّاد يلمون شعثهم ويجمعون شملهم ويسيرون بهم الى الحرب فيطردون الاجانب ويطهّرون البلاد من الارجاس والادناس ولم يكن لهم شيءٌ من امتيازات الملوك ولا ابهتهم فاذا وضعت الحرب اوزارها عادوا الى بيوتهم وعاد الشعب كلٌّ الى مدينتهِ او قريتهِ ومن القضاة من انحصر عملهُ في ردّ غارة او دفع عدوّ ومنهم من تولَّى الحكم طول حياتهِ لحكمة فيهِ وخبرةٍ ميزّتاهُ عن بني عصرهِ فاعترف لهُ الاسرائيليون بالولاية وفرغوا اليهِ في فض مشاكلهم وحسم منازعاتهم فيقضي بينهم بحسب شريعة الله وبحسب ما يوحيهِ اليهِ التقليد والعقل السليم

لكنَّ هذا النمط من الحكومة كاد يؤَدّي الى الفوضى ولا سيما في ايام صموئيل فان ابنيهِ لم يكونا متخلّقين باخلاقهِ فقام الشعب يطلب صموئيل باختيار ملك يضمُّ شتاتهم ويتولَّى امورهم اسوة بالشعوب الاخرى المحيطة بهم فعارضهم صموئيل في بادئِ الامر وافهمهم ان في الملكية استعباداً لهم ولبنيهم من بعدهم وعدَّد لهم

ما للملك من الحقوق والامتيازات التي ترفعهُ عن بني جنسهِ وتجعلهُ في مصفّ آخر فالحُّوا عليهِ بانتقاء ملك رغماً عمَّا ابداهُ لهم من النصح ولا يبعد ان ما شاهدوهُ من ابهة الملك وزخرفهِ في الشعوب المحيطة بهم شوَّقهم الى الاقتداء بهم وتمليك ملك عليهم وظنوا ان في حصر السلطة في يد واحدٍ منهم فوائد للأُمة لا تحرزها اذا ظلَّت تلك السلطة متفرقة بين كثيرين ولا قاعدة لانتقالها من واحد الى آخر كما كان الامر في ايام القضاة فلما اعيا صموئيل امرهم جاراهم على هواهم واختار لهم ملكاً شاول بن قيس من سبط بنيامين وكان طويل القامة حسن المنظر فلقيهُ صموئيل واخذ قنينة الدهن المقدس وصبها على رأسهِ ومسحهُ ملكاً (١)

الملوك

القسم الثاني

تأسست الملكية اليهودية سنة ١٠٩٥ ق · م · وانتهت بسبي اليهود وخلع صدقيا آخر ملوكهم سنة ٥٨٨ ق · م فتكون مدتها ٥٠٩ سنوات

(١) كان الاسرائيليون يمسحون الملوك والانبياء والكهنة ويتخذون لهذه الغاية دهناً من افخر الاطياب فيصبونهُ على رأس الممسوح

وبعد ان مسح صموئيل شاول واقنعهُ انهُ سيكون ملكاً على اسرائيل ذهب الى المصفاة وهي مكان اجتماعهم العامّ وارسل فدعا الشعب ليوافوهُ اليها فلما اجتمعوا اعلن لهم اختيارهُ شاول ملكاً عليهم ثم اوقفهُ بينهم فاذا بهِ اطولهم قامةً ففرح بهِ الشعب ونادوا بهِ ملكاً عليهم ولم يطل بهِ الامر حتى ظفر بالعمونيين فتضاعف سرور الشعب بهِ لذلك وبالغوا في اكرامهِ وعيَّدوا عيداً لجلوسهِ ذبحوا فيهِ الذبائح واقاموا الالعاب · وامرهُ الله ان يحارب العمالقة ووعدهُ بان يدفعهم الى يدهِ وامرهُ ان لا يبقي على احدٍ منهم وان يبيد جميع مواشيهم فحاربهم وانتصر عليهم لكنهُ عفا عن ملكهم اجاج ولم يحرّم الغنم والبقر والماشية فغضب الله عليهِ ونزع منهُ الملك واعطاهُ لداود

ثم أُصيب بالسويداء فتبدَّلت اخلاقهُ واستولت عليهِ الهموم والمخاوف فاضاع رشدهُ وحدث في اخريات ايامهِ ان الفلسطينيين جيران اليهود واعداءهم الالدّاء جمعوا جيشاً كثيفاً وتقدموا يريدون غزاة الاسرائيليين فلقيهم شاول بجموعهِ وهو يحسب لتلك الحرب الف حساب ولمَّا التحم الفريقان انكسر الاسرائيليون وقُتل ابناء شاول الثلاثة وجرحَ جرحاً بليغاً فلما خشي ان يقع في الاسر سقط على سيفهِ فمات وانهزم الاسرائيليون شرَّ هزيمة

وبقي شاول ملكاً الى يوم قتلهِ فحكمهُ منفرداً دام سنتين فقط

وتولّى الملك بعدهُ داود وهو النبيّ الشاعر والبطل الباسل صاحب جليات جبّار الفلسطينيين الذي اذاق الاسرائيليين مرارة الذلّ وهو يدعو فرسانهم وجبابرتهم كل يوم الى النزال وقد ارتعدت فرائص الابطال منهُ فنازلهُ داود بمقلاعهِ ورماهُ بحجر فقتلهُ بهِ ثم انقضّ عليهِ فاحتزّ رأْسهُ وانقذ الاسرائيليين وصاهر شاول بعدئذٍ فتزوج ابنتهُ وخطب يوناثان ابن شاول ودّهُ فعاشا صديقين حميمين او اخوين حبيبين حتى ضربت بصداقتهما الامثال ولما سقط يوناثان قتيلاً رثاهُ داود بارقّ المراثي واشجاها وبكى عليهِ بكاءً مرًّا وملك داود سبع سنين ونصف سنة في حبرون (الخليل) على سبط يهوذا ثم استولى على ما بقي من المملكة وحارب سكان اورشليم وهي بيت المقدس فقهر اهلها اليبوسيين وامتلكها فجعلها عاصمة ملكهِ وبنى فيها المباني الفاخرة وشاد الحصون المنيعة فصارت مباءَة الاسرة المالكة ومركز عبادة اليهود وهي مهوى افئدتهم اليوم كما انها قبلة انظار المسيحيين

وحارب داود الامم المجاورة لبلادهِ فظفر بهم في جميع مواقعهِ فعظم شأْنهُ وانتشرت صولتهُ وامتدت هيبتهُ في البلاد وسعدت ارض اسرائيل في ايامهِ ثم ثار عليهِ احد ابنائهِ فحاربهُ داود وغلبهُ وعقب ذلك فتنتان أُخريان كان الظفر فيهما لهُ وقبل موتهِ عهد

بالملك الى ابنهِ سليمان واوصاهُ ببناء الهيكل وخلف بين يديهِ الاموال الطائلة والعدَّة الكثيرة لبنائهِ وكانت مدة ملكهِ نحو احدى واربعين سنة · وعلى قمة جبل صهيون اليوم بناءٌ يسمى قبر داود

وكان شاعراً موسيقياً اتخذهُ شاول ضارب عود في بيتهِ ايام أُصيب بالسويداء وقد نظم الجزء الاكبر من المزامير وهي آيات في البلاغة والبساطة والرقة ولا تزال على قِدَم عهدها وكثرة المنظومات الدينية بعدها منتشرة بين اليهود والنصارى يكثرون من قراءتها ويطربون لبلاغتها حتى ان بعض طوائف الانجيليين لا يترغون في معابدهم الاَّ بها

وعقبهُ ابنهُ سليمان بويع لهُ بالملك في حياة ابيهِ كما تقدَّم وهو الملك الحكيم الذي ضُربت بحكمتهِ الامثال واشتهر اسمهُ في كل العصور والبلدان حتى ان شهرتهُ تفوق شهرة من غبر من الملوك والسلاطين ممن سبقهُ او جاءَ بعدهُ وفي عصرهِ اعتزَّ شأن الاسرائيليين وامتدَّ ملكهم من البحر الاحمر الى نهر الفرات الكبير وهابتهم الامم المجاورة لهم وتزوَّج سليمان ابنة فرعون كما تقدَّم وعقد معاهدة مع حيرام ملك صور وبنى هيكلهُ المشهور فاستجلب مشاهير الصناع والبنائين والنحاتين واتى بالارز من جبل لبنان وارسل سفنهُ في

الآفاق تجوب البحار فبلغت ترشيش في جنوب اسبانيا فجاءت منها بالذهب والفضة والعاج والطاووس واتوا من اوفير [1] بالذهب والحجارة الكريمة والعطورات وانتشر صيت سليمان في جميع الممالك والبلدان وسارت بحكمتهِ الركبان فاصبح حَكَمَ المشرق واعظم سلاطينهِ وجاءتهُ ملكة سبا من اقاصي اليمن لتخبر حكمتهُ فرأَت منهُ ما اذهلها وجاءَ الخُبْر فوق الخَبَر وقد روى الرواة عنها وقائع لا محلَّ لذكرها هنا. وكان سليمان حكيماً شاعراً نطق بالوف من الامثال التي تدلُّ على مبلغ ادراكهِ وسموّ معارفهِ وفرط بلاغتهِ ولهُ من الشعر نشيد الانشاد وهو من ارقّ ما قيل في الغزل وسيأْتي الكلام على حكمتهِ وشعرهِ في الفصل الخاصّ بذلك وكانت مدة حكمهِ اربعين سنة ذاق فيها الاسرائيليون الهناءَ والرخاءَ وكرعوا كؤُوس المسرّات والنصر ورزقوا السعد حتى ان عصرهُ ليحسب العصر الذهبي لامتهم لأَنَّ المملكة كانت في اشدّ عنفوانها مرهوبة الجانب محترمة من الملوك والامراء وتقدمت الصنائع تقدماً عظيماً بما شاد سليمان من المباني الفاخرة كالهيكل والقصر والمدن الكثيرة والمعاقل والحصون ولما زاد

(١) اختلف الباحثون في موقع اوفير هذه فمنهم من قال انها في الهند ومنهم من قال انها في اليمن وقال آخرون بل هي في شرقي افريقيا لكن الاكثر على انها في اليمن من بلاد العرب

غنى الشعب المادّي اخذوا بالاهتمام بالكماليات كما يرى من مراجعة اخبارهم لذلك العهد على ما هو مدوَّن في التوراة

وتوفي سليمان سنة ٩٧٥ ق ٠ م ٠ بعد ان حكم اربعين سنة وخلفهُ ابنهُ رحبعام فابدى جهلاً باساليب السياسة وادارة المملكة وشدَّة في موضع الرخاء معتمدًا على مشورة الاحداث من اتباعهِ واهل بيتهِ نابذًا مشورة الشيوخ ذوي الخبرة والحكمة مما ادَّى الى انقسام المملكة الذي كان من اعظم اسباب ضعفها وذلها فانفصل عشرة من الاسباط عنهُ في مملكة دعوها مملكة اسرائيل عاصمتها في السامرة(1) وظلَّ سبطا يهوذا و بنيامين مع رحبعام باسم مملكة يهوذا عاصمتها اورشليم وخسر الاسرائيليون ما كسبوهُ من البلدان المجاورة كبلاد العمونيين وضعف شأن التجارة وانحطت الصناعة وارتدَّ فريق كبير من الاسرائيليين عن عبادة الله الى عبادة الاوثان

وظلَّت مملكة اسرائيل في الوجود نحو مئتين وخمسين سنة تولَّى عرشها في خلالها ٢١ ملكًا وفي سنة ٧٤٠ ق ٠ م ٠ سبى تغلث فلأسّر ملك اشور الاسباط الساكنة شرق الاردن وهي رأو بين وجاد ومنسَّى وفي سنة ٧٢١ ق٠م٠ غزا سرجون ملك اشور مملكة اسرائيل فاستولى على السامرة وسبى الاسباط الباقية واجلاهم عن

(1) هي سبطية الحالية واقعة على ثلاثين ميلاً الى الشمال من اورشليم

اوطانهم الى ما وراءَ الفرات وهكذا انقضى اجل تلك المملكة فلم يقم لها قائمة بعدها

اما مملكة يهوذا فعاشت اكثر من اختها وتعاقب عليها ٢١ ملكاً فحاربها سنحاريب ملك اشور سنة ٧١٣ ق . م . وارتدَّ عنها خائباً بعد ان هلك اكثر جيشهِ ثمَّ غزاها الاشوريون ثانيةً سنة ٦٧٧ ق . م . فتغلبوا عليها واسروا الملك منسَّى ونقلوهُ الى بابل وفي سنة ٦١٠ ق . م . اجتاحها نخو فرعون مصر فظفر بجيوشها وقتل ملكها يوشيَّا وكان اضمحلالها على يد نبوخذ نصَّر ملك بابل المشهور فإنَّ هذا الغازي جاءَها سنة ٦٠٦ ق . م فاستولى على اورشليم وصارت مملكة يهوذا تؤَدي لهُ الجزيةِ ولكنَّ الملك يهو ياقيم ثار عليهِ فاعاد عليهم الكرَّة سنة ٥٩٩ واجلى منهم عشرة آلاف اسير من اعيانهم واشرافهم وحمل كنوز الهيكل والبلاط الملوكي وتحفهما ثم ان صدقيا ملك يهوذا ثار عليهِ سنة ٥٩٣ فعيل صبرهُ وعزم على خراب تلك البلاد فاتاها سنة ٥٨٨ فاخذ اورشليم ونهبها وهدم اسوارها واحرق الهيكل واستاق الشعب الى الاسر في بابل وظلَّت الارض خراباً خمسين سنة فكانت مدة مملكة يهوذا نحو اربع مئة سنة

جدول

ملوك اسرائيل قبل انقسام المملكة ومن عاصرهم من ملوك الامم الاخرى

اسم الملك	مدة حكمهِ	من عاصرهُ من ملوك الامم الاخرى	تاريخ عبري	سنة قيامهِ قبل الميلاد
شاول	سنتان [١]		٢٨٨٢	١٠٩٥
داود	٤٠ سنة		٢٨٨٤	
سليمان	٤٠ سنة	رزون ملك سورية	٢٩٢٤	١٠٠٠

(١) بقي شاول ملكاً اربعين سنة الى يوم وفاتهِ ولكن المُلك نُزِع منهُ بعد مسحهِ بسنتين وأُعطي لداود ولذلك حسبنا مدة ملكهِ سنتين فقط

ملوك يهوذا بعد انقسام المملكة					
اسم الملك	مدة حكمه	تاريخ عبري من سنة	تاريخ عبري الى سنة	من عاصره من ملوك الامم الاخرى	سنة قيامه قبل الميلاد
رحبعام	١٧ سنة	٢٩٦٤	٢٩٨١	شيشق ملك مصر	
ابياه	٣ سنين	٢٩٨١	٢٩٨٣		٩٥٨
آسا	٤١ سنة	٢٩٨٣	٣٠٢٤	زارح الحبشي	٩٥٥
يهوشافاط	٢٥ سنة	٣٠٢٤	٣٠٤٧		٩١٤
يهورام	٨ سنين	٣٠٤٧	٣٠٥٥	بنهدد الثاني	٨٩٨
أخزيا	سنة واحدة	٣٠٥٥	٣٠٥٦		٨٨٥
عثليا *	٦ سنين	٣٠٥٦	٣٠٦١		٨٨٤
يوآش	٤٠ سنة	٣٠٦١	٣١٠٠		٨٧٨
امصيا	٢٩ سنة	٣١٠٠	٣١٢٩		٨٣٨
عوزياه *	٥٢ سنة	٣١٢٩	٣١٦٧		٨١٠
يوثام	١٦ سنة	٣١٦٧	٣١٨٣		٧٥٨
آحاز	١٦ سنة	٣١٨٣	٣١٩٩	رزون ملك ارام	٧٤١
حزقيا	٢٩ سنة	٣١٩٩	٣٢٢٨	سنحاريب ملك اشور	٧٢٦
منسى	٥٥ سنة	٣٢٢٨	٣٢٨٤		٦٩٧
آمون	سنتان	٣٢٨٤	٣٢٨٥		٦٤٣
يوشيا	٣١ سنة	٣٢٨٥	٣٣١٦	فرعون نخو ملك مصر	٦٤٠
يهوآحاز	٣ اشهر				٦٠٩
يهوياقيم	١١ سنة	٣٣١٦	٣٣٢٧	نبوخذناصر ملك بابل	٦٠٩
يهوياكين	٣ اشهر	٣٣٢٧		. . . . .	٥٩٨
صدقيا	١١ سنة	٣٣٢٧	٣٣٣٨	. . . . .	٥٩٨

* هي المراة الوحيدة التي اغتصبت الملك ولم تجلس ملكة غيرها من نساء اليهود

* جلس عوزياه على كرسي الملك خمس عشرة سنة في حياة ابيه

ملوك اسرائيل بعد انقسام المملكة

اسم الملك	مدة حكمهِ	تاريخ عبري من سنة	تاريخ عبري الى سنة	من عاصرهُ من ملوك الامم الاخرى	سنة قيامهِ قبل الميلاد
يربعام	٢٢ سنة	٢٩٦٤	٢٩٨٥		٩٧٥
ناداب	سنتان	٢٩٨٥	٢٩٨٦		
بعشا	٢٤ سنة	٢٩٨٦	٣٠٠٩	بنهددالاول ملك ارام	٩٥٢
ايله	سنتان	٣٠٠٩	٣٠١٠		٩٣٠
زمري	٧ ايام				٩٢٩
تبني وعمري	٥ سنين	٣٠١٠	٣٠١٤		٩٢٩
عمري	٧ سنين	٣٠١٤	٣٠٢٠		٩٢٩
اخآب	٢٢ سنة	٣٠٢١	٣٠٤٢		٩١٨
أحزيا	سنتان	٣٠٤٢	٣٠٤٣		٨٩٨
يهورام	١٢ سنة	٣٠٤٣	٣٠٥٤		٨٩٦
ياهو بن نمشي	٢٨ سنة	٣٠٥٥	٣٠٨٣	حزائيل ملك ارام	٨٨٤
يهوآحاز	١٧ سنة	٣٠٨٣	٣٠٩٨		٨٥٦
يوآش	١٦ سنة	٣٠٩٨	٣١١٤	بنهددالثالث ملك ارام	٨٤٠
يربعام الثاني	٤١ سنة	٣١١٤	٣١٥٢		٨٥٦
* زكريا	٦ اشهر				٧٧٢
شلوم	شهرٌ واحد	٣١٥٤			٧٧٢
منحيم	١٠ سنين	٣١٥٤	٣١٦٤	فول ملك اشور	٧٧١
فقحيا	سنتان	٣١٦٤	٣١٦٦		٧٦٠
فقح بن رمليا	٢٠ سنة	٣١٦٦	٣١٨٦	تغلث فلاسر ملك اشور	٧٥٨
هوشع	٩ سنين	٣١٨٨	٣١٩٦	شلمناصر وسنحاريب	٧٢٩

جلس يربعام على عرش الملك ثلاث سنوات في حياة ابيهِ

وقد اشتهر من ملوك اسرائيل يربعام الاول الذي تولى المملكة حين انقسامها واخآب بضعفهِ وشر زوجتهِ ايزابل التي خلَّدت شرورها اسمها على ان ملوك يهوذا كانوا في الغالب افضل من ملوك اسرائيل وممن اشتهر منهم آسا ويهو شافاط ويوآش وآحاز وحزقيا ويوشيا ولم يكن لهم نظام يتبعونهُ في وراثة المُلْك فقد كان الملك احيانًا يعيّن من يخلفهُ او يولون ابنهُ البكر بعد وفاتهِ او احد افراد الاسرة المالكة الاَّ اذا تغلَّب على بيت الملك احد العامة كما فعل ياهو فانهُ صار ملكًا لاسرائيل بعد ان كان قائدًا في الجيش

وحدث بين المملكتين حروب ومنازعات كثيرة اثارها ما كان بين ملوكها من التنافس وعدم انتظام الملك في كليهما على اطراد لكن اولئك الملوك كانوا في بعض الاحايين يتعاهدون ويسيرون معًا بجيوشهم الى الحرب على انَّ روح المنافسة لم يزل دأْبًا بينهم لأَن ملوك اسرائيل كانوا يخشون ان ترتدَّ رعاياهم عنهم الى ملوك يهوذا بذهابهم للعبادة في هيكل اورشليم فاتخذ بعضهم جميع الوسائل لحملهم على اطراح تلك العادة فكانوا تارةً ينصبون لهم الاوثان ليعبدوها وطورًا يمنعونهم عن تأْدية فريضة العبادة جبرًا وهكذا تناثرت عرى الاتحاد والوئام بين الاسباط وازداد الشقاق فكانت نتيجتهُ ضعف المملكتين وتغلب الاعداء والغزاة عليهما الواحدة بعد الأُخرى

وفي ذلك العصر قام في اسرائيل ويهوذا الانبياء المشهورون الذين صرفوا همهم الى ردّ الشعب عن عبادة الاوثان وحضهم على حفظ ديانة آبائهم واجدادهم ومن اشهر هؤلاء الانبياء ايليا الذي يسميهِ النصارى ماري الياس واليشع واخبارهما مدونة مع اخبار الملوك في التوراة واشعيا وارميا وغيرهما وقد ترك هؤلاء مواعظ وآيات حكمية ونبوات خاصة بالشعب اليهودي وهي موجودة في كتبهم المعروفة باسمائهم ويتألف منها اسفار النبوات في العهد القديم

اما تاريخ الاسرائيليين في منفاهم مدة سبيهم فمأخوذ اكثرهُ من اسفار عزرا ونحميا ودانيال الذين نالوا الحظوة التامة في عيون ملوك بابل حتى صاروا من اكابر موظفي تلك المملكة ويؤخذ مما ورد في تلك الاسفار ان اكثر المسبيين تابعوا الكلدان في عاداتهم وتخلقوا باخلاقهم الاَّ فريقاً منهم ابى ترك شعائرهِ وآدابهِ ودينهِ فحافظ عليها تحت خطر الحريق والقتل

وتولَّى قورش ملك فارس سنة ٥٣٧ ق · م · فاصدر امراً سنة ٥٣٦ يأذن بهِ لليهود بالعودة الى بلادهم من اراد ذلك منهم ومهَّد لهم سبيل الرجوع وسمح باعادة بناء اورشليم والهيكل فعاد نحو خمسين الفاً من المسبيين اكثرهم من سبطي بنيامين ويهوذا بقيادة زربابل ويشوع واخذوا معهم كثيراً من آنية الفضة والذهب التي

كان نبوخذ نصر قد غنمها وعين زربابل هذا واليًا على اليهود وصارت اليهودية ولاية من ولايات الفرس وفي سنة ٥١٩ ق٠م٠ ثبت داريوس هستاسب امر قورش المذكور فتمّ بناء الهيكل سنة ٥١٥ واحتفل بتدشينهِ احتفالاً باهرًا ومن ذلك الزمان يختفي ذكر الاسباط العشرة الاخرى فمن عاد منهم الى فلسطين اختلط بسبطي يهوذا وبنيامين وفي ذلك الحين سمّي الاسرائيليون يهودًا ودعيت بلادهم اليهودية (١)

وفي ايام ارتكزركسيس (لوغيمانس) الفارسي عاد جزء من اليهود المتغرّبين في بابل الى بلادهم بقيادة عزرا وذلك سنة ٤٥٨ ق٠م٠ وظلّ عزرا هذا واليًا على البلاد الى سنة ٤٤٥ ق٠م

(١) يدّعي الافغان انهم نسل الاسباط العشرة وليس بين الادلة التاريخية ما يؤيد صحة دعواهم هذه الاّ انّ بعض الناظرين في علم الانثولوجيا يرون في الافغان شبهًا لليهود في التقاطيع والملامح والاخلاق وهذا ما دعاهم الى تصديق زعم الافغان اضف الى ذلك ان الاسباط العشرة كانت مدّة السبي في بلادٍ مجاورة لافغانستان وكانت البلادان تحت حكم ملك واحد يتضح لك امكان تصديق هذا القول ولو افتقر الى الاثبات العلمي

واغرب من هذا كلهِ ان بعض الانكليز يدعي انهم من سلالة الاسباط العشرة ولم نجد لهذه الدعوى اثرًا من الصحة الاّ شدّة ميل هذا البعض الى التسلسل من شعب يقولون انهُ شعب الله الخاصّ فكأنهم يريدون ان يحصروا جميع المزايا الطيبة فيهم

وجاءَ بعدهُ نحميا فبنى اسوار اورشليم ورمَّم حصونها واعاد اليها بعض رونقها القديم وظلَّ والياً الى سنة ٤٢٠ ق. م. وفيها ينتهي تاريخ اليهود كما هو مدوَّن في التوراة امَّا ما بقي من ذلك التاريخ فمأْخوذ عن مصادر أُخرى وسنأْتي على خلاصتهِ

ظلَّت اليهودية خاضعة لحكم الفرس من سنة ٤٢٠ الى سنة ٣٣٢ ق. م. يتولى امورها الكاهن العظيم تحت مراقبة مرزبان سورية فلما حارب الاسكندر الكبير المكدوني ملوك الفرس وغلبهم على ملكهم واحتلَّ سوريا وفلسطين صعد الى اورشليم فاستقبلهُ الشعب يتقدمهم الكاهن العظيم فاكرمهم اكراماً زائدًا وابدى احتراماً للهيكل والمعبود لم يكن اليهود يحلمون بهِ وقد اطَّلعنا على غير حكاية واحدة لهذه الحادثة فرأَينا ان نثبت منها ما جاءَ للمؤَرخ يوسيفوس الشهير قال

"وبعد ان فتح الاسكندر غزَّة صعد الى اورشليم فخاف يدوس الحبر الاعظم لمَّا بلغهُ ذلك لأَنَّ الاسكندر كان قد كتب اليهِ يستنجدهُ وهو يحاصر صور فردَّ اليهِ الجواب انهُ في طاعة داريوس ولا يستطيع ان يخونهُ ما دامت البلاد لهُ فامر الشعب ان يتضرعوا الى الله لينقذهم منهُ فاوحى الله اليهِ في حلم ان يتشجع ويزيّن المدينة ويفتح ابوابها ويأْمر سكانها بلبس الثياب البيضاءِ ويخرج هو

والكهنة بلباس الكهنوت فلا ينالهم شرٌّ . . . . . .

ولمَّا دنا الاسكندر من اورشليم خرج للقائهِ هو والكهنة وجمهور غفير من السكان حتى بلغوا المكان المسمَّى الصفا فلمَّا رآهم الاسكندر عن بعدٍ وهم بالثياب البيضاء والكهنة بلباس الكهنوت ورئيسهم بحلَّة من الارجوان والذهب وتاجهُ على رأسه وعليهِ صفيحة من الذهب فيها اسم الله دنا منهُ بنفسهِ وحيَّا اسم الجلالة ورئيس الكهنة واجتمع اليهود حولهُ يحيونهُ وصعد ملوك سورية مع الاسكندر فلمَّا رأَوا منهُ ذلك حسبوا انهُ أُصيب بدخلٍ في عقلهِ ودنا منهُ القائد بارمنيون وسأَلهُ قائلاً ما حدث حتى تسجد لرئيس كهنة اليهود مع ان الناس كلهم يسجدون لك فقال اني لم اسجد لهُ بل للاله الذي جعلهُ رئيساً لكهنتهِ لانني رأَيت هذا الرجل في حلمٍ لابساً هذه الاثواب عينها لمَّا كنت في مكدونية وكنت افكّر كيف استولي على آسيا فحضني على الاسراع اليها وقال انهُ يقود جنودي ويملكني ممالك فارس ولم ارَ احدًا قبل الآن لابساً مثل هذه الثياب والآن رأيت هذا الرجل لابساً اياها فانا واثق بصدق الرؤيا التي رأَيتها وبأَن جنودي تسير بالارشاد الالهي واني ساغلب داريوس واستأْصل مملكتهُ ويتمّ كل شيءٍ على حسب ما هو راسخ في ذهني ولمَّا قال ذلك اعطى يمينهُ لرئيس الكهنة ودخل معهُ المدينة وصعد الى الهيكل وقرَّب الذبائح

لله حسب ارشاد رئيس الكهنة واروهُ سفر دانيال حيث قيل ان واحدًا من اليونان يخرب مملكة الفرس فسرَّ بذلك حاسباً انهُ هو الشخص المعنيّ وصرف الجمع ذلك اليوم ثمَّ دعاهم في اليوم التالي وسألهم عمَّا يطلبون منهُ فطلب منهُ رئيس الكهنة ان يسمح لهم بالجري على سنن آبائهم وان يعفيهم من دفع الجزية كل سنة سابعة فاجابهُ الى ما طلب وطلبوا منهُ ايضاً ان يسمح لليهود الذين في بابل ومادي ليسيروا حسب سننهم فوعدهم بذلك ثم عرض عليهم ان يتجندوا في جيشهِ ويكونوا احرارًا في السير على سننهم فانتظم كثيرون منهم في خدمتهِ "[1]

ولمَّا مات الاسكندر في بابل سنة ٣٢٣ انقسمت سلطنتهُ بين اربعة من قوَّادهِ فكانت اليهودية من نصيب بطليموس ملك مصر فتولى البطالسة حكمها الى سنة ٢٠٢ ق . م . وكانوا يستعملون الكاهن العظيم عليها

البطالسة

يظنُّ المؤَرخون ان بطليموس الاوَّل الذي تولى حكومة مصر بعد موت الاسكندر ابن غير شرعي لفيلبس المكدوني ابي الاسكندر

(١) انظر المقتطف "مجلد ٢٤ صفحة ١٥"

فلمّا مات الاسكندر اسرع الى مصر فملكها ولم يكد عرشهُ يستقرُّ فيها حتي اشتعلت نيران الحرب بينهُ وبين الملوك المجاورين لهُ ولما كان عالي الهمة مقداماً عاجلهم وتغلب عليهم الواحد بعد الآخر ففي سنة ٣٢٠ ق · م · حارب ملك سورية وسلخ عنهُ فينيقية والبقاع ثمَّ هاجم اورشليم واستولى عليها في يوم سبتٍ ولكنهُ عامل اليهود معاملة حسنة وسبى منهم عدداً كبيراً الى مصر واعطاهم مستعمرة يقيمون فيها وجاء ببعضهم الى الاسكندرية وكانت مدة حكمهِ من سنة ٣٢٣ ق · م — ٢٨٥ ق · م وهو الملقب سوتر اي المنقذ وذلك لانهُ انقذ رودس من يد ديمتريوس ابن ملك سورية التي نازلها وكاد يستولي عليها فاتخذهُ الرودسيون الهاً وعبدوهُ ولقّبوهُ بهذا اللقب

وعقبهُ ابنهُ بطليموس الثاني الملقب فيلادلفوس اي محب الاخ قيل لُقّب كذلك لانهُ كان كلفاً باختهِ التي تزوجها بعد ترملها وقيل بل لُقّب كذلك على سبيل السخرية بعد ان قتل اخويهِ وكان بطليموس الاول والثاني محبين للعلوم والمعارف اخذا بنصرتها ومهّدا لها سبيل التقدم وجمعا حولها خير الشعراء والفلاسفة والحكماء والرياضيين والفلكيين وبطليموس الثاني هذا هو مؤسس مكتبة الاسكندرية المشهورة التي كان المؤرخون يتهمون العرب بحرقها

بعد فتح مصر — واليهِ ينسب الاهتمام في ترجمة التوراة الى اليونانية الترجمة المعروفة بالسبعينية [1] على ان اكثر المؤَرخين لا يعترفون بصحة هذه النسبة ويلوح لنا انهُ لما كان من اكبر اغراضهِ تأليف الشرق والغرب والجمع بين حكمة اليهود والفلسفة ولما كانت الترجمة السبعينية مصرية لا ريب فيها اتفق المؤَرخون على انها تمت بايعازهِ وعلى كل حال فقد كان لهُ تأثير عظيم في تاريخ الديانة اليهودية وتولى حكومة مصر من سنة ٢٨٥ الى ٢٤٧ ق · م

وعقبهُ ابنهُ بطليموس الثالث الملقب افرجيتس اي المنعم سمي كذلك لانهُ اعاد الى المصريين التماثيل التي كان قمبيز قد سلبها من

---

(١) تختلف هذه الترجمة عن غيرها من نسخ التوراة عند اليهود في انها تحتوي اسفار الابوكريفا اي غير القانونية وهي اربعة عشر سفراً اشهرها سفر طوبيت وسفرا المكابيين وهي ذات قيمة عظيمة في التاريخ وقد صادق مجمع ترنت على اعتبارها قانونية فهي موجودة في الترجمة اللاتينية وفي التوراة الكاثوليكية ولكن لا وجود لها في نسخ التوراة الانجيلية الحديثة لان الانجيليين يعتبرونها غير قانونية . اما سبب تسميتها السبعينية فلأن ٧٢ عالماً من علماء اليهود اشتغلوا في ترجمتها وقضوا في ذلك ٧٢ يوماً . وكان يهود فلسطين يعتبرونها مزيفة لكثرة التحريف والزيادة التي اوقعهما فيها النساخ وحسبوا اليوم الذي تمت فيهِ الترجمة من ايام نحسهم ولكنهم ما عتموا ان تناولوها وصارت تقرأ في مجامعهم وكانت هي المعتبرة عند ظهور النصرانية ولذا ترى جميع الشواهد في الانجيل مأخوذة منها

بلادهم يوم استولى عليها فلقَّبهُ المصريون بهذا اللقب . وفي غزوتهِ هذه التي بلغ فيها بابل جاءَ الى اورشليم ودخل الهيكل فقدَّم فيهِ الذبائح بحسب ارشاد الشريعة وكانت مدة حكمهِ خمساً وعشرين سنة اي من سنة ٢٤٧ — ٢٢٢ ق . م

وعقبهُ بطليموس الرابع الملقب فليو باتر اي محب الوالدين لُقّب كذلك من باب الهزء لقتلهِ امهُ وعمهُ وغيرهما من سلالتهِ وكان ضعيف العزم والارادة سيّئ السيرة قاسياً قضى عمرهُ في سفك الدم وحارب ملك سورية فانتصر عليهِ وجاءَ الى اورشليم ليقدّم ذبائح الحمد ففعل ولما اراد ان يدخل قدس الاقداس عارضهُ الكاهن الاعظم فاستاءَ من ذلك وقيل انهُ أُصيب بالفالج عقاباً لهُ فلم ينسَ هذه المعارضة فاساءَ الى اليهود واضطهدهم وكان على قساوتهِ وضعفهِ محباً للعلوم كابيهِ واجدادهِ وتعاقب على عرش مصر كثيرون من البطالسة فساءَت احكام الاواخر منهم حتى ادّى الامر الى مداخلة الرومانيين شيئاً فشيئاً الى ان استولوا على مصر باسرها وانتهى ملك البطالسة بموت كليوباطرا عشيقة قيصر وانطونيوس على يد اوكتافيوس اي اغسطس قيصر ابن اخ يوليوس

المكابيون

لمّا وقعت الحرب بين انطيوخس الكبير ملك سورية وبطليموس الخامس ملك مصر تغلّب انطيوخس على اليهودية سنة ١٩٨ ق · م فخضع اليهود لحكمهِ فعاملهم بالتؤدة والحلم واحترم حقوقهم وفرائضهم الدينية ودفع ما يجب لخدمة الهيكل فاستراحت البلاد في ما بقي من حكمهِ وعفا اليهود من دفع الجزية ثلث سنوات ولكنَّ ابنهُ انطيوخس الذي قام بعدهُ سنة ١٧٥ ق · م ولقّب نفسهُ ابيفانيس (اي الشهير) ولقّبهُ غيرهُ ابيمانيس (اي المجنون) لكثرة اسرافهِ وشرّهِ لم يسِرْ سير ابيهِ مع اليهود بل اساءَ معاملتهم وباع وظيفة الحبر الصالح اونياس الى اخيهِ الثالث المسمَّى يشوع بثلث مئة وستين وزنة من الذهب يقدمها لهُ خراجاً كل سنة فسمَّى يشوع نفسهُ ياسون وادخل بين قومهِ كل عادة ذميمة عند اليونان لانهُ كان مولعاً بهم وانشأَ في اورشليم ملعباً وميداناً كان الشبان يتصارعون فيهِ عراةً حسب عادة اليونان وزاد الكهنة والعامة فساداً في ايامهِ حتى انهُ بعث مع شبان اليهود تقدمة الى هيكل صور يوم عيد الاله هرقل وكان لياسون اخ ثانٍ اسمهُ اونياس ايضاً فدعا نفسهُ

منيلاوس وهو اسم يوناني واشترى من انطيوخس الرتبة الحبرية بست مئة وستين وزنة ولما لم يكن عندهُ ما يكفي لوفاء ما تعهد بهِ باع قسماً من آنية الهيكل ودفعهُ الى انطيوخس فاحدث ذلك حزناً عظيماً في الشعب واضطراباً شديداً بينهم وعند غياب انطيوخس في مصر سنة ١٧٠ ق · م شاع انهُ مات فجاءَ ياسون اخو منيلاوس بالف جندي واستولى على اورشليم وقتل كثيرين وحاصر اخاهُ منيلاوس في البرج ولكنهُ لم يستطع ان يتسلَّط على المدينة تسلطاً تاماً · وعاد انطيوخس من مصر وعلم بما حدث وان اليهود سرُّوا لما بلغهم خبر موتهِ فهجم على اورشليم وقتل من اهلها اربعين الفاً وباع مثل ذلك عبيداً ممن ظنَّ انهم ليسوا من حزبهِ وكان منيلاوس معهُ فاخذهُ الى المقدس ونزع المذبح والمنارة وسلب الخزانة وكان فيها الف وثماني مئة وزنة واستخف بالله اسرائيل فدخل قدس الاقداس وقدم خنزيرة وقوداً على المذبح

واقام فيلبس اليوناني احد اراذل فروغية حاكماً على اليهودية واندرونيكس الفاحش رئيساً على السامرة واعاد منيلاوس الجاهل كاهناً عظيماً وسافر الى انطاكية

وظلَّ فيلبس يظلم اليهود حتى عاد انطيوخس من مصر رابع مرة سنة ١٦٨ ق · م وصمم على الانتقام من اليهود لانهُ كان

لا يزال حاقدًا عليهم فأَرسل القائد ابولُونيوس ومعهُ عسكرٌ جرارٌ فدخلوا اورشليم يوم السبت بينما كان اليهود في الصلاة فقتلوا الرجال ونهبوا الاموال واستعبدوا النساءَ والاولاد واحرقوا البيوت وهدموا الاسوار واحتلوا برج صهيون ولم يفلت من بين ايديهم الاَّ الذين هربوا الى الجبال والمغاير وبنى هؤُلاءِ الاشرار قلعةً على جبل اكرا كانوا يشاهدون منها كل من يدنو من اليهود الى الهيكل فيهجمون عليهِ و يقتلونهُ

ولما وصل انطيوخس الى انطاكية اصدر امرًا الى سكان ممالكهِ للتديُّن بديانة اليونان وكل من لا يمتثل امرهُ يعاقب اشدَّ العقاب و بعث رجلاً لئيمًا اسمهُ اتينيوس ليعلّم اليهود طريقة عبادة الاصنام فجاءَ اورشليم واطاعهُ بعض ضعفاء اليهود وساعدوهُ فابطل الذبيحة اليومية ومنع طاعة الدين الحق ودنَّس الهيكل بوضعهِ صنم زفس على مذبح الوقود وتقديمهِ الخنازير ذبائح لهُ وطغى فحرق ما وجدهُ من نسخ التوراة واكره اليهود على عبادة الاصنام وعدم حفظ يوم السبت ومنعهم من ختان اولادهم وتقديس كل شهر وفرائضهِ وكان يقتل من يخالفهُ بعد ما يذيقهُ من العذاب الوانًا ولما علم ان امرأَتين ختنتا ولديهما علَّق الوالدتين وعلَّق الطفلين بعنقيهما واماتهما اشنع ميتةٍ و يروى عنهُ كثير من امثال هذه الفظائع

ولما عمَّ البلاء وزاد شر اتباع انطيوخس هرب من اورشليم جماعة من اليهود وفيهم متَّاثيا الكاهن وكان شيخاً جليلاً من نسل يهو ياريب الصالح من سبط لاوي فجاء مع بنيهِ الخمسة يوحنا وسمعون ويهوذا والعازر ويوناثان الى وطنهم الاصلي مدينة مُودين في بلاد الفلسطينيين وكانت عائلة متَّاثيا تلقَّب بالحشمونية فلما اشتهر ابنهُ يهوذا بشجاعتهِ وحسن تدبيرهِ غلب عليهِ لقب مكابيوس فنُسِب اليهِ قومهُ فصاروا يسمَّون مكابيين الى اليوم

ولما كان متَّاثيا واولادهُ في مودين تبعهم رجلٌ من رؤساء انطيوخس اسمهُ ابَلّس وبنى مذبحاً للاوثان وامر متَّاثيا وسكان مودين ان يمارسوا عبادة الاوثان ويذبحوا لها واطاعهُ بعض اليهود فغار متَّاثيا للرب اله السماء والارض وهجم باولادهِ وقتلوا ابَلّس والذي رام طاعتهُ من اليهود وهدموا مذبح الاوثان وكسروا الاصنام ونادوا بوجوب الدفاع عن شريعة الله الطاهرة فانحاز اليهم كثيرون من ابناء ملتهم المشهورين بالغيرة والامانة وفرُّوا الى الجبال وكان ذلك سنة ١٦٨ ق٠ م٠ ثم اتفق متَّاثيا مع ابناء وطنهِ ورجع بهم الى اليهودية فكسروا جميع مذابح الاوثان واستأصلوا خدامها في كل المدن التي مرُّوا بها واعادوا الختان وعبادة الله الحقيقية سنة ١٦٧ ق م٠ وتقدَّم متاثيا في السن فاقام ابنهُ يهوذا خليفةً لهُ على

الجنود اليهودية . فجاء يهوذا الباسل بقومهِ الامناء وهاجم الاعداء على غير انتظارٍ منهم فانتصر عليهم وابلى فيهم بلاءً مرًّا فاجتمع حولهُ اليهود الصادقون فدرَّبهم على القتال ومقاومة الاعداء وتشجَّع عسكرهُ بعد هذه الغلبة حتى اتى الحرب جهاراً فالتقى بجنود انطيوخس في بيت حورون فهزمهم شر هزيمة على قلة عدد رجالهِ

ولما سمع انطيوخس بما تمَّ تميَّز غيظاً وصمَّم على اهلاك اليهود وجعل اورشليم مدفناً لهم وعيَّن احد قوادهِ المسمَّى ليسياس واصحبهُ بجيش جرار فجاء هذا باربعين الف راجل وسبعة آلاف فارس اتى منهم نحو عشرين الفاً الى عمواس بين يافا واورشليم . وكان يهوذا (مكابيوس) في مصفاة ومعهُ نحو ستة آلاف مقاتل منهم وبلغهُ ان فرقةً من الاعداء جاءت لتكبسهُ فخاف رجالهُ ولم يبقَ معهُ سوى ثلاثة آلاف فخطب فيهم قائلاً من كان خائفاً فليرجع وشجعهم وجاءَ بهم ليلاً وكبس الاعداء في المحلة فهزمهم الى نواحي اشدود ثم رجع فحارب الذين جاؤُوا ليبيّتوهُ وكانت قلوبهم قد هلعت لما علموا ما جرى برفاقهم في المحلة فهربوا تاركين اسرى كثيرين وبينهم جماعة من النخاسين حضروا بمال كثير ليشتروا من يؤْسر من اليهود فغنم اليهود مالهم وباعوهم عبيداً

ثم استولى اليهود على حصون جبل جلعاد المنيعة وفي السنة

التالية قهر يهوذا ليسياس نفسهُ في بيت صورا بين حبرون واورشليم وكان مع ليسياس نحو ٦٠٠٠٠ مقاتل فارتد منهزماً ثم استولى يهوذا على اورشليم سوى البرج وطهَّر الهيكل واقام الخدمة الدينية فيهِ لثلاث سنين منذ الغاها انطيوخس وكان ذلك سنة ١٦٥ ق·م· ولما اخذ بعض الامم المجاورة يضايقون من طالتهُ ايديهم من اليهود شنَّ يهوذا الغارة عليهم كالادوميين وبني عمون فكسرهم وانتقم منهم· ثم سار في جيشٍ الى عبر الاردن وغلب السوريين في جلعاد واخضع البلاد باسرها ونقل اليهود الساكنين فيها الى اليهودية بغية حمايتهم وفي اثناء ذلك بعث اخاهُ سمعون الى الجليل ومعهُ نحو ٣٠٠٠ راجل فقهر العدو وخلص اليهود من ضيقاتهم· ولكن اليهود الذين في اليهودية انهزموا لانهم ناوشوا السوريين في غيبة يهوذا بغير امرهِ توهماً انهم قادرون على المحاربة دونهُ لكنَّ يهوذا عاد فغلب السوريين. ولا ريب في ان نجاح اليهود كان متوقفاً على نباهة يهوذا وبأسهِ اكثر من غيرهِ

ومات انطيوخس الرابع سنة ١٦٤ ق · م · بعد ما أُصيب بمرض مؤلم وانقضت حياتهُ الاثيمة فلما بلغ ذلك ليسياس نائبهُ نادى بملك ابنهِ الصغير الذي كان استودعهُ اياهُ اباهُ وكان عمرهُ ١٢ سنة ودُعي انطيوخس الخامس الملقب بيوپاتور واخذهُ ليسياس معهُ

وسار لنجدة السور بين المحصورين في برج اورشليم وكان جيشهُ عظيماً بلغ نحو مئة الف راجل وعشرين الف فارس وكان فيهِ ٣٢ فيلاً هالت قلوب اليهود واشتدَّ القتال عند بيت صورا وكان اليهود قليلين بالنسبة الى الاعداء لكنهم لم يجبنوا واظهروا غاية البأس وابرز العازر اخو يهوذا من الشجاعة ما يقصر عنهُ الوصف فانهُ هاجم احد الافيال ودخل تحت بطنهِ وطعنهُ بسيفهِ فقتلهُ لكن الفيل وقع عليهِ فقتلهُ ومع ان اليهود ثبتوا واعجبوا في القتال لم يقدروا على قهر الاعداء لكثرة عددهم فارتدُّوا الى اورشليم وخضع بيت صورا للسوريين وتقدَّم ليسياس وحاصر اورشليم ولم يقدر على افتتاحها حتى سمع بقدوم فيلبس الى انطاكية وامتلاكها فاراد ليسياس مصالحة اليهود لكي يرجع الى سورية فصالحوهُ اذ كانوا قد اشرفوا على الموت جوعاً وعاهدهم ليسياس بانهُ لا يضرُّ بهم ويطلق لهم الحرية الدينية ففتحوا الابواب فدخل السوريون ولم يقوموا بالعهد فهدموا سور الهيكل وعينوا انساناً يقال لهُ أَلْكِيمُس رئيس الكهنة على شرط انهُ يخضع لهم

ثم رجع ليسياس وانطيوخس الى انطاكية وقتلا فيلبس وطردا جماعتهُ ونجا ديمتريوس بن سلوقوس من رومية فجاءَ الى انطاكية وقتل ليسياس وانطيوخس الصغير سنة ١٦٢ ق٠م وتولى

الملك باسم ديمتريوس الاول ولقب بصوتير . ولما سمع الكيمس بذلك نزل الى انطاكية ليسالمهُ فحصل على ما اراد واغوى ديمتريوس ان يوجه في صحبتهِ قائدًا يسمَّى بكَّديس في جيش جرار لمقاومة يهوذا في اورشليم ولما لم ينجح بكديس عاد الى انطاكية فجهَّز ديمتريوس جيشاً آخر في مقدمتهِ رجل يسمى نيكانور ولاقاهُ يهوذا وقهرهُ فلاذ القائد بالبرج في اورشليم اذ كان في ايدي السوريين واستغاث بهم فامدوهُ فخرج لمحاربة يهوذا ولم يكن مع يهوذا سوى الف راجل فاقتتلوا في اداسه في نواحي رمله واشتد القتال على يهوذا ولكن الله نصرهُ فقتل نيكانور وكلٌّ من معهُ واتى براس القائد وعلق بسور في اورشليم اما يهوذا فشاع صيتهُ وطلب معاهدة رومية يومئذٍ فاجابتهُ وكتبت مشيختها الى ولاتها واعوانها ان يحترموا اليهود الاَّ ان ذلك لم يجدِ يهوذا نفعاً لان كثيرين من حزبهِ حسبوا استغاثة الوثنيين حراماً واهانة لله وقدم بكديس سنة ١٦١ ق . م . في نحو عشرين الفاً ولم يستطع يهوذا ان يحشد اكثر من ٣٠٠٠ مقاتل ولما قرب القتال خرجوا عليهِ سوى ٨٠٠ منهم ومع ذلك لم يخف يهوذا ولحق العدو في نواحي اشدود وحمي وطيس القتال وثبت اليهود وقتاً طويلاً وكان آخر الامر ان نادى يهوذا رجالهُ قائلاً قد حضر اجلنا فلنمت كالابطال فحملوا على ميمنة العدو حيث بكديس نفسهُ وكسروهُ

وطردوهُ غير ان الميسرة دارت من خلفهم ولما كانوا قليلين احاط بهم العدو وقتل يهوذا واكثر رجالهِ وانتصر السوريون ولم يكن لهم في ذلك فخرٌ فانَّ اليهود فاقوهم شجاعةً وبأساً ولا سيما يهوذا فكان يستحق ما مدح بهِ ليونداس بطل اليونان المشهور وكان ذلك سنة ١٦١ ق٠م

وورد في التاريخ العبري ان متاثيا كان حيًّا لما بلغهُ خبر موت ابنهِ يهوذا فلما رأى اضطراب باقي ابنائهِ وشعبهِ شجعهم قائلاً فقدتم واحدًا ولكن امامكم رجالاً كثيرين يؤمل الفرج عن يديهم وانتصارهم على اعدائكم فاذهبوا الى ساحة القتال غير وجلين ولا خائبين · وتوفي متاثيا بعد يهوذا بشيبةٍ صالحة

وتمكن بكديس من التسلط على اورشليم بعد موت يهوذا وظلم اليهود كثيرًا وثقل نيرهُ عليهم حتى استصرخ اليهود اخوة يهوذا فاجابوا ولم يبقَ منهم غير يوناثان وسيمون وقام الاول قائدًا عوضاً عن اخيهِ فحشد جيشاً جديدًا في البرية لانهُ لم يتجاسر ان يحارب جهارًا كاخيهِ فاقام في مستنقعة قرب الاردن والمعروف بكديس بذلك اوقع باليهود في يوم سبتٍ لظنهِ انهم لا يقاومونهُ يومئذٍ فحرض يوناثان قومهُ على اشد قتال ففعلوا وقتلوا اكثر من الف من الاعداء ثم رموا بانفسهم الى النهر ونجوا الى العبر ورجع بكديس الى

اورشليم خاسرًا ولما لم يرَ نجاحاً ترك البلاد مدةً لكنهُ رجع بعد ذلك وكان الفريقان يقتلان و يغزوان كل ما تيسر لهما و بذل بكديس جهدهُ في ان يتمكن من يوناثان ولم يستطع ولا ان يخضعهُ فمل من الحرب وقطع معهُ عهدًا انهُ لا يقلق اليهود بعدُ فعاد الى بلادهِ سنة ١٥٨ ق٠م ولم يرجع وكان ايناس الحبر في مصر فاتخذ يوناثان الوظيفة الكهنوتية في اورشليم مع منصب السياسة

وحصل اليهود على السلام نحو ست سنين بعد ذلك وحكم يوناثان بالاستقامة واصلح ما امكن من الامور ثم وقع الخصام بين ديمتريوس واسكندر بالاس [١] في ملك سورية وتسابق الفريقان في ان يحزب يوناثان معهما فاطلق ديمتريوس اليهود المسجونين في البرج ورفع جانباً عظيماً من الجزية وقدم شيئاً كثيرًا لخدمة الهيكل واما اسكندر فعيَّن يوناثان رئيس الكهنة مكان الكيمس الذي كان قد مات فقبل يوناثان واتفق مع اسكندر٠ ولما غلب هذا سنة ١٥٠ ق٠م٠ عظم شأن يوناثان وصار رئيس اليهود الديني والسياسي واحسن السيرة ونجح ولما استؤنف الخصام في مملكة سورية سنة ١٤٧ ق٠م٠ وساءت سيرة اسكندر بالاس ومات ديمتريوس تولى

(١) قيل ان اسكندر بالاس ابن غير شرعي لانطيوخس ايفانيس وقد أُرسل من مصر لمقاومة ديمتريوس

ابنهُ ديمتريوس الثاني سنة ١٤٦ ق٠م٠ وطرد اسكندر من الملك ثبت يوناثان في ما كان عليهِ مع انهُ كان حليف اسكندر سابقاً وسنة ١٤٥ ق٠م٠ شرع يحاصر البرج على جبل صهيون الذي بقي كل هذه السنين بيد العدو ومكنهم من التسلُّط على المدينة ونهبها ٠ ولما لم يقدر على افتتاحهِ عنوةً سوَّرهُ وسدَّ على من فيهِ وبقي الحصار نحو ثلاث سنوات

ثم انقلبت الامور في سورية وقام تريفون الذي اغتصب سرير الشام وطرد ديمتريوس الثاني واقام مقامهُ انطيوخس السادس وهو ولد صغير لاسكندر بالاس وصالح يوناثان ولكن لما اراد تريفون هذا عزل انطيوخس ابن سيدهِ واغتصاب الملك عمد الى اهلاك يوناثان لئلاَّ يقاومهُ لانهُ كان يعتقد ان يوناثان محبٌّ لانطيوخس فاتى الى بطلمايس (اي عكا) ودعا يوناثان للمشاورة فلما جاءَ قبض عليهِ وقتلهُ سنة ١٤٤ ق٠م٠ واراد قتل اخيهِ سيمون ايضاً لكنهُ نجا فرجع تريفون واما سيمون فاخذ جثة اخيهِ ودفنها في مودين حيث دفن جميع اخوتهِ وبنى عليهم ضريحاً فاخراً وخاطب قومهُ قائلاً :—

لقد علمتم كل ما عملناهُ انا واخوتي بعد وفاة ابينا وهو مخاطرتنا بانفسنا في ساحة الحرب غيرةً على شريعة الله الطاهرة

ودفاعاً عن بيت مقدسهِ وقد قُتِل جميع اخوتي وبقيت الوحيد في بيت ابي وحاشا لي ان امتنع عن الحرب والدفاع بكل قوتي لخلاص نسائكم واولادكم من الامم التي تروم اهلاكنا واستعبادنا. والآن يا اخوتي وشعبي اسمعوا كلامي وانهضوا معي الى مقاومة الاعداء ويقيني ان الله الذي نتكل عليهِ ينصرنا على مقاومينا

ثم سدَّ مسدَّ يوناثان في الرئاسة وشدَّد الحصار على البرج ولم يكف عنهُ حتى افتتحهُ سنة ١٤٢ ق . م . وهدمهُ ودكَّهُ دكًّا ونزع شيئاً من الصخرة من تحتهِ لئلاً تصير اساساً لبرج بعدهُ فانهم احتملوا بهِ شدائد لا توصف ثم قوَّى اسوار المدينة ولاسيما الاسوار المحيطة بالهيكل لكي يصير حصناً منيعاً واحسن سيمون السياسة وحصل اليهود بعنايتهِ على استقلالهم فيؤَرخ ملكهم من السنة الاولى لسيمون سنة ١٤٣ ق.م. وتمتع الناس مدةً بالسلام بعد ان تضايقوا من اعدائهم سنين كثيرة واحتملوا مشقات لا مزيد عليها

ولما ازداد عتو تريفون اغتصب الملك من انطيوخس السادس وعزلهُ وكان قد ملك انطيوخس السابع اخو ديمتريوس فاتفق مع كليوباترا وحاربا تريفون فقتلاهُ

واراد انطيوخس هذا اضافة اليهود الى مملكتهِ فبعث اليهم

جيشاً هزمهُ ابنا سيمون فلم يعد انطيوخس يغزو اليهودية مدة حياة سيمون فانهُ كان قد غلظ امرهُ كثيرًا وجدد المعاهدة مع رومية وحالف السبرطيين لكنَّ بطليموس زوج ابنتهِ المدعو بالعبرية تلماي صاحب اريحا دعا سيمون و بنيهِ الى وليمة ثم قام على سيمون وقتلهُ هو وابناهُ يهوذا ومتاثياس غدرًا وكانت غايتهُ ان يبيد كلَّ نسلهِ الاَّ ان مقصدهُ لم يتم اذ كان يوحنا احد بنيهِ غائباً فانهُ لما علم ان تلماي يروم قتلهُ هرب الى بلدٍ في الجبال اهلها يكرهون تلماي وتبعهُ تلماي اللئيم راغباً قتلهُ فدافع اهل البلد عنهُ وطردوا تلماي ورجع يوحنا بعد ذلك فتولى الملك بعد سيمون سنة ١٣٥ ق ٠ م

وكان يوحنا يلقب بهركانس ولما استقام لهُ الامر سار بجيشٍ الى اريحا للانتقام من بطليوس اللئيم وتخليص امهِ واخوتهِ منهُ فنازل المدينة ولما تضايق بطليوس اخرج الام وبنيها واوقفهم على السور وصرَّح بانهُ يطرحهم الى اسفل ان لم يكف هركانس عنهُ٠ فنادتهُ امهُ وحثتهُ ان يبقى على ما كان عليهِ الى ان ينتقم من المذنب ولو هلكت هي و بنوها ٠ لكنَّ هركانس كره ان يكون سبب هلاك احبائهِ فانصرف فلما علم بطليوس بالفرج قتلهم جميعاً وهرب

ثم شرع انطيوخس السابع يخضع اليهود وحاصر اورشليم محاصرة شديدة ولم يقدر ان يفتتحها لقوة اسوارها ونشاط اهلها ٠

وفي اثناء ذلك كان عيد المظال لليهود فطلب هركانس فترة سبعة ايام فيهِ فسمح بذلك انطيوخس وقدم لهُ ذبيحة من ثيران كسيت قرونها بالذهب لتقدمها قرباناً على مذبح الرب واوانٍ من ذهب وفضة ثمينة مملوءَة بخوراً فأثَّر ذلك في هركانس وفي الشعب وتحققوا ان انطيوخس هذا ليس كانطيوخس السالف الذي لم يحترم بيت الله ودنسهُ بتقديمهِ خنازير على المقدس ورشهُ دمها وشحمها على جدران الهيكل وابطالهِ التوراة بل هو رجل يخاف الله فاتفقوا على ان هركانس يعترف بملك انطيوخس ويؤَدي الجزية عن بعض المدن ويهدم اسوار اورشليم ويقبل فيها حراساً من قبل انطيوخس غير انهُ بدل هذا الشرط الاخير بتأدية ٥٠٠ وزنة من الفضة . وتمَّ ذلك سنة ١٣٣ ق . م . لكنهُ بعد قليل نجا اليهود من يد ملك سورية فانهُ لما سار انطيوخس الى محاربة الفرثيين لتخليص اخيهِ ديمتريوس سنة ١٢٨ ق . م سار هركانس في صحبتهِ وتأخر عن جيش انطيوخس حين هزيمتهِ فعاد سالماً وانتهز الفرصة لاعادة استقلالهِ ولم يخضع لملوك سورية لتشويش امورهم. وكان ذلك سنة ١٢٨ ق . م

ولما انتظم لهركانس امر المملكة عمد الى اخضاع القبائل المجاورة فاستولى على ما كان لبني اسرائيل من عبر الاردن وأوصل

تخومهُ الى البحر المتوسط ثم اغار على الادوميين الذين تعدَّوا على تخوم اليهودية الجنوبية واجبرهم على الختان وسائر سنن اليهود ليزيل جنسيتهم وكان اليهود قد احتملوا مشقات ثقيلة من تسلط دولة الادوميين عليهم

واخضع هركانس السامريين وخرب هيكلهم على جبل جرزيم لمضي مئتي سنة بعد بنائهِ واراد بذلك ابادة تلك العبادة الفاسدة التي كان السامريون يعيّرون اليهود بها . وحاصر مدينة السامرة وضايقها فاستصرخ اهلها ملك سورية الذي امدهم بجيشٍ فلما عرف بقدومهِ ابنا هركانس القائمان بحصار المدينة اسرعا الى لقاء جيش السوريين وهزماهُ ثم رجعا الى السامرة فساءَت حالها واشتد ضيقها فسلَّمت سنه ١٠٩ ق.م. فخربها هركانس وتركها بلقعاً وضم ارضها الى مملكتهِ واضاف اليها الجليل فصارت مملكة ذات شان تكاد تكون كمملكة داود وزخرف هركانس اورشليم وحصنها وعظم شانهُ كثيرًا لكنهُ حدث في اواخر ملكهِ مشاجرات اقلقتهُ وانشقَّت بها الامةّ بعد موتهِ . وصدر ذلك الانشقاق من الفريسيين والصدوقيين وكان هركانس من الفريسيين وهم فرقة شديدة التعصب والتمسك بفرائض الدين وقد زادوا على ما رُسم في التوراة شيئاً كثيرًا وحدث ذات يوم ان هركانس أَولم لارباب

تلك الشيعة وفي اثناء سرورهم خاطبهم في شان حكمهِ الديني والسياسي وابان لهم انهُ طالما بذل جهدهُ في نفع الامة وقال لهم ان كان عليهِ شيء فليقدموهُ فاثنوا عليهِ ثناءً حسناً لكنَّ احدهم كان رجلاً رديئاً واسمهُ العازار نهض وقال لهُ ان اردت ان تسلم من الغلط والعيب فاعتزل رتبة الكاهن الاعظم واكتفِ بالملك السياسي فقال ما سبب ذلك قال سمعنا من اجدادنا ان امك كانت سبيَّةً في ايام انطيوخس ايفانيس وبحسب قواعد الشريعة غير مباح لك تقلد هذه الوظيفة. ثم تحقق ان والدتهُ لم تكن سبية كما قال وغضب على العازار وغضب الشعب عليهِ وكانوا يريدون قتلهُ على هذه الاشاعة الباطلة واغتاظ هركانس ومن معهُ من ذلك الافتراء الشنيع غير انهُ ظنَّ ان ذلك لم يكن من المتكلم وحدهُ وان الفريسيين هم الذين اغروهُ بهِ فاتهمهم وقوَّى ظنهُ ذلك الصدوقيون لحقدهم فنشأ الانشقاق وصار بعد قليل علة شرٍّ عظيم ومات هركانس سنة ١٠٦ ق . م . بعد ان ملك ٣١ سنة وكان كاهناً اعظم

ولم يقم بعدهُ من حكى المكابيين في الحمية والاباءَة واخذت الدولة التي اسسها سيمون تتوغل في الشرور وتضعف الى ان انقرضت ولُقِّبَت بالاسمونية او الحشمنية تميزًا عمَّن سبقها من

المكابيين الذين لم يسموا ملوكاً

وقام بعد هركانس ابنهُ أرستبولس وهو اول من لبس التاج من دولتهِ واتخذ كل ما يتعلق بالملك بخلاف من سلفهُ فكان رئيس الكهنة ايضاً وهو الملك الاول من العائلة الحشمونية بعد مرور ٤٦٠ سنة وثلاثة شهور بعد رجوع اليهود من سبي بابل وروي في بعض التواريخ ان اول ما فعلهُ بعد ملكهِ انهُ اعتقل امهُ واخوتهُ سوى أنتغنس فانهُ احبهُ واكرمهُ لكنَّ الناس سعوا بهِ الى الملك واتهموهُ بانهُ يريد الملك فحقد عليهِ ارستبولس ووضع لهُ كميناً بقرب باب قصرهِ وامر بقتلهِ ان اتى متسلحاً لكنهُ بعث اليهِ يخبرهُ بما امر اذ لم يرد موتهُ لحبهِ لهُ اما زوجتهُ فقيل انها اغوت الرسول ان يخبر بخلاف ذلك لانها حقدت على انتغنس فوقع بالكمين وهلك وكان الملك مريضاً وداؤُهُ شديداً فلما علم بموت اخيهِ ندم واضطرب لما اتاهُ من الظلم · فانفجر احد عروقهِ وسال دمهُ من فيهِ وحمل احد غلمانهِ الدم في طاس الى خارج واتفق انهُ عند وصولهِ الى حيث سفك دم انتغنس زلَّت قدمهُ فوقع الطاس من يدهِ فسال دم الملك وامتزج بدم اخيهِ فصاح الغلام وبلغ خبرهُ الملك فاستولى عليهِ الروع الشديد فهلك بعذابٍ لا يوصف سنة ١٠٥ ق·م

وخلفهُ اخوهُ اسكندر ينيوس ولما انتظم لهُ الامر اراد افتتاح غزة وصور وبطلمايس وهاجم بطلمايس اولاً فاستنجدت بطلميوس لاثرُس ملك قبرس فاجاب الطلب واتى بجيش عظيم وكانت الكرة على اسكندر وقتل من اليهود نحو ٣٠٠٠٠ فاستصرخ كليوباترا ملكة مصر فسارت الى اليهودية لمعونتهِ اذ توقعت الشر من لاثرس اذا ظفر . ولما اتت انقذت اسكندر من الهلاك غير انها ارادت ان يخضع لها فاستدعتهُ لمحلها بغية القبض عليهِ والاستيلاء على مملكتهِ لكنهُ منعها من ذلك بعض اليهود من قوادها . وكان ذلك سنة ١٠١ ق.م. فنجا اسكندر وتمكن من التسلط على اليهودية وعلى بعض المدن التي لم تكن خاضعة لهُ قبلاً ومنها غزة افتتحها غيلةً واحرقها وقتل كثيرين وابدى في سياستهِ من الظلم ما حمل الناس على بغضه ولاسيما الفريسيون الذين وقع الخلاف بينهم وبين ابيهِ كما مر. وحدث انهم رموهُ في عيد المظال بالترنج وعيروهُ انهُ ابن فاجرة ولا تليق لهُ وظيفة الكاهن العظيم فحمي غضبهُ وقتل ٦٠٠٠ منهم ولم يركن الى شعبهِ بل استأجر عسكرًا اجنبيًّا يحميهُ وشن الغارة على العرب سنة ٩٤ ق . م . فغلب اولاً لكنهُ انهزم اخيرًا ولما رآهُ الناس على هذا الحال خانوهُ وبقيت الخيانة ست سنين فقتل اسكندر نحو خمسين

الفاً من اليهود فلاذ بعضهم بديمتريوس ملك سورية فقدم الى شكيم فخرج اسكندر لمحاربتهِ وانكسر وهلك اكثر مستأجريهِ وتقهقر اليهود وهرب اسكندر الى الجبال وكان مشرفاً على الهلاك لكن اليهود الذين خانوهُ ولاذوا بديمتريوس لم يريدوا انهُ يستولي على اليهودية فخذلوهُ فرجع اضطراراً الى الشام وكان ذلك سنة ٨٩ ق٠م٠ ثم عاد اسكندر وقتل عدداً عظيماً من العصاة واخذ البعض اسرى الى اورشليم ولما كان يسرُّ مع سراريهِ في وليمة التذكار لنصراتهِ دعا ٨٠٠ رجل منهم وصلبهم على مرأى من الجميع وامر بذبح نسائهم واولادهم امام اعينهم فهجر لهذا الجور الوطن نحو ثمانية آلاف لكنهُ أَمن الخيانة بعد ذلك وسار لمحاربة بعض القبائل شرقي الاردن فمات في اثناء محاصرتهِ حصناً هنالك سنة ٧٨ ق ٠ م

ولما ايقن حلول الاجل استدعى اسكندرة امرأتهُ واوصاها ان تستولي على الملك بعدهُ وتصالح الفريسيين وتلاطفهم اذ تحقق ان لا سلام ولا راحة لمن لا يسالمهم ٠ فسلكت اسكندرة كما اشار عليها وسلمت نفسها لمشورتهم فاقاموا لاسكندر جنازة فاخرة وعضدوا يدي اسكندرة

وكان لاسكندر ابنان هركانس وأَرستبولس حصل بينهما

خصام شديد على وظيفة رئاسة الكهنوت العظمى ثم تصالحا في بيت المقدس امام الكهنة فصار الاول وهو البكر رئيس الكهنة وصار الثاني قائد الجيوش . اما الفريسيون فلما غلظ امرهم اخذوا ينتقمون من الصدوقيين الذين ضايقوهم ايام الملك السابق فقتلوا من شاؤوا منهم باذن الملكة وكان هركانس من حزبهم واما ارستبولس فعكف على الصدوقيين وطلب الى امهِ ان تحميهم من جور الفريسيين فسلمت اليهم اكثر الحصون في البلاد فامتنعوا فيها وكان عاقبة ذلك انهم اختلفوا بعد موتها الاَّ انها استراحت في ايامها لفطنتها في معاملة الحزبين . ولما رأى ارستبولس امهُ قد قربت من الوفاة عزم على اختلاس الملك عند موتها دون اخيهِ الاكبر فخرج من اورشليم ليلاً وانطلق الى الحصون حيث كان اصحابهُ واظهر قصدهُ فاجتمعوا اليهِ جميعاً وماتت امهُ سنة ٦٩ ق . م وهو مستولٍ على اكثر الحصون

وملك هركانس من بعد امهِ وخرج لمحاربة ارستبولس فانهزم ولجأَ الى اورشليم واتى اخوهُ وحاصرهُ فيها ولما كان هركانس غير راضٍ بالحرب عرض على اخيهِ المسالمة على شرط ان يكون الحبر الاعظم وارستبولس ملكاً فاجابهُ ارستبولس الى ذلك وصار ملكاً سنة ٦٩ ق . م

ثم ظهر انسان ادومي اسمهُ انتيباتر وكان قد هاد في عهد اسكندر فولاَّهُ على ادومية وكان غنيًّا ورغب في الارتقاء والرئاسة فلما رأَى ما في هركانس من اللطف والبساطة ملَّقهُ وذم لهُ باخيهِ وقال انهُ قد ظلمهُ بان حرمهُ الملك بغير حق وما اتى تلك الفتنة الاَّ ليهيج هركانس على اخيهِ فيحاربهُ فيفوز هو بان يكون وزيرهُ فلم يبال هركانس بما قال فأَخذ يقنعهُ بان اخاهُ يريد قتلهُ واشار عليهِ ان يلجأَ الى الحارث ملك العرب فيخفرهُ لانهُ كان صديقًا لانتيباتر ففعل هركانس ذلك خوفًا فرحَّب بهِ الحارث وحملهُ انتيباتر على ان يحارب ارستبولس . فسار الحارث في خمسين الف مقاتل الى اليهودية وغلب ارستبولس وحاصر اورشليم وبذل قوم هركانس جهدهم في افتتاحها واتوا بشيخ مشهودٍ لهُ بالتقوى يسمى مونيو اعتقدوا انهُ مستجاب الدعاء وسأَلوهُ ان يطلب الى الله ان ينصرهم على ارستبولس ويفتح المدينة فابى الشيخ ان يدعو على اخوتهِ بالشر ولما الحوا عليهِ قال يا الله ملك الكون اطلب اليك انك لا تستجيب لدعاء الفريق الواحد على الآخر فصاحوا بهِ وقتلوهُ فادركهم العقاب سريعًا فانهُ اتى سورية حينئذٍ إِسكارُس نائب بمبيوس عظيم رومية ليستولي عليها فبعث الفريقان الوفود اليهِ يستنجدانهِ ولما رأَى اسكارس ان ارستبولس كان صاحب اورشليم

واقدر على الرشوة سمع لهُ وامر هركانس وقومهُ ان يفرجوا عنهُ فاطاعوا ولما ارتد الحارث مع جيشهِ حشد ارستبولس جنودًا وتبعهُ وضربهُ ضربة شديدة فانتقم منهُ كما اراد وكان ذلك سنة ٦٤ ق.م

ثم قدم بمبيوس واقام في دمشق فوفد عليهِ ارستبولس وهركانس وقدما لهُ الاكرام والهدايا النفيسة وكان من جملة ما اهداهُ ارستبولس جفنة من ذهب عجيبة الصنعة قيمتها ٥٠٠ وزنة ورفع كلٌّ منهما دعواهُ اليهِ بالملك. فلم يسمح لاحدٍ منهما في اول الامر بل امرهما ان يخضعا لهُ الى ان يفرغ من محاربة العرب وشرع في ذلك سنة ٦٣ ق . م

اما ارستبولس فظن ان بمبيوس يميل الى حزب اخيهِ فخرج عليهِ واستعدَّ لمقاومتهِ فحوَّل بمبيوس عن المسير الى العرب ودخل اليهودية واكره ارستبولس على تسليم جميع حصونهِ فهرب حينئذ الى اورشليم واعتصم فيها لكنهُ لما قدم بمبيوس خرج اليهِ وسلمهُ المدينة اما الكهنة فلاذوا بالهيكل الذي كان غاية في الحصانة وامتنعوا فيهِ فالتزم بمبيوس ان يقيم عليهِ الادوات المنجنيقية وطال الحصار لان الكهنة دافعوا عنهُ بشدة وعنف لكنهم كانوا يقعدوا عن ذلك في السبوت فانتهز الرومانيون الفرصة ليقربوا الى الاسوار ويضربوها فبقي الحصار نحو ثلاثة اشهر وكان الكهنة في اثناء

ذلك يقومون بالفروض الدينية غير مكترثين لما يجري حولهم من القتل والويل ولما كانوا يفرون من تلك الواجبات كانوا يخرجون للقتال و يبدون من البأس ما يحيّر الأعداء ولما تمكنت المجانيق من ثقب الاسوار دخل الرومانيون الى الهيكل واعملوا السيف بلا شفقة فقتلوا اصحابهُ وهم يخدمون المذبح ودخل پمپيوس الى قدس الاقداس فاخذهُ العجب والحيرة اذ لم يرَ فيهِ شيئاً لانهُ كان يظن انهُ لابد من تمثال لاله اليهود كما لسائر الامم فلم يعلم ان اليهود يعتقدون ان الله لا يُرى ولا يمثَّل واعجبتهُ الذخائر الفاخرة التي وجدها في الهيكل لكنهُ احترمها ولم يسلبها وكان ذلك سنة ٦٣ ق · م · قيل ان كل السبب في تقهقر اليهود وانحطاطهم الخصام الذي كان بين هركانس واخيهِ ارستبولس وعدم اتحادهم فتمكن لذلك اعداؤُهم منهم

خضعت اورشليم واليهود لرومية واقام پمپيوسُ هركانس حبرًا و رئيساً سياسياً على انهُ يطيع رومية غيرانهُ فصل عن حكمهِ كل ما استولى عليهِ المكابيون خارج اليهودية · واقام اسكارس حاكمًا عامًّا على كل سورية من الفرات الى تخوم مصر · ثم توجه پمپيوس الى رومية واخذ معهُ ارستبولس واولادهُ وهم اسكندر وانتغنوس وابنتان اما اسكندر فنجا ورجع الى اليهودية وحشدجيشاً

سنة ٥٧ ق٠م٠ واستولى على بعض الحصون واخذ يغزو البلاد فأَتى القائد غابينيوس من قبل الرومانيين فلم يلبث ان قهرهُ والزمهُ ان يمتنع في حصونهِ ولما ضاق بهِ الامر طلب اليهِ الامان ووعدهُ بتسليم جميع حصونهِ فامنهُ غابينيوس من اجل أُمهِ التي كانت امينة للرومانيين وثبَّتَ هركانس في رئاستهِ الاَّ انهُ غيَّر نظام السياسة بأَن الغى المجمع العام وقسم البلاد الى خمسة اقسام واقام في كل قسم منها مجمعاً تدبر اموره تحت نظر الرومانيين فبطل حكم الملوك ولكن امور البلاد لم تسكن لان ارستبولس نجا من رومية ومعهُ انتغنوس وصار يرمم الحصون ويجمع العساكر واجتمع اليهِ اناس فقابلهم الرومانيون فانهزم ارستبولس وانتغنوس ووقعا في يد غابينيوس فارسلهما الى رومية واعتقل ارستبولس هناك اما اولادهُ فافرج عنهم لتوسلات امهم التي سرَّ بها غابينيوس كثيرًا ولما ذهب هذا القائد الى مصر انتهز اسكندر المذكور الفرصة وجمع ما تيسر لهُ من العسكر وطفق يقتل الرومانيين حيثما التقى بهم اذ كانوا قليلين في البلاد وحاصر من نجا في حصنهم على جبل جرزيم فلما بلغ الخبر غابينيوس رجع وضرب اسكندر وقومهُ وقتل عشرة آلاف منهم وبدد شملهم فقهر اسكندر وفرَّ لا يأْمل النجاة وكان ذلك سنة ٥٦ ق٠م

ثم عاد غابينيوس الى رومية وخلفهُ قرسس فنهب الهيكل وسلب اليهود وظلمهم ظلمًا شديدًا . ثم سار الى مقاتلة الفرثيين فهلك فرأى اليهود في ذلك عقوبة كفرهِ وتعدياته على هيكل الله سنة ٥٣ ق . م . ولما هلك قرَسس نجا قسيوس احد قوَّادهِ فرد الفرثيين عن سورية وقدم الى اليهودية واخضعها واخضع اسكندر واثبت انتيباتر على ما كان عليهِ من السطوة فبقي مشيرًا لهركانس وتقوَّى انتيباتر الى ان تمكن نسلهُ من التسلط على اليهودية وظلت الحال كذلك الى ان ملك يوليوس قيصر فافرج عن ارستبولس وجهزهُ الى اليهودية ليعضد حزبهُ فيها فقتل قبل وصولهِ . اما اسكندر فحشد وهو يتوقع مجيئهُ جيشًا وافرًا فقبض عليهِ ميتُلس شبيون والي سورية قبل پمپيوس وجزَّ رأسهُ في انطاكية سنة ٤٩ ق . م . فلم يبقَ من بني ارستبولس الاَّ انتغنوس فخضع لقيصر وظن انهُ يفوز بملك اليهودية بعد قتل پمپيوس واما انتيباتر نتاثر الادومي فكان ذكيًّا لبيبًا فلما رأى امر پمپيوس متأخرًا بذل جهدهُ في موازرة قيصر وسار في جيش الى مصر عندما تضايق قيصر في الاسكندرية وعضد أمرهُ واشتهر كثيرًا بشجاعتهِ في القتال حتى قيل ان فوز قيصر يومئذٍ توقف عليهِ ولما عرف هذا ما كان منهُ من الشجاعة والنجدة لهُ انعم عليهِ بما اراد من ملك اليهودية دون انتغنوس

وغلظ امر انتيباتر كثيراً بان ايده ُ قيصر فتسلط على هركانس وتصرف كما شاء ومنحهُ قيصر رعوية رومية واقامهُ نائباً لهُ في اليهودية سنة ٤٨ ق ٠ م ٠ وكان لهُ اربعة من البنين منهم فسايل فرأسهُ على مدينة اورشليم وهيرودس على الجليل وهو لم يجاوز سن الخامسة عشرة فصار ملك اليهود الى يد هذا الادومي وبنيهِ مع ان هركانس استمر رئيس الكهنة وعظيم الامة في الظاهر

ولم يسرَّ الناس بانتيباتر واولادهِ فاشتكوهم الى هركانس وتظلَّموا منهم وحرضوهُ على طردهم من مقامهم ولاسيما هيرودس لانهُ ظلم الرعية ظلماً فاحشاً وقتل اناساً من اليهود فطلبوهُ للمحاكمة امام مجمع السبعين في اورشليم فاتى مع شُرَطهِ وكل علامات المجد والفخر ولما جرت المحاكمة لم يجسر احد ان يشهد عليهِ فانفضَّ المجمع ولم يحكم عليهِ بشيءٍ فخرج يتوقد غضباً من اعدائهِ واضمر النقمة فحشد جيشاً وزحف بهِ الى اورشليم لكنهُ رجع عنها بمشورة ابيهِ ٠ ثم اضطربت اليهودية بسبب قتل قيصر فان قسيوس احد القائمين عليهِ اتى وضرب على البلاد الجزية واجبر انتيباتر واولادهُ على ان يجمعوها لهُ فحقد عليهم الناس فاحتال بعضهم على انتيباتر وقتلهُ ٠ وقام هيرودس وانتقم لابيهِ ولم يقدر هركانس ان يمنع هذه الامور لضعفهِ فتسلط عليهِ هيرودس ولما اخذ اوغسطوس

وانطونيوس الرئاسة في رومية قام انتغنس بن ارستبولس وجمع جيشاً بغية ان يسترجع مملكة ابيهِ فهزمهُ هيرودس فاكرمهُ هركانس كثيرًا وتزوج هيرودس سنة ٣٧ ق ٠ م ٠ مريمنة ابنة اسكندر بن ارستبولس وهي بنت ابنة هركانس ايضاً واتى ذلك ليدّعي الحقّ في الملك ويجمع بين بيتي هركانس وارستبولس

وجاءَ انطونيوس الى سورية بعد حرب فيلبي سنة ٤٢ ق٠م وهي الحرب التي قُتل فيها بروتس وقسيوس فاقام هيرودس واخاهُ فسايل على امور اليهود وجعل كلاًّ منهما رئيس ربع ٠ فكره كثيرون سلطتهما وسعوا بهما الى انطونيوس فلم يصغِ اليهم بل قتلهم

ثم ذهب انطونيوس الى مصر وهام في عشق كليوباطرا فقدم الفرثيون واستولوا على سورية فنهض انتغنس بن ارستبولس واعطى قائد الفرثيين دراهم كثيرة و٥٠٠ جارية وسألهُ ان يفتتح اليهودية و يعزل هركانس وهيرودس واخاهُ ويقيمهُ على الملك فاجابهُ الى ذلك وجهَّز الجنود وزحف بهم الى اليهودية فاستولى عليها سوى أُورشليم فحاصرها مدة فلم يستفد شيئاً ثم اعتمد انتغنس وقومهُ المكر فكتبوا الى هركانس وقومهِ يسألونهُ المصالحة واغروا هركانس وفسايل بان يذهبا الى كبير الفرثيين بعهد الأَمن فينصف بين

الفريقين بعد الفحص فاحتسب هيرودس المكر فلم يذهب ولما وصل هركانس وصاحبهُ الى كبير الفرثيين قبض عليهما فبلغ الخبر هيرودس فهرب هو وعائلتهُ ولجأً الى بعض الحصون في ادومية فغزا الفرثيون البلاد وسلموها الى انتغنس بمقتضى الشرط واستودعوهُ هركانس وفسايل فانتحر فسايل يأساً وجدع انتغنس اذني هركانس ليمنعهُ من رئاسة الكهنة لان اليهود توجب ان يكون الكاهن بلا عيب في الجسد ثم بعثهُ الى الفرثيين فاستحيوهُ . اما هيرودس فاستودع عائلتهُ اخاهُ يوسف وهرب الى مصر ثم الى رومية مستصرخاً . وملك انتغنس على اليهودية مدة ثلاث سنين بين سنة ٤٠ وسنة ٣٧ ق . م

ولما بلغ هيرودس رومية ودَّهُ انطونيوس كثيرًا فاتفق مع اقتاڤيوس على ان يولّياهُ اليهودية مع ان هيرودس طلب الملك لصهرهِ ارستبولس وهو حفيد ارستبولس السابق وهركانس ولكن لما رأى انطونيوس ان يملّك هيرودس قبل بفرح ورجع الى الشرق مع انطونيوس وقد امدَّهُ بعسكرٍ الى اليهودية ولما وصل اليها كان الرومانيون قد طردوا الفرثيين وكان انتغنس محاصرًا مسَّادَ الحصن حيث ترك هيرودس عائلتهُ واخاهُ كما مرَّ فما لبث ان طرد انتغنس وخلصهم ثم حاصر اورشليم ولم يتمكن من افتتاحها الاَّ

بمساعدة الرومانيين . اما سولو قائدهم فافسدهُ انتغنس بالبراطيل حتى اعاق هيرودس كثيرًا فلم يبلغ مرادهُ حينئذٍ لكنهُ حارب ادومية واخضع جانباً منها واستولى على السامرة وهاجم اللصوص الكثيرين الذين سكنوا كهوف الجبال في الجليل واضروا الناس كثيرًا وسمع ان انطونيوس تضايق في حرب الفرثيين فسار لنجدتهِ وكسر فرقة من العدو كمنت لهُ في الطريق ولحق بانطونيوس فاكرمهُ لشجاعتهِ ورغبتهِ في معونتهِ فلما عاد امدَّهُ بعسكرٍ لينصرهُ على انتغنس وكان قد قتل يوسف اخو هيرودس فاغتاظ هيرودس وبذل جهدهُ في اخذ الثار وحمل في بعض المعارك على الاعداء بشجاعة وبأس فولوا منهزمين فهابهُ الناس وانحاز كثيرون اليهِ واستولى على البلاد سوى اورشليم فحاصرها سنة ٣٧ ق. م فقاومتهُ اشد المقاومة وطال الحصار نحو ستة اشهر فاغتاظ الرومانيون ولما دخلوا قتلوا ونهبوا فاوشكت المدينة ان تخرب لكثرة العسكر فاشتكى هيرودس الى قائدهم قائلاً ان لم تمنع الجنود عن القتل والنهب وليتني خرابًا يبابًا لا مدينة واعطاهُ مالاً وافرًا فردَّ الجنود فسألهُ انتغنس الأَمان باكيًا فضحك عليهِ القائد وقيَّدهُ واخذهُ الى انطونيوس فقطع رأسهُ فهو آخر من ملك من بيت حشمناي وقتل سنة ٣٧ ق٠م اي بعد ١٣٠ سنة لنصرات يهوذا و٧٠ سنة

للبس ارستبولس الاول التاج وكان انتغنس آخر تلك الاسرة فانقرضت بموتهِ دولة المكابيين وانتقل الملك الى هيرودس الكبير نسيبهم

وقد كان عصر المكابيين من العصور التي اجلى فيها اليهود عن شجاعة وبسالة عظيمتين فعاودتهم النخوة الوطنية والغيرة الدينية التي كانت قد خمدت فيهم اثناءَ السبي وبعدهُ واظهروا للملإ قاطبةً انهم لم يعدموا تلك الصفات التي ميَّزت اسلافهم ايام غزوا ارض كنعان وطردوا اهلها منها وحلُّوا محلَّهم يحمون حوضهم ويدفعون اعداءهم الكثيرين عنهم على ان ذلك العصر لم يطل لوقوع النزاع الاهلي وانقراض تلك الاسرة الباسلة وعدم قيام غيرها مثلها بين اليهود تتولى زعامتهم وتقود جيوشهم الى مواقع النصر والظفر وكان الرومان قد شرعوا يوسّعون سلطتهم ويبسطون ظلَّهم ويمدُّون تخومهم فلم يكن ينتظر ان تقف جماعة اليهود على ما بهم من الضعف الداخلي وقلَّة العدد سدًّا حائلاً في سبيل نصرتهم وفوز جيوشهم على كثرتها وحسن تدريبها بعد ان تغلَّبوا على جزءٍ كبير من العالم واخضعوا لصولتهم اكثر انحاءِ المعمور في تلك العصور

جدول رؤَساء المكابيين

جدول رؤَساء المكابيين

	الاسم	سنة قيامهِ قبل الميلاد	تاريخ عبري
٠١	متَّاثياس	١٦٧	٣٦٢١
٠٢	يهوذا ابنهُ	١٦٦	٣٦٢٢
٠٣	يوناثان اخو يهوذا	١٦٠	٣٦٢٨
٠٤	سمعان اخو يهوذا ايضاً	١٤٣	٣٦٣٧
٠٥	هركانس الاول ابن سمعان	١٣٤	٣٦٤٢

ملوك المكابيين

	الاسم	سنة قيامهِ قبل الميلاد	تاريخ عبري
٠٦	ارستبولس الاول ابن هركانس	١٠٥	٣٦٦٥
٠٧	اسكندر ينيوس اخو ارستبولس	١٠٤	٣٦٦٦
٠٨	الكسندرة امرأتهُ	٧٧	٣٦٨٨
٠٩	هركانس الثاني ابن ينيوس	٦٩	
١٠	ارستبولس الثاني ابن ينيوس	٦٧	٣٦٩٧
١١	هركانس الثاني ايضاً	٦٣	٣٧٠٠
١٢	انتغنس بن ارستبولس الثاني	٣٧	٣٧٢١

الهرادسة

قلنا ان هيرودس تولّى ملك اليهود بعد المكابيين وهو هيرودس الاكبر باني قيصرية على شاطئ البحر المتوسط ومرمّم السامرة التي هي سبطية (لاتينية معناها اغسطس اي المجيد) وهو مجدّد بهاءَ هيكل اورشليم المشهور وظلَّ العمل فيهِ نحو ٤٦ سنة حتى جاءَ في غاية الفخامة والجمال وكان يتقرَّب بهذه الاعمال الى اليهود اما هم فلم يحبوهُ لكونهِ ادومياً اجنبياً عنهم ومات في السنة الرابعة قبل الميلاد [1] ولهُ احاديث تدل على سوءِ اخلاقهِ وافعالهِ وقسوتهِ البربرية لا موضع لذكرها هنا اشهرها قتلهُ مريمنة زوجتهُ واخاها وجدها هركانس وابنيها اسكندر وارستبولس وأُصيب في اخريات ايامهِ بمرض قتال ذاق منهُ صنوف الآلام والعذاب وتوالى على الملك بعدهُ خمسة من نسلهِ كان لبعضهم شأن في تاريخ الديانة النصرانية وكان

(١) التاريخ الميلادي الشائع متأخر عن التاريخ الحقيقي ٤ سنوات فسنة ١٩٠٢ يجب ان تكون سنة ١٩٠٦ من الميلاد وعليهِ فهيرودس الكبير توفي في السنة الاولى للميلاد وانما تابعنا المؤرخين في تعيين سنة موتهِ لشيوع هذا الاصطلاح عندهم جميعاً عند تعيين الحوادث بالتاريخ الميلادي

بعضهم كهيرودس الكبير هذا في الاخلاق والطباع وحب الابهة والفخفخة وبعضهم عادلاً عفيفاً نزيهاً وانتهى ملكهم سنة ١٠٠ ب٠م٠ ولم يحدث في ايامهم حوادث ذات شأن ولذا اغفلنا بسط الكلام عنهم وكان لهم وقائع مع امبراطرة رومية لا علاقة لها بتاريخ اليهود مباشرةً فلتطلب في اماكنها من تاريخ الرومان

على انَّ اليهود لم يخلدوا الى السكينة بعد دخولهم في طاعة الرومان وشقَّ عليهم ان تحتلَّ جنود الاجانب عاصمة ملكهم وبيت مقدسهم فكانوا تارةً يتهددون الولاة وطوراً يطردون الجند الروماني من اورشليم وآونةً يظهرون الرضا بحكم الامبراطرة عليهم الى ان توفي هيرودس اغريباس الملك ابن ابن هيرودس الكبير وعقبهُ ولاة رومانيون اكثرهم ظالمون عتاة فلم يهتموا بشؤُون اليهود بل عاملوهم بالقسوة وساموهم الخسف حتى عيل صبرهم فرفعوا امرهم الى رومية ولمَّا لم يأْتهم منها الفرج تظاهروا بالعصيان واحدثوا شغباً عظيماً فارسلت اليهم رومية قائدها المحنك فسپاسيان فحاصر اورشليم وحارب اليهود وظلَّ على قتالهم الى ان انتخبهُ الجيش الروماني امبراطوراً فخلف ابنهُ تيطس على الحصار وقتال اليهود وكان تيطس هذا قائداً مدرَّباً وبطلاً مجرَّباً ذاق منهُ اليهود الامرَّين ولقي منهم من المقاومة والدفاع والثبات في الحرب والحصار ما كاد

يثنيهِ عن عزمهِ من اخضاعهم لكنهُ ثابر على منازلتهم بالجنود الرومانية المشهورة ومني اليهود بالانقسام الداخلي والفتن والمنازعات بينهم حتى ضعف امرهم وتقلَّص ظلهم وتقوَّى تيطس عليهم فمزَّق شملهم ودخل اورشليم فدكَّها دكًّا ودمَّرها تدميرًا ومات من اليهود في ذلك الحصار نحو مليون نفس فسالت الدماء كالانهار وابدى اليهود من البسالة ما لو كان لهم مثلهُ من الوفاق والوئام لقهروا تيطس وجيوشهُ واجلوهم عن اليهودية واعادوهم الى رومية مدحورين مخذولين . وقد فصَّل يوسيفوس المؤَرخ الشهير قصة تلك الحرب ونحن ننقل طرفًا ممَّا كتبهُ في هذا الشأن منقولاً عن مجلَّة المقتطف التي استخلصتهُ من اوثق المصادر ومنهُ يتضح شدة المقاومة التي لقيها تيطس في حربهِ هذه ممَّا شاب لهولهِ الولدان ولم يلقَ الرومانيون مثلهُ الاَّ في حروبهم مع القرطاجنيين يوم كان يقودهم هنيبال المشهور الى مواقع الظفر

قال يوسيفوس : فسار تيطس نحو المدينة اي اورشليم ولم يرَ احدًا امام ابوابها ثم التفت ليدور حولها واذا بجمهور غفير من اليهود خرج من الباب المقابل لهُ وفصل بينهُ وبين رجالهِ فلم يبقَ معهُ الاَّ نفر قليل منهم وتعذر عليهِ التقدم الى ما امامهُ لأَنَّ في الارض جدرانًا قائمة في طريقهِ وخنادق عميقة وتعذر عليهِ الرجوع الى

رجاله لان اليهود فصلوا بينهُ وبينهم لكنهُ لم يرَ لهُ سبباً الى النجاة الاَّ بالرجوع على اليهود فادار جوادهُ ونادى بالذين معهُ ليتبعوهُ واستلَّ سيفهُ واقتحم جموع الاعداء والنبال تنصبُّ عليهِ وهو بلا درع ولا خوذة وكان اليهود يزدحمون عليهِ فيزيق بهم ويحمل عليهم حملة الابطال فيفرقهم شذر مذر والنفر القليل يحمون ظهرهُ . وظلَّ على هذه الحال الى ان تمكن من النجاة وسرَّ اليهود بهذا الظفر

ولما رأى اليهود ان جنود الرومانيين احاطوا بالمدينة لكي يسدُّوا خناقها قالوا ما لنا نشتغل بمحاربة بعضنا بعضاً عن مناجزة أعدائنا وقد احاطوا بنا احاطة السوار بالمعصم هلمَّ نخرج اليهم ونوقع بهم قبلما يتمكنون من نصب خيامهم واقامة الحصون حولها فاختطفوا اسلحتهم وخرجوا على الفيلق الاخير ... فلم يشعر الرومانيون الاَّ واليهود يتدفقون عليهم تدفقاً فبهتوا واركن بعضهم الى الفرار وبادر البعض الى اسلحتهم فقابلهم اليهود بالسيوف والحراب واوقعوا بهم ونمي الخبر الى تيطس فاسرع بشرذمة من نخبة رجالهِ وهجم على اليهود وقتل كثيرين منهم وهرب الباقون الى الوادي فتبعهم وامر ان تصطف فرقة من الجنود للقتال وتهتم الفرق الاخرى بنصب الخيام وتحصين المعسكر فلما رأى اليهود الرومانيين راجعين لتحصين المعسكر ظنوا انهم هربوا من وجوههم فاعادوا الكرَّة كانهم حجارة

تقذفها المجانق فهرب الرومانيون من وجوههم ولم يبقَ في الوادي الاَّ تيطس وبعض رجالهِ فالحوا عليهِ بالانصراف من وجه اليهود لانهم رأوهم مستقتلين فلم يلتفت اليهم وتطلع الجنود الذين على الجبل الى الوادي وشاهدوا تيطس فيهِ يحيط بهِ اليهود فكبر عليهم الامر وعلتهم حمرة الخجل فارتدوا عليهم بعزيمة صادقة وانقذوا قائدهم من مخالب الموت

واحتال اليهود على الرومانيين حيلة كادت تودي بكثيرين منهم . ذلك ان قوماً من الخوارج تظاهروا كأَن جماعة الشعب طردتهم من المدينة لاصرارهم على العصيان فخرجوا منها متضعضعي الحال وتظاهروا كانهم خائفون من أن يعرف الرومانيون امرهم فيوقعوا بهم ووقف اناس على الاسوار ينادون الرومانيين ويستأْمنون اليهم وكان الخوارج يرتدون الى الابواب قاصدين الدخول فيرشقهم هؤُلاء بالحجارة ويصدونهم عنها وانخدعت الجنود الرومانية بهذه الحيلة وظنت انها تقتل اولئك الخوارج ثم تدخل المدينة بامان لان الشعب استأْمن اليها ولم تنطلِ هذه على تيطس فامر جنودهُ ان يبقوا في مواقفهم لكن بعضهم كانوا بعيدين عنهُ ولم يسمعوا اوامرهُ فهجموا على الخوارج الى ان صاروا بين الاسوار وللحال خرج عليهم جمع غفير من اليهود واحاطوا بهم ورشقهم الذين على الاسوار

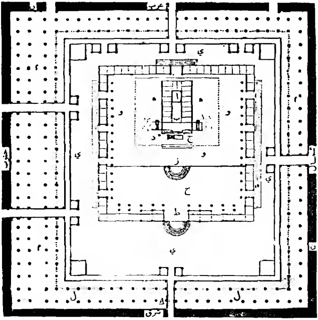
بالحجارة والسهام فقتلوا وجرحوا كثيرين منهم واسقط في يد الرومانيين وارتبكوا في امرهم خجلاً ودهشةً ولكنهم قالوا ان نحن عدنا مخذولين فليس امامنا الاَّ العقاب الشديد فقاتلوا مستبسلين وارتدوا رويداً رويداً فنجا كثيرون منهم

وقال يوسيفوس في موضع آخر مشيرًا الى الفتنة في المدينة "وكان مع شمعون في الاماكن العالية من المدينة عشرة آلاف مقاتل ما عدا الادوميين وهم خمسة آلاف. ومع يوحنا ستة آلاف مقاتل ما عدا الغيورين الذين انضموا اليهِ وهم الفان واربع مئة. وقد استولى يوحنا على الهيكل واصطلح هذان القائدان عند اول مجيء الرومانيين عليها ثم عادا الى الشحناء ونال اهالي المدينة منهما اكثر مما نالهم من الرومانيين. ويقال جملة ان الخوارج اهلكوا المدينة وان الرومانيين اهلكوهم" وقال في موضع آخر "ولما اتمَّ الرومانيون بناء حصونهم وضعوا عليها الكباش وجعلوا ينطحون الاسوار بها ورأى اليهود ذلك فايقنوا بالهلكة واصطلحوا بعضهم مع بعض وتناسوا ما بينهم من البغضاء وتحالفوا على مقاومة العدوّ. وكان الرومانيون قد وضعوا حول الكباش دبَّابات وقايةً لها وللذين يدفعونها فخرج اليهود ومزقوها وقتلوا الذين فيها. الاَّ ان تيطس لم يألُ جهداً فضاعف عدد الرجال وحماهم بالرماة ودامت الحرب

على هذا المنوال اياماً والكباش تنطح السور ولا تنال منهُ ارباً وخرج اليهود من باب خفي وحاولوا احراق الكباش والمجانق وسائر آلات الحصار واشتدَّ القتال بينهم و بين الرومانيين وكادوا يفلحون في احراقها لو لم يبادر تيطس بنخبة فرسانهِ و يقع عليهم و يقتل اثني عشر رجلاً منهم بيدهِ و يضطرهم الى الفرار والرجوع الى المدينة · ودامت الحرب سجالاً بين الفريقين واظهر كل فريق من البسالة ما يخلد ذكرهُ في صفحات التاريخ اما اليهود فلجسارتهم الخلقية ولخوفهم من الوقوع في يد الرومانيين · واما الرومانيون فلرغبتهم في ارضاء قائدهم تيطس وفي احراز الفخار ولانهم اعتادوا الظفر في مواقع القتال

وظلت الحال على هذا المنوال بين اخذ وردّ حتى وقعت المدينة في ايدي الرومانيين كما تقدم ولم يقبل اهلها ما عرضهُ عليهم تيطس من الامان فأُسر منهم نحو مئة الف ومات ما يزيد عن مليون قتلاً ومرضاً وجوعاً

صورة الهيكل في السنة الاولى للميلاد



معنى الاشارات في هذه الصورة

قدس الاقداس	ح دار النساء
ب القدس	ط الباب الجميل
ح مذبح المحرقة	ي دار الامم
د مرحضة النحاس	ك الباب الشرقي
ه دار الكهنة	ل رواق سليمان
و دار اسرائيل	م الرواق السلطاني
ز باب نيكانور	ن الحائط الخارجي

تفرق اليهود بعد خراب اورشليم

الى هنا ينتهي تاريخ الاسرائيليين كافةً فانهم بعد خراب اورشليم كما تقدم تفرقوا في جميع بلاد الله وتاريخهم في ما بقي من العصور ملحق بتاريخ الممالك التي توطنوها او نزلوا فيها وقد قاسوا في غربتهم هذه صنوف العذاب والبلاء فان الرومانيين حظروا عليهم دخول اورشليم الى ان تبوَّأَ القياصرة المسيحيون تخت المملكة الرومانية فاعاد قسطنطين الكبير لاورشليم اسمها بعد ان استبدل بغيره واهتمت امهُ الامبراطورة هيلانة بتنظيفها والنقب فيها وظلت البلاد في حوزة الرومان الى سنة ٦١٤ حين استولى عليها الفرس بقيادة كسرى الثاني وفي سنة ٦٣٧ دخلت في طاعة العرب المسلمين في خلافة الامام عمر واخذها صلاح الدين الايوبي من الصليبيين سنة ١١٨٧ وانتقلت في زمن الحروب الصليبية ثلاث مرات من الصليبيين الى المسلمين واخيراً امتلكها السلاطين العثمانيون مع جميع سوريا وسائر فلسطين وذلك سنة ١٥١٧ ولا تزال خاضعة لهم واكثر فلسطين اليوم وهو الجزء الجنوبي واقع ضمن متصرفية القدس وبعضها وهو الجزء الشمالي داخل في ولايتي بيروت والشام والمتصرف يقيم في اورشليم نفسها المعروفة بالقدس الشريف

ولا تزال ابصار اليهود تطمح الى اورشليم وفلسطين وهم يتخذون جميع الذرائع التي تمكنهم من العودة اليها فيضمون شتاتهم ويلمون شعثهم حتى تكون منهم امة تحتل بلادهم القديمة ومهوى افئدتهم حيث كان اجدادهم واسلافهم من قبلهم وفيها اليوم مستعمرات وملاجئ للاوربيين منهم ابتاعها لهم بعض مثريهم وكبار المحسنين منهم كبيت روتشيلد الشهير والبارون هرش وقد بنى المهاجرون منهم هناك البيوت واقاموا المعامل وزرعوا الاراضي على الطرق الحديثة وقد اخذوا يتقدمون هناك تقدماً واضحاً سريعاً وبعض اليهود في اوروبا يعمل على ابتياع فلسطين من الدولة العثمانية على ان دون ذلك موانع وحوائل لا محل لاثباتها هنا

وبعد خراب اورشليم على يد تيطس ظلّ قسم من اليهود في بلاد اليهودية ولم يمرّ بهم ثلاثون سنة حتى تقدموا وازداد عددهم واثروا وافلحوا ولكنّ حبّ الثورة عاودهم فانتقضوا على الرومان مرّة ثانية في بلدان مختلفة كقيروان وقبرص وما بين النهرين وفلسطين وذلك بين سنة ١١٥ وسنة ١٣٠ ب . م . لكنّ الرومان قهروهم واثخنوا فيهم قتلاً وذبحاً ونهباً واصبحت اليهودية قفراً بلقعاً فبلغ عدد المدن الخربة والقرى ٩٨٥ وهدم ٥٠ حصناً وابدل اسم اورشليم وحظر على اليهود السكن فيها كما تقدم وعقب ذلك عصر

راحة لليهود اذ تولَّى القيصرية الرومانية امبراطرة احسنوا معاملتهم واحلوهم محلاً رفيعاً واخذوا عنهم بعض طقوسهم كالختان والامتناع عن اكل لحم الخنزير وظلوا في عيش رغد من ختام القرن الثاني الى ان ملك قسطنطين الكبير سنة ٣٣٠ فعاودتهم المصايب والإِحَن

اليهود في بابل

وكان حظ الباقين منهم في بابل افضل من نصيب اخوانهم في اليهودية لاسيما تحت رعاية الدولة الفارسية فكان لهم امير منهم لقّب بامير السبي وكانوا ينتخبونهُ من بيت داود ويؤَدون لهُ واجب الاحترام والاكرام كملك وهو خاضع للدولة الفارسية واثرى كثيرون منهم في تلك البلاد واحترفوا الحرف الكثيرة فكان منهم التجار والصيارفة والصناع والحاكة والفلاحون والرعاة وكانوا امهر الناس في نسج الحلل البابلية المشهورة وقام منهم جمهور غفير من العلماء الاعلام ولا يعلم بالتأكيد ماذا حلَّ بالذين اوغلوا في الشرق منهم وانما يؤَكد ان جماعة منهم وصلوا الى الصين حوالي القرن الاول من التاريخ المسيحي وقد لقي مبشرو اليسوعيين بعض نسلهم هناك في القرن السابع عشر ويرجح من بعض الادلة انهم جاؤوا الصين عن طريق فارس والظاهر انهم اصابوا حظوة في عيون ملوك الصين فتولَّى بعضهم ارفع الوظائف الملكية والعسكرية

اليهود في اوربا

اما في اوروبا فلم يكن نصيبهم فيها مثلهُ في الشرق فان الامبراطرة المسيحيين والبابوات اخذوا يتسابقون في نشر الاوامر الصارمة بشأنهم لخضد شوكتهم فحظر عليهم ان يقبلوا مسيحياً في دينهم او يتزوّجوا من المسيحيات او يكون لهم عبيد مسيحيون وضُربت عليهم الضرائب الباهظة فلم تفلح جميع هذه الاوامر فظل اليهود يزدادون عدداً وثروةً وجاهاً وانتشروا في ايليريا وايطاليا واسبانيا ومنوركا وغاليا وفي المدن الرومانية على ضفاف نهر الرين واشتغلوا بالصناعة والزراعة والتجارة ومع ان قسطنطين الكبير لقبهم في منشور قيصري "بالشعب المكروه" فانَّ كثيرين منهم ارتقوا الى اعلى المراتب الملكية والعسكرية وكانت لهم محاكم خاصة بهم هذا فضلاً عمَّا كان لهم من النفوذ الناتج عن الغنى والعلم ولما تولى يوليانوس الملحد تخت الامبراطورية اسبغ نعمهُ عليهم واذن لهم ببناء الهيكل في اورشليم لكنهُ مات قبل ان تتحقق امانيهم من هذا القبيل ثم عقب ذلك عصر أُرهقوا فيهِ فصدر امرٌ في القرن الخامس للميلاد يحظر عليهم التجند في جيوش الامبراطورية ثم أُلغيت زعامتهم الدينية في طبرية وبعد سقوط الامبرطورية الغربية استراح الذين كانوا منهم في ايطاليا وسيسيليا وسردينيا فعاشوا دون ان يلحق

بهم اذًى . اما الذين كانوا في السلطنة الشرقية فانهم ذاقوا العناء واضطهدهم الافرنج والقوط الاسبانيون في القرنين السادس والسابع

اليهود في بلاد العرب

واسس اليهود في الجنوب الغربي من بلاد العرب مملكة كبيرة عظم شأنها في القرن الثاني قبل الميلاد وهي مملكة حمير ثم استولوا على اليمن وتعاقب على حكومتها ملوك منهم الى ان جاء الاحباش فطردوهم منها وادخلوا النصرانية وكانت بعض قبائل العرب تدين باليهودية فلما ظهرت الدعوة الاسلامية لقي زعيمهم منهم عداوة شديدة فحاربهم وقهرهم واستولى على خيبر سنة ٦٢٧ ب . م واجلى اليهود العرب الى سورية وكان اليهود ناعمي البال برعاية الخلفاء والامراء المسلمين الاَّ ان المسلمين اضطهدوهم مرتين في المغرب سنة ٧٩٠ وفي مصر سنة ١٠١٠ ب . م . وانما يقال بالاجمال ان المسلمين عاملوهم بالحسنى واللطف فنجح اليهود وافلحوا ونبغ في تلك العصور كثير من الاطباء والفلكيين والمنجمين والكتَّاب والشعراء والخطباء والفلاسفة لاسيما في الاندلس ولهم اليد الطولى بفضل العرب في حفظ بقايا معارف الاقدمين من اليونان والرومان ونشرها في اوروبا لاسيما الفلسفة وعهد اليهم الخلفاء بتعريب الكتب النفيسة في الطب وغيرهِ عن اليونانية وقد بقي شيءٌ من هذه الترجمات في العربية على ان الاصل اليوناني فقد تماماً

اليهود في اماكن مختلفة واحوالهم فيها

ولم يصادف اليهود في اوربا وغيرها من حسن المعاملة ما لقوهُ من المسلمين فكانت ايامهم في تلك القارة ايام محن ومصايب فان باسيل الثاني امبراطور القسطنطينية اثار عليهم اضطهادًا عنيفًا في القرن الحادي عشر ونقم عليهم الملوك الذين استولوا على بغداد بعد الخلفاء فقتلوا امير السبي ونكلوا باليهود ففرَّ جزءٌ كبير منهم الى اسبانيا واصاب الباقين من الذل والهوان ما اقعدهم عن طلب ما خسروهُ وكانت احوالهم في فرنسا مدة القرنين الثامن والتاسع احسن منها في غيرها لاسيما في باريس وليون ولانجودك و پروفنس فكان لهم نفوذ عظيم في بلاط الملك لويس المعروف بالدبونير على انهُ لم تكد السلالة الكارلوفنجية تستقر على سرير الملك حتى فاجأَهم الاضطهاد فقام عليهم الملوك والامراء والاساقفة واذاقوهم العذاب الوانًا. وظلَّ الامر كذلك من القرن الحادي عشر الى القرن الرابع عشر وتاريخهم في ذلك العصر سلسلة مذابح واضطهاد فكان اعداؤهم يشيعون عنهم اخبارًا سيئة وتهمًا كاذبة كاتهامهم اياهم بسرقة الجسد المقدَّس وسرقة اولاد المسيحيين وقتلهم والقاء السمّ في آبار الشرب وكان معظم كره معاصريهم لهم ناشئًا عن تعاطيهم اعمال الصيرفة والربا وقد قال احد كتاب الافرنج في ذلك ان

معظم اللوم في هذا الامر عائد الى جور الذين حظروا على اليهود اقتناء الاملاك والعقارات ونهوهم عن الاشتغال بالحرف فاجبروهم على توحيد اشغالهم واعمالهم وصرف همتهم واجتهادهم في مجرًى واحد على ان اعداءهم كانوا على الغالب يتخذون هذه التهم وسيلة للتخلص مما عليهم من الديون لليهود كما فعل الملك لويس اغسطس فان اليهود اقرضوا الحكومة والكنيسة مبالغ كبيرة من المال واسترهنوا منهما املاكًا ثمينة مقابل الدَّين فلما اعيا الملك ورجال الكنيسة الامر رأَوا ان يستنبطوا ذريعة يتملصون مما عليهم فاصدر لويس امرًا يقضي بالغاء ذلك الدَّين باسرهِ وبردّ الرهن واجبر اليهود على ارجاع صكوك الرهن وعقودهِ ثم امر بطردهم من فرنسا فطُردوا منها قسرًا بعد ان سلبهم اموالهم ظلمًا وعدوانًا لكنهُ عاد فرحَّب بهم بعد عشرين سنة لما بدا لهُ من الحاجة اليهم

مصايب اليهود

وامر لويس التاسع بالغاء ثلث ما كان لهم على رعاياهُ المسيحيين من الدين ثم اصدر ارادة ملكية بحرق جميع كتبهم المقدسة وقد قال احد المؤَرخين انهم حرقوا في باريس وحدها محمول اربع وعشرين مركبة من نسخ التلمود وغيرها · وفي عهد فيلِيب الجميل طُردوا من فرنسا واصابهم من القتل والنهب والظلم شيءٌ كثير

لكنَّ مالية البلاد تضعضعت بعد انفصالهم عنها فلم يرَ الملك بدًّا من ارجاعهم اليها بعد اثنتي عشرة سنة من نفيهم واذن لهم بتحصيل ديونهم على شرط ان يدفعوا ثلثيها للملك : وفي سنة ١٣٢١ هاج عليهم الشعب في اواسط فرنسا وذبحوا منهم عددًا كبيرًا وقد قال احد الكتَّاب في وصف المذابح ان ما ارتكبهُ الفرنسويون في ذلك الحين لما تقشعرّ لهُ الابدان حتى ان اليهود في ڤرون رموا باولادهم الى الارض من اعالي برج حصرتهم فيهِ الغوغاء لما اصابهم من الجنون والذهول لقسوة مواطنيهم لكن ذلك لم يحرّك شفقة اولئك البرابرة الذين كانوا يطالبون دماء ذلك الشعب التعيس المكروه وعقب هذه المذبحة الوباء فاتهم اليهود افظع التهمة واقبحها وقامت عليهم القيامة حتى قيل انهم احرقوا في بعض الاقاليم جميع من كان فيها من اليهود وحفروا في شينون حفرة عميقة القوا فيها ١٦٠ رجلاً وامرأة واحرقوهم فيها . وقد اطنب مؤرخو هذه الحوادث بشجاعة اليهود وصبرهم وشدة تمسكهم بعقيدتهم في الضيق والشدة حتى قال احدهم انهُ لم يقم بين شهداء المسيحيين من ابدى عزماً وثباتاً كعزم اليهود وثباتهم وهم يقادون الى القتل والذبح والحريق فانهم كانوا يسيرون مترنمين بالمزامير كانهم سائرون الى عرس . وفي اواخر القرن الرابع عشر نفوا تماماً من اواسط فرنسا

اليهود في انكلترا

ويظن ان اليهود جاؤوا انكلترا مع السكسون وقد ورد ذكرهم في بعض النظامات الدينية سنة ٧٤٠ ب · م وسنة ٨٣٣ ب·م ولقوا معاملة حسنة من وليم الفاتح وابنهِ وليم روفس · ويروى ان وليم روفس هذا اقسم في خلال جدال دار بين الاساقفة والحاخامين ليصيرنَّ يهوديًّا اذا فاز الحاخامون وزاد على ذلك ان وهبهم كراسي جميع الابرشيات الفارغة وكان لهم ثلاث كليات في جامعة اكسفورد لذلك العصر يدرسون فيها العبرانية لابنائهم ولمن شاء من المسيحيين ولكنَّ ذلك لم يطل فأَخذ الشعب يتذمر من زيادة ثروتهم ونجاحهم في الاعمال والتجارة وتحوَّل التذمر الى كرهٍ وقد جاء في احد التواريخ ان احدهم وقف ينظر تتويج الملك ريكارد المعروف بقلب الاسد وكان ذلك محظوراً عليهم فهاج الشعب وثاروا عليهم ونهبوا بيوتهم فغضب الملك وامر بمعاقبة الجانين فشنق منهم ثلاثة ولكن تعصب الكهنة حال دون تحقيق رغائبهِ من اجراء العدالة ومعاقبة جميع المذنبين · ولما ذهب ريكاد الى فلسطين في الحرب الصليبية الثالثة ساءت احوالهم جداً وخيروا في بعض المدن بين الموت او اعتناق النصرانية فاختاروا الموت · ومن يطالع رواية ايفانهو (الشهامة والعفاف) لولتر سكوت يرَ ما

حلَّ بهم في ذلك العصر من الارهاق والظلم و يعجب لثباتهم على دينهم ومعتقدهم في وسط تلك الاضطهادات التي ثارت عليهم نعم لقد كان في الانكليز قوم من ذوي الشهامة دافعوا عنهم ولكنهم كانوا نفراً قليلاً لا يحسبون شيئاً في جنب الذين نقموا عليهم وارادوا بهم السوء . ولما عاد الملك ريكارد من فلسطين انتعشت آمالهم وصارت حياتهم في امان واكرمهم الملك يوحنا اكراماً زائداً ثم انقلب عليهم وامر بنهبهم وحبسهم في جميع انحاء المملكة واصابهم اذًى شديد في ايام الملك هنري الثالث واتهمهم البعض بانهم ينزعون جزءًا من ذهب النقود وفضتها بعد ان يقبضوها ثم يدفعونها الى التجار

فاصدر ذلك الملك امرهُ اليهم سنة ١٢٣٠ بان يدفعوا الى الخزينة ثلث اموالهم المنقولة وفي اثناء ذلك اتهموا بصلب ولد من اولاد المسيحيين اسمهُ "هيولنكولن" وهي تهمة اتضح فسادها بعدئذٍ وتبين باجلى بيان انها أُذيعت بقصد الايقاع بهم في زمان لم يدَّخر اعداؤهم فيهِ جهداً لاهلاكهم وخرابهم ولم تتحسن احوالهم بتبوء ادورد عرش المملكة ولكن بعض الانكليز حاول ان يثنيهم عن الربا كما حاول غيرهم ذلك في فرنسا فلم يفلح لان اليهود كانوا ممنوعين عن معاطاة الاعمال الاخرى طبقاً للاوامر الملكية العديدة التي صدرت

بشأنهم ولأنَّ كره الناس لهم في اوربا جمعاءَ حال بينهم وبين اهتمامهم بالصناعات والزراعة لكثرة ما كان يصيبهم من النهب والظلم وما ينزل بهم من الضيم والاذى ولما اشتدَّ بهم الامر في انكلترا ضاقت بهم سبل الوجود توسلوا الى الملك ان يأذن لهم بمغادرة البلاد فاقنعهم بالبقاء لكنَّ الامة باسرها قامت عليهم سنة ١٢٩٠ فاخرجتهم من انكلترا نخلفوا في يد الملك جميع اموالهم وديونهم ورهنهم وارتحلوا الى فرنسا وجرمانيا ويقدر عددهم حينئذٍ بنحو ستة عشر الف نفس

اليهود في جرمانيا

دخل اليهود جرمانيا (١) في عهد الامبراطور قسطنطين الكبير وانتشروا في القرن الثامن في المدن الواقعة على ضفاف نهر الرين وفي القرن العاشر حلّوا في سكسونيا و بوهيميا وفي القرن الحادي عشر اتوا فرانكونيا وسوابيا وڤينا وفي القرن الثاني عشر نزلوا في براندنبرج وسليزيا ولم يكن نصيبهم من جرمانيا باحسن منهُ في غيرها فأُجبروا على تأْدية الضرائب الباهظة على اختلاف انواعها وأُرغموا على تقديم الهدايا للامبراطرة والامراءِ والحكام استعطافاً لهم وترضية وكان

(١) يراد بجرمانيا هنا البلاد المعروفة اليوم بالمانيا او الاتحاد الجرماني واوستريا وذلك بحسب التسمية القديمة قبل التقسيم الحديث

الامراء في تلك العصور اذا عضتهم الحاجة اغاروا على اليهود فسلبوهم مقتنياتهم ثم جاءت الحرب الصليبية ضغثاً على ابالة فهاج الرأي العام وقامت عليهم القيامة فصبغت المدن بدمائهم وظل القتل والذبح منتشراً فيهم والظلم والجور لاحقين بهم الى ان صدرت الاوامر بطردهم من انحاء تلك البلاد المختلفة في ازمنة متتابعة وذلك بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر حتى لم يكد يبقى منهم واحد فيها لكنهم ظلوا مدة هذه الاضطهادات متمسكين بمعتقدهم محافظين على دينهم صابرين على بلواهم صبر الكرام حتى اذا ما حرقت الغوغاء كنائسهم القوا بنفوسهم في النار حباً بدينهم ولم يطل زمان غيابهم عن جرمانيا لافتقارها اليهم فعادوا اليها وأُذن لهم في بعض المدن باتخاذ الرعوية المحلية وباقتناء العقارات لكنهم ما برحوا معرضين لطمع الامبراطرة والملوك والامراء الذين كانوا يلغون ما لليهود عليهم من الديون حيناً بعد آخر تخلصاً منها على اسهل منوال وكان عليهم في بعض المدن ان يسكنوا شوارع خاصة بهم تعرف "بحي اليهود"

اليهود في سويسرا

ولم يطإِ اليهود سويسرا الاَّ بعد ان اقاموا زماناً طويلاً في المانيا وبدأ اضطهادهم فيها في القرن الرابع عشر ولم يكد القرن الخامس عشر ينتهي حتى طُردوا منها ولم يلاقوا في بولونيا ولثوانيا

من العنف ما لاقوهُ في غيرها فاتخذوا الاولى ملجأً لهم وكان المهاجرون منهم من المانيا وسويسرا يأتونها افواجاً وهم يصادفون من ملوكها كل رعاية واكرام . اما في روسيا وهنغاريا فاصابهم من الاضطهاد مثل ما اصابهم في الممالك الاخرى وبعد ان ذاقوا فيهما الامرَّين طُردوا منهما نحو اواخر القرون الوسطى

اليهود في اسبانيا

اما البلاد التي لقوا فيها شيئاً من الراحة فاسبانيا بعد ان امتلكها العرب فان الفاتحين احسنوا اليهم واكرموهم وعاملوهم بالتؤدة والمعروف وتساوى الفريقان في العلم وطلبهِ والثروة والرغبة في التقدم والتمدن حتى بات يهود اسبانيا انعم بالاً واحسن حالاً من اخوانهم في سائر اوربا فاتخذوا الحرف والمهن العلمية والصناعية ونشأ بينهم الكتَّاب والشعراء والاطباء والماليون والموظفون واصحاب الفنون على اختلاف انواعهم

ولم ينحصر ذلك من الاندلس في الممالك الاسلامية فان ملوك النصارى فيها اكرموهم ورحبوا بهم لما آنسوهُ فيهم من اللياقة لتعاطي الاعمال والمهن المختلفة وبراعتهم في العلوم والفنون . وكان الشعب في غاية الراحة كايام هنائهم في اراضيهم وملكهم على ان

ذلك الشعب المضطهد لم تطل مدة هنائهِ فان بدخ الامراء وتعاظم نفوذ الاكليروس بدَّلا سعادته بالشقاء وذلك ان املاك الفريقين اصبح اكثرها مرهوناً عند اليهود فسلبت امتيازاتهم وزيدت الضرائب عليهم وفي اواخر القرن الرابع عشر قامت البلاد عليهم في مواضع متفرقة فقُتِل منهم العدد الغفير وقد قال احد المؤرخين ان ما اصاب اليهود في القرن الخامس عشر في اسبانيا لما يقصر عنهُ وصف الواصفين فقد احرقوا احياءً بالالوف حتى قيل ان ٢٨٠ منهم حرقوا في سنة واحدة في اشبيلية حتى ان كل طاهر ذمة كان يقشعرُّ من فظائع ديوان التفتيش وافعالهِ البربرية فحاولوا ان يلطفوها ولكن سدًى ثم جاءَ اليوم المخيف وفيهِ تمَّ ذلك العمل الذي شوَّه تاريخ اسبانيا وترك فيهِ لطخة سوداءَ لا يمحوها كرور الايام وذلك ان فرديناند وايزابلاَّ زوجتهُ اصدرا منشوراً يأْمران فيهِ بطرد جميع اليهود (سنة ١٤٩٢) من اسبانيا في مدة اربعة اشهر دون ان يؤْذن لهم بنقل ذهب او فضة معهم من المملكة فنزل الامر على اليهود نزول الصاعقة وسعوا بالغالي و بذلوا القناطير المقنطرة من المال حتى كاد الملكان يحولان عن عزمهما لكن رئيس ديوان التفتيش الدومينيكي عرقل جميع تلك المساعي وتهدد الملكين وقال لهما اذا فعلتما ما يطلبهُ اليهود

كنتما كيهوذا الذي باع سيده ثم حذرها سوء العاقبة نخافا منهُ وثبتا امرها فكان علة خراب وشقاء جماعة كبيرة من احذق الناس وامهرهم واكثرهم مسالمة وعلماً في اسبانيا وسبباً لانحطاط تلك المملكة نفسها بما خسرتهُ من معونتهم ونجدتهم وعلمهم وغناهم فضلاً عن انتشار نفوذ ديوان التفتيش هذا وامتداد هيبتهِ في البلاد التي كان من اكبر الضربات عليها . وقد قال احد الكتَّاب ان هذا العمل الوحشي من احزن ما جاءَ في التاريخ الحديث ويشبههُ اليهود باكثر من سقوط اورشليم وتبددهم على وجه الارض فان نحو نصف مليون منهم أُجبروا على ترك بلاد سكنوها سبعة قرون فصارت لهم وطناً هذا فضلاً عن اجبارهم على التخلي عن املاكهم ومقتنياتهم واموالهم وهي شيءٌ كثير ظلماً وعدواناً وحكاية طردهم في اسبانيا تفتت الاكباد (وجميع ذلك مدون في كتب التاريخ العبرية) فتفرق هؤُلاء التعساء في مراكش وايطاليا وفرنسا وتركيا وطلب ثمانون الفاً منهم الاذن من ملك البورتغال حيث كانت الفظائع كما في اسبانيا بواسطة الاكليروس لكي يبقوا في بلادهِ ثمانية اشهر ريثما يجدون مكاناً يلجأُون اليهِ ودفعوا عن كل واحد منهم ثمانية دنانير فقبلهم في بلادهِ على ان يقيموا فيها لكنهُ تغير عليهم بعد سنتين وطردهم واصدر امراً سريَّاً الى جنودهِ بالقبض

على اولادهم من ابن اربع عشرة سنة فما دون و بابقائهم في البلاد لينشأوا فيها مسيحيين . فلما درى اليهود بذلك حاروا في امرهم فكان النساء يطرحنَ الاولاد في الآبار والانهار ليخلصنهم من اعدائهم ومضطهديهم ومن بقي منهم في اسبانيا بيع عبدًا ولم يقف تيار الاضطهاد في اسبانيا حتى اواخر القرن السابع عشر

اليهود في ايطاليا

وكان نصيبهم في ايطاليا خيرًا منهُ في غيرها فاحمدوا مقامهم فيها الاَّ في بعض الاحايين حين ثارت سورة الاضطهاد عليهم على ان معظم زمانهم فيها كان مقرونًا بالراحة والخير فاشتغلوا في جميع الحرف والصناعات لاسيما الصرافة حتى ضاهوا صيارفة لمبرديا وكانت تجارة المشرق في ايديهم ونالوا حظوة في عيون ملوك نابولي حتى ان احدهم عين مستشارًا ملكيًّا لاحد ملوكها

اليهود في المملكة العثمانية وغيرها

واحسن اليهم السلاطين العثمانيون وعاملهم الاتراك بالرفق وكانوا يعتبرونهم اكثر من اليونان فيسمون هؤلاء عبيدًا اما اليهود فكانوا يدعونهم ضيوفًا واذنوا لهم بفتح المدارس وانشاء الكنائس وسمحوا لهم بالسكن في جميع مدن الشرق التجارية الواقعة في المملكة العثمانية وهي الدولة الوحيدة التي شهدوا لها التواريخ العبرانية انهُ لم يحصل لليهود اضطهاد فيها

وقد ظنّ بعض الكتّاب ان اختراع الطباعة والنهضة العلمية في اوربا والاصلاح افادت اليهود فائدة كبيرة فحسنت احوالهم وخففت ذلك التعصب عليهم لكنّ ذلك صحيح من بعض الوجوه فانهُ حالما شرع اليهود باستخدام الطباعة لطبع كتبهم المقدسة حرّك بعضهم الامبراطور مكسيمليان واقنعهُ بوجوب حرق كتبهم ولولا مداخلة بعض اولي الفضل لتمّ ذلك القصد السيء على ما يريده اولئك المتعصبون وفاز الجهل · ولم يكن لوثير ميّالاً الى اليهود والمأثور عنهُ انهُ كان يذهب الى اخذهم بالقسوة والعنف في حين ان البابا سكستوس الخامس عاملهم بمثل ما لم يعاملهم بهِ امير بروتستانتي من الحسنى واللطف فانهُ الغى اوامر اسلافهِ القاضية بمعاقبتهم واذن لهم بالسكن والاتجار في املاك الكنيسة الرومانية وجعلهم والمسيحيين سواءً في عين الشريعة وفي ما تقدم دليل على ان الاصلاح لم يكن لهُ يدٌ في تحسين احوالهم لان زعيم حركة الاصلاح كان خصماً لهم بين ان بعض اخصامهِ كانوا من محبيهم أَضف الى ذلك انهم صادفوا من الاضطهاد والاذى على ايدي البروتستانت مثل ما لاقوهُ من الكاثوليك ان لم يكن اكثر منهُ يتضح لك ان التبديل الذي طرأَ على شؤُونهم في القرن الثامن عشر لم يكن ناجماً عن هذه الامور الثانوية بل نشأَ عن هبوب

اوروبا في ذلك العصر من سبات الجهل والغباوة وعن لمعان نور التمدن في انحائها ذلك النور الذي انار في سمائها فشقّ حجاب الجهل والظلم والاستبداد

اليهود في هولاندا

ومن المعلوم ان هولاندا كانت في مقدمة الممالك الاوربية التي افاقت من الجهل والغباوة فقدرت اليهود حق قدرهم وعطفت عليهم ففي اوائل القرن السابع عشر اذنت لهم بالنزول فيها ايّان شاؤا واجازت لهم الاتجار والاشتغال بجميع الحرف والمهن وفي اواخر القرن الثامن عشر خولتهم حق اتخاذ رعوية البلاد ولا نسهب الكلام في هذا الموضع عمّا اصابتهُ هولاندا من الربح في عملها هذا فانها سبقت سائر بلدان اوربا في التجارة والزراعة ولا تزال في مقدمتها في الغنى والعلم والتقدم والتمدن

عودة اليهود الى انكلترا

و بعد ان نفي اليهود من انكلترا حاولوا دخولها ثانيةً في ايام كرمويل اي بعد ٣٠٠ سنة لطردهم منها وكان كرمويل وجمهور القضاة والمحامين يميلون الى ارجاعهم لكنّ الامة عارضت في الامر لاسيما الفئة الدينية منها فتعينت لجنة من الاساقفة ورجال الكهنوت للبحث في القضية وبت الحكم فيها وطال الجدال بينهم حتى استغرق

سنين عديدة الى ان تولى عرش الملك الملك شارل الثاني ولما كان في اشد الحاجة الى اليهود اذن لهم بالعودة الى انكلترا . وفي سنة ١٧٢٣ سُمح لهم باقتناء الاملاك والاراضي فيها وفي سنة ١٧٥٣ نالوا حق الرعوية ولم يزالوا يمحون ما بقي من الحقوق واحدًا بعد الآخر حتى كانت سنة ١٨٥٨ وفيها سمح لهم بدخول البارلمنت وتقلد الوظائف العالية كالنظارات وغيرها وقد نبغ منهم في انكلترا افراد معدودون سنأتي على ذكر بعضهم في الفصل الخاص بذلك

اليهود في فرنسا

قلنا ان بعض اليهود الذين طُردوا من اسبانيا ذهب الى فرنسا فلقوا فيها مشقات ومصاعب شتى وأُذن لهم في اواسط القرن السادس عشر بالسكن في بعض مدن تلك البلاد واقاليمها وفي سنة ١٧٩٠ نحو بداءة الثورة الفرنسوية العظمى رفعوا عريضة الى مجلس نوّاب الامة يطلبون فيها منحهم حق الرعوية ومساواتهم بسائر اهل البلاد وكان ميرابو في جملة انصارهم فمنحوا ذلك الحق ومن ذلك الحين أُطلق عليهم لقب اسرائيليين في فرنسا وفي سنة ١٨٠٦ جمع نابوليون الاول مجمعاً من علمائهم والقى عليهم اسئلة مختلفة ليمتحن اهليتهم لتأييد حق الرعوية هذا فاحسنوا الجواب على اسئلته جميعاً فاعترف بهم وبمجامعهم ومدارسهم ومن ذلك الزمان

اخذوا يرتقون في الوظائف والمناصب الاميرية حتى تولى بعضهم النظارات ونالوا رتباً سامية في الجيش والاسطول وقد اجلوا في الحروب والمواقع البحرية عن شجاعة وبسالة نادرتي المثال كذَّبتا ما اتهمهم بهِ المنافقون من الجبن رغماً عما في تاريخهم من دلائل الشجاعة والنخوة

وقد لقوا في اواخر القرن الماضي بعض الكره والعدوان من من مواطنيهم بسبب مسألة دريفوس لكنَّ براءة الرجل اتضحت في المحاكمة الثانية وعادت الامور الى مجاريها

ويقال بالاجمال انهم في القرنين الاخيرين نالوا حقوقهم في جميع ممالك اوروبا واميركا وصاروا كغيرهم من مواطنيهم الاَّ في روسيا حيث صادفوا اضطهاداً شديداً منذ بضع سنوات فجارت عليهم الحكومة وامرت بطرد بعضهم من بلادها وحظرت على الباقين السكن الاَّ في اقاليم معينة من البلاد

ولا تكاد بقعة من الارض تخلو منهم وهم في جميع العالم اصحاب همةٍ وكدٍّ محبون للعمل عارفون باساليب الكسب وتراهم في البلدان التي نالوا فيها تمام المساواة مع غيرهم يشتركون في افراح الامة واحزانها ويهتمون برفعة شأنها وتوطيد عزها ويجود مثروهم بالاموال في سبيل الذود عنها وتقدمها وزيادة مجدها وعظمتها

هذا ملخص تاريخ هذا الشعب المشهور وما لقيهُ من المصاعب والمشقات والاضطهاد والقتل والسبي والنفي في اوروبا وغيرها بعد خراب اورشليم لكنّ العناية التي اختصتهُ من بين الشعوب القديمة ابت الاَّ بقاءَهُ ولم تسمح بانقراضهِ فانهُ لم يزل يزداد عدداً وثروةً ونفوذاً وسطوةً رغماً عما صادفهُ من تعصب القوم عليهِ وارتياحهم الى افنائهِ واتخاذهم في العصور المختلفة جميع الوسائل لخضد شوكتهِ واذلالهِ فان جميع هذه المساعي السيئة أُخفقت وكانها جاءت منشطة لليهود فتقدموا ونجحوا لاسيما النجاح المالي حتى بات من الحقائق المقررة ان زمام الامور المالية الكبرى في العالم في ايديهم

ويقدَّر عددهم في العالم حسب احصاء سنة ١٨٩٨ بنحو ٨١٢٠٠٠٠ وهم منتشرون كما يأْتي

في اوروبا ٦٧٥٠٠٠٠ وفي آسيا ٥٠٠٠٠٠ وفي افريقيا ٣٥٠٠٠٠ وفي اميركا ٥٠٠٠٠٠ وفي استراليا ٢٠٠٠٠ ولا يبعد ان يكون عددهم الآن اكثر من عشرة ملايين

الفصل الخامس

دیانة اليهود وشريعتهم وفرقهم

الديانة اليهودية مؤسسة على الدستور الذي اعطاهُ الله لموسى نبيهِ مكتوباً على لوحي الحجر وهذا الدستور هو الوصايا العشر المشهورة وهي اساس اعتقادهم بالهٍ واحد عظيم قادر (كما انها اساس اعتقاد المسيحيين) وكيفية عبادتهِ واكرامهِ وما يتوجب على عبَّادهِ من الاعمال وما يجب عليهم اطراحهُ والابتعاد عنهُ

وهذه هي الوصايا العشر منقولة عن الاصحاح العشرين من سفر الخروج

(١) انا الرب الهك الذي اخرجك من ارض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة اخرى امامي

(٢) لاتصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض. لا تسجد لهنَّ ولا تعبدهنَّ لاني انا الرب الهك الهٌ غيور افتقد

ذنوب الآباء في الابناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيَّ
واصنع احساناً الى الوفٍ من محبيَّ وحافظي وصاياي

(٣) لا تنطق باسم الرب الهك باطلاً لان الرب لا يبرئ من نطق باسمهِ باطلاً

(٤) اذكر يوم السبت لتقدّسهُ ستة ايام تعمل وتصنع جميع عملك واما اليوم السابع ففيهِ سبت للرب الهك لا تصنع عملاً ما انت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل ابوابك لان في ستة ايام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسهُ

(٥) اكرم اباك وامك لكي تطول ايامك على الارض التي يعطيك الرب الهك

(٦) لا تقتل

(٧) لا تزنِ

(٨) لا تسرق

(٩) لا تشهد على قريبك شهادة زور

(١٠) لا تشتهِ بيت قريبك · لا تشتهِ امرأة قريبك ولا عبدهُ ولا امتهُ ولا ثورهُ ولا حمارهُ ولا شيئاً مماَّ لقريبك

اما ما بقي من احكام الشريعة الخاصة بالعبادة والطقوس والمعاملات المدنية والعقوبات فموجودة في التوراة على الوجه الذي أُوحي بها الى موسى ونحن نأتي على خلاصتها هنا نقلاً عن كتاب سوسنة سليمان في العقائد والاديان

« ان القسم الطقسي من العهد العتيق يحتوي على تفصيل مبادىء الديانة اليهودية وآدابها وهو يتضمن اولاً تكريس هرون اخي موسى وبنيهِ لخدمة الكهنوت وما يتعلق بالشرائع والقوانين لتقديس اللاويين وتعيين ما ينبغي اعطاؤُهُ لهم من الاملاك والعشور والنذور وغلات البيادر وقطر المعاصر واوائل القطاف وباكورة الاثمار وابكار الانعام وسائر الحيوانات . اما ابكار البنين فيؤْخذ عنهم مقدار معلوم من الفضة فداءً اذ ان الله اختار سبط لاوي ليخدمهُ بدلاً عنهم

ثانياً الشرائع والنظامات المختصة بالذبائح والقرابين وهي تشرح بالتدقيق الذبائح المتنوعة التي ينبغي ان تكون من الحيوانات والطيور المعينة لطهارتها ونقاوتها وكيفية تقديمها لاجل المحرقة والسلامة والخطية والاثم . مع الابانة عن انواع الخطايا التي تقدم لاجلها والنهي عن تقديم البنين والبنات محرقات كما يفعل الوثنيون الذين يحرقون اولادهم قرباناً لآلهتهم ثم تفاصيل السنن المتعلقة

بالنجاسات والتطهيرات المختلفة والملابس والمواكيل . ومنها النهي عن طبخ الجدي بابن أمهِ

ثالثاً السنن المتعلقة بالاعياد وهي تشمل خمسة اعياد يعيدونها لله في السنة وهي عيد الفطير او الفصح وعيد الحصاد وعيد راس السنة وعيد الصوم الكبير وعيد الجمع او المظال في اليوم الخامس عشر من اول السنة وكما يكون ايضاً كل يوم سابع من الاسبوع سبتاً لله لا يعمل فيهِ ادنى عمل كذلك تكون كل سنة سابعة ايضاً سبتاً لا تزرع فيها الارض ولا يقطف الكرم بل تترك الارض عطلاً وغلات الكروم تكون مأكلاً لفقراء الشعب ووحوش البرية . وهكذا كل سبعة اسابيع من السنين تكون السنة التي بعدها اي الخمسين يوبيلاً وهي سنة مقدسة لايكون فيها زرع ولا حصاد ايضاً وينادى فيها بالعتق في الارض لجميع سكانها فيرجع كلٌّ الى ملكهِ والى عشيرتهِ اذ لا يبقى فيها دين ولا رفيق ولذلك ينبغي ان يكون بيع املاكهم بعضهم الى بعض بحسب غلة الملك المبيع منذ يوم بيعهِ الى سنة اليوبيل المذكورة وهكذا يشتريهِ المشتري اذ فيها يلزم ان يرجع الى بائعهِ الذي هو مالكهُ الاصلي ولا يستثنى من ذلك الاَّ بعض البيوت التي تكون داخل المدن ذات الاسوار اذا لم تفك قبل ان تكمل سنة واحدة من زمان بيعها

ثم في هذا القسم ايضاً توجد احكام هذا الدين السياسية ونلخصها هنا لكونها صارت اصلاً لكثير من الشرائع الآتية بعدها ولاسيما عند الذين يرون من الواجب مزج الاحكام السياسية بالاوامر الدينية

فمن شروط المحاكمات فيهِ عدم المحاباة مع المسكين او احترام وجه الكبير او تحريف الدعاوى او قبول الخبر الكاذب . او الاصغاء الى شاهد واحد بل على فم شاهدين او ثلثة يصير اثبات المدعى . والنهي عن اخذ الرشوة . والجور في القضاء . ووجوب اليمين على المنكر . والقسامة على اهل المدينة الاقرب الى محل قتيل يوجد في الحقل ولا يعرف قاتلهُ

ومن احكام هذه الشريعة ان لا يسلّم عبد آبق الى مولاهُ بل يبقى عند من يلتجئ اليهِ ما طابت نفسهُ وان العبد من بني اسرائيل يخدم مولاهُ ست سنين ويخرج في السابعة حرًّا مجانًا فان كان متزوجاً تخرج امرأتهُ معهُ الاَّ اذا كان سيدهُ قد اعطاهُ اياها ولو ولدت لهُ اولاد فلا يخرج الاَّ هو وحدهُ واما المرأة واولادها فيبقون في قبضة السيد . واذا اراد العبد ان لا يفارق امرأتهُ واولادهُ واراد ان يبقى عبدًا فيأخذهُ مولاهُ ويقربهُ الى الباب او الى القائمة ويثقب اذنهُ بالمثقب ومن ثمَّ يبقى في خدمتهِ الى

الابد . واذا باع رجل ابنتهُ امةً فلا تخرج كما يخرج الرجل بل اذا قبحت في عين سيدها الذي خطبها لنفسهِ يدعها تفك وليس لهُ سلطان ان يبيعها لقوم اجانب لغدرهِ بها وان خطبها لابنهِ فبحسب حق البنات يفعل لها وان اتخذ لنفسهِ اخرى فلا ينقص طعامها وكسوتها ومعاشرتها . واما الاسير من الاغراب فيكون لهم عبداً يتوارثونهُ الى الابد

واما الجزاء فهو على انواع

الاول . القتل وهو يشمل من ضرب انساناً فمات . ومن غدر برجل فقتلهُ عمداً فانهُ يقتل ولو التجأَ الى مذبح الله ليحتمي من الموت . ومن شتم الله . ومن ضرب اباهُ او امهُ او شتمهما او تمرَّد عليهما وعصاهما . ومن سرق انساناً وباعهُ او ابقاهُ في يدهِ . وصاحب الثور النطاح اذا كان اشهد عليهِ من قبل ولم يضبطهُ ثم نطح انساناً وقتلهُ فان صاحب الثور يقتل والثور يرجم . ومن يعمل عملاً في يوم السبت . والسحرة ومن كان بهِ جان او تابعة فانهُ يرجم بالحجارة حتى يموت . ومن ضاجع بهيمة من الرجال والنساء يقتل مع البهيمة ايضاً . ومن اعطى من زرعهِ للاوثان . والزاني بامرأَة قريبهِ والتي زنى بها . والزاني بامرأَة ابيهِ او كنتهِ ومضاجع الذكور والزاني بعذراء مخطوبة (اعني مقدسة بخاتم

التقديس) واذا حصل ذلك داخل المدينة او في الحقول والبراري والتي زنى بها واما اذا وقع ذلك في الحقول فيقتل الرجل فقط واما الفتاة فلا اذ لم يكن هناك من يخلصها لو صرخت. والفتاة التي اذا تزوّجت وادّعى زوجها بانهُ لم يجد لها عذرة ووجد الامر صحيحاً جميعاً يقتلون اما من اتخذ امرأَة وامها فيحرقون جميعاً بالنار . واما من قتل نفساً بغير قصد واستطاع ان يصل الى مدينة من مدن الملجإ الست التي امر الله باقامتها ثلاثاً منها في عبر الاردن وثلاثاً في ارض كنعان لمثل فاعل هذا الفعل قبل ان يلحقهُ وليّ الدم ويقتلهُ في الطريق فانهُ يبقى في المدينة التي يصل اليها الى موت الكاهن العظيم ومن ثمَّ يرجع الى ملكهِ ولا حرج عليهِ . اما اذا خرج منها قبل ذلك وقتلهُ وليّ الدم فيكون دمهُ هدرًا ولا يُقتل الاباءُ عن الاولاد ولا الاولاد عن الاباءِ بل كل انسان يموت بخطيتهِ

والثاني القصاص بمثل الذنب اعني العين بالعين والسنّ بالسنّ واليد باليد والرجل بالرجل والكي بالكي والجرح بالجرح والرضّ بالرض[1] اما اذا ضرب الانسان عبدهُ او امتهُ بعصاً ومات

(١) تفسير هذه الآية في التلموذ هو ان يدفع نقدًا ثمن العين وثمن اليد وما اشبه وبالتلموذ ادلة على ان هذا هو التفسير الحقيقي وليس كما هو ظاهر العين بالعين والسن بالسن

المضروب فينتقم منهُ ولكن ان بقي المضروب بعدها حيًّا يومين او ثلاثة فلا ينتقم منهُ لانهُ مالهُ واما اذا أتلف عين عبدهِ او امتهِ او اسقط لاحدهما سنًّا فيلزم عتقهُ

ثالثًا احكام الدية وهي تشمل الضارب اذا عطل انسانًا بضربهِ اياهُ عن عملهِ فيلزم ان يعوّض عطالتهُ وينفق على شفائهِ . والذي يعدم في اثناء خصامٍ مع آخر امرأَة حبلى ويسقط جنينها بدون اذية فيلزمهُ ان يغرَّم المقدار الذي يطلبهُ منهُ زوج المرأَة . واما ان حصل اذًى فترجع المسأَلة الى حكم القصاص بالمثل اعني النفس بالنفس والعين بالعين الخ وكذلك صاحب الثور النطَّاح اذا اراد اهل المقتول ان يضعوا عليهِ ديةً فداءً عن نفسهِ

رابعًا الجلد . فان المذنب المستوجب الضرب يطرحهُ القاضي ويجلدونهُ على قدر ذنبهِ بحيث لا يزيد على اربعين جلدة

خامسًا اذا امسكت امرأَة عورة رجل تقطع يدها واذا نطح ثور رجلاً او امرأَة فمات المنطوح يُرجم الثور ولا يؤْكل لحمهُ وان نطح عبدًا او امةً يعطي صاحبهُ ثلاثين شاقلاً من الفضة والثور يُرجم . وان وقع ثور او حمار في بئر او حفرة لم يغطّها صاحبها فصاحب البئر او الحفرة يعوّض من صاحب الحيوان دراهم والميت يكون لهُ . وان نطح الثور ثورًا فمات المنطوح يباع

الثور الحيّ و يقسم ثمنهُ بين صاحب الثور الحيّ وصاحب الثور الميت وكذلك يقتسمان الميت ايضاً لكن اذا كان الثور معروفاً بانهُ نطّاح من قبل ولم يضبطهُ صاحبهُ فيعوض من الثور الميت بثور حيّ والميت يكون لهُ . ومن يسرّح مواشيه لترعى حقل غيرهِ فيلزمهُ العوض من اجود حقلهِ واجود كرمهِ . وكذا من اوقد وقيداً اصابت نارهُ شوكاً فاحرقت اكداساً او زرعاً او حقلاً . واما من اودع عندهُ فضة او امتعة للحفظ وسُرق ذلك من عندهِ فاذا وجد السارق فعليهِ العوض باثنين والاَّ فعلى الامين اليمين بانهُ لم يمد يدهُ الى ملك صاحبهِ . وهكذا في كل دعوى جناية من جهة حيوانات او مفقود ما يقال ان هذا هو تقدم دعواها الى الله والذي يحكم عليهِ بالذنب يعوض من صاحبهِ اثنين . وكذا من اودع عندهُ حيوان او غيرهُ فمات او انكسر او نهب وصاحبهُ غائب لا يلزمهُ الاَّ اليمين فقط وليس عليهِ عوض واماً ان سُرق من عندهِ فيلزمهُ العوض وان افترس فعليهِ ان يحضر شهادة ولا يعوّض . ومن استعار من صاحبهِ شيئاً فانكسر او مات وصاحبهُ ليس معهُ فعليهِ العوض واماً ان كان صاحبهُ معهُ فلا يلزم ذلك وان كان مستأجراً اتى باجرتهِ

سادساً احكام السرقة وهي اذا سرق انسان ثوراً او شاة فذبح

ما سرقهُ او باعهُ فيلزمهُ ان يعوّض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشاة باربعة من الغنم . واذا ضُرِب السارق ومات وهو ينقب فليس لهُ دم ولكن اذا اشرقت عليهِ الشمس فلهُ دم لانهُ يعوض وان لم يكن لهُ ما يعوض فيباع بسرقتهِ وان وجدت السرقة في يدهِ وكانت ثورًا ام حمارًا ام شاةً بالحياة فيلزمهُ العوض باثنين

سابعاً احكام الزنا وهي من راود عذراءَ لم تخطب وضاجعها يلزم ان يمهرها لنفسهِ زوجة فيعطي اباها خمسين من الفضة وتكون زوجة لهُ لا يقدر ان يطلقها كل ايامهِ وان ابى ابوها ان يعطيهُ اياها يزن لهُ فضة كمهر العذارى وغير ذلك كما هو مذكور في سفر التكوين . واذا اخذ رجل اختهُ بنت ابيهِ او بنت امهِ او اضطجع مع امرأَة طامث يقطعون جميعاً من شعبهما . وكذلك من كشف عورة اخت امهِ او اخت ابيهِ او امرأَة عمهِ او امرأَة اخيهِ فانهم جميعاً يحملون ذنوبهم ويموتون عقيمين . واذا اتهم رجل امرأَتهُ يأْتي بها الى الكاهن فيوقفها الكاهن امام الربّ ويأْخذ ماءً مقدساً في اناء خزف ويضع فيهِ من الغبار الذي في ارض المسكن ثم يحلّف المرأَة بانها لم تزغ ويكتب اللعنات التي يهددها بها في كتاب ويمحوها في الماء المرّ ويسقي المرأَة ماءَ اللعنة المرّ فاذا كانت قد تنجست وخانت

فيرم بطنها ويسقط فخذها والاَّ فلا . ثم ان باقي احكام الزنا قد ذكرت في احكام القتل

واماَّ احكام الزواج فهي ان لا يكشف الرجل عورة ابيهِ ولا عورة امهِ ولا امرأة ابيهِ ولا اختهِ ولا ابنة ابنهِ ولا ابنة بنتهِ ولا اختهِ من ابيهِ ولا عمتهِ ولا خالتهِ ولا امرأة عمهِ ولا كنتهِ ولا امرأة اخيهِ ولا امرأة وبنتها ولا ابنة ابنها ولا ابنة بنتها ولا تؤخذ اخت المرأة للضرّ في حياة اختها واما بعد وفاة الزوجة فمرخص ولا تقرب المرأة في ايام طمثها . والمتزوج جديداً لا يخرج في الجند بل يبقى حرًّا سنة واحدة ويسرُّ امرأتهُ التي اخذها . واذا تزوج الرجل بامرأة ولم تجد نعمة في عينيهِ او وجد فيها عيباً فيكتب لها كتاب طلاق ويطلقها ثم اذا تزوجت رجلاً آخر وطلقها او مات الرجل الثاني فلا يجوز لزوجها الاوَّل ان يراجعها واذا مات رجل عن غير ولدٍ يأخذ اخوهُ امرأتهُ والبكر الذي تلدهُ يقوم باسم اخيهِ الميت

وهناك اوامر ونواهٍ وآداب لهذا الدين متفرقة في هذا القسم اماَّ الاوامر فهي ردّ كل مفقود يجدهُ الانسان لاصحابهِ . ومساعدة المبغض ايضاً في حلّ حمارهِ اذا كان واقعاً تحت حملهِ . والقيام من امام الاشيب . واحترام الشيخ . واباحة الاكل من الكرم الذي

يدخلهُ الانسان بقدر شبعهِ بحيث لا يحمل منهُ شيئاً الى الخارج وهكذا ايضاً من الزرع فان لهُ ان يقطف السنبل بيدهِ ويفركهُ ويأكلهُ ولكن لا يرفع عليهِ منجلاً . واماَّ النواهي فهي النهي عن اضطهاد الغريب ومضايقتهِ . والنهي عن الاساءة الى الارملة واليتيم . وعن اخذ الربا ممن يقترض فضة من بني المذهب بخلاف الاجنبي (الذي لا يعترف بالله سبحانهُ) فان اخذ ذلك منهُ جائز . والنهي عن ابقاء ثوب مرهون من صاحبهِ الى ما بعد غروب الشمس . وعن لعن رئيس الشعب . وعن موافقة المنافق والموافقة على عمل الشرّ . وعن تعويج كلام الابرار . وعن الجور في الموازين والمكاييل وان لا يكون في كيس الرجل اوزان مختلفة كبيرة وصغيرة (وذلك لوزن دراهم التعامل) والنهي عن طلب الانتقام . والحقد . وعن ابقاء اجرة الاجير وطنياً كان او غريباً الى الغد بل تعطى قبل غروب الشمس . والنهي عن شتم الاصمّ . وعن وضع معثرة امام الاعمى . واستعمال العرافة والصيافة والفال والسحر والرقى وسؤال الجانّ والتوابع واستشارة الموتى . ولبس الرجل ثوب المرأة . والمرأة ثوب الرجل . واخذ الطيور الحاضنة مع فراخها . وترك سطح البيت بلا حائط يصونهُ لئلاَّ يسقط احد منهُ وزرع الحقل الواحد صنفين . ولبس ثوب مختلط صوفاً وكتاناً . وابقاء جثة المقتول بجناية الى

الغد اذا كان معلقاً على خشبة لانّ المعلّق ملعون من الله. ودخول ابن زنا من امرأة رجل ثانٍ او من المحرم زواجهنَّ لهُ لا يدخلون في جماعة الرب للابد واما عموني او موآبي الى الجيل العاشر. وادخال اجرة زانية او ثمن كلب الى بيت الربّ عن نذرٍ. ورجوع الرجل الى حقلهِ ليأخذ حزمة الحصيد التي يكون قد نسيها فيهِ بل يتركها للغريب واليتيم والارملة . وكذلك مراجعة اغصان الزيتون بعد خبطها . وتكميم الثور في الدراس . اه". والخلاصة ان عدد وصايا واحكام الشريعة الاسرائيلية ٦١٣ وبيانها ٢٤٨ وصية عمل و ٣٦٥ وصية عدم عمل

والمتأمل يرى من هذه الخلاصة . ان الشريعة اليهودية المدنية كانت اساساً لكثير من الشرائع التي جاءت بعدها عند غيرهم من الامم وانها كانت لتلك بمثابة الامّ ومع ان احكامها أُنزلت منذ آلاف من السنين وفي احوال خاصة لعمران شعب خاص فلا يزال جزءٌ كبير منها يعمل بهِ في الشرائع المدنية الى يومنا هذا . أَضف الى ذلك ان الاسرائيليين ظلوا عصوراً باسرها الشعب الوحيد الذي يؤْمن بالهٍ واحد وانهم حفظوهُ فيهم الى ان انتشر بين غيرهم يتضح لك ما لهذه الامة من الشأْن في عمران العالم باسرهِ لما كان لها من التأْثير في معتقدهِ وشرائعهِ وهذا التأْثير لا يزال الى يومنا هذا

الفصل السادس

التلمود

قلنا ان التوراة تحتوي على تاريخ اليهود الى سنة ٢٤٠ ق٠م٠ وان فيها شرائعهم وطقوسهم ومعاملاتهم وانها الكتاب الذي يتمسكون بتعاليمهِ واقوالهِ ونزيد الآن انهُ ليس الكتاب الوحيد الذي يعتبرونهُ وان لهم كتاباً آخر يعتبرونهُ اعتباراً فائقاً وهو التلمود

والتلمود مجموعة تفاسير وشروح واخبار واضافات واحكام وضعها حكماؤهم وربنيهم والمجتهدون منهم وهو كبير الحجم يزيد عن عشرين مجلداً وضعت في عصور مختلفة واحوال متباينة وهو يتألف من المشنة[1] والجمرة[2] وذلك انهُ لما كثرت التقاليد وتشعبت اطرافها

(١) المشنة خلاصة الشريعة الشفاهية اي غير المكتوبة او مجموعة قوانين اليهود السياسية والحقوقية والمدنية والدينية وهي عبارة عن الكلمة للشريعة الموسوية المكتوبة وتفسير لها واكثرها مبني على تقاليد قديمة وحديثة حتى ان بعضهم يقول ان هذه التقاليد وُجدت منذ خروج بني اسرائيل من

وازداد عدد الكتاب والمجتهدين الناظرين في هذه الشريعة وكثرت الاحكام الصادرة من المجامع في الشؤون المختلفة قام سمعان بن جامليئيل احد علمائهم في طبرية وذلك سنة ١٦٦ ب.م. واستعان بزملائهِ وتلامذتهِ على تنسيق تلك التقاليد والنظر فيها فجمعوا ما تيسر لهم جمعهُ منها وعكفوا على غربلتهِ وتبويبهِ وظلَّ العمل سائرًا كذلك الى ان اتمهُ يهوذا اهاناسي (اعني الرئيس) وتلامذتهُ نحو سنة ٢١٦ ب . م فجاء ستة اقسام تحتوي على ٦٣ مبحثًا فيها ٥٢٤ فصلاً فكانت هذه المشنة على انهُ بقي شيءٌ من الشرائع التقليدية لم يدمج في هذا المؤلف مع انهُ سابق في التاريخ لزمان وضعهِ وزيدت اضافات وحواشٍ وتفاسير بعد وضعهِ فضلاً عما كان منها في كتب اخرى لم يعثر عليها هؤلاء العلماء فضمت هذه جميعاً وظلَّ المجتهدون ينضون المطايا في سبل البحث ويجمعون ما يعثرون بهِ من التفاسير والشروح حتى كان آخر القرن الثالث بعد الميلاد فجمعت كلها لكنها

مصر وتيههم في البرية واكثرها مكتوب بالعبرانية القديمة وتنقسم الى ستة اقسام الاول خاص بالفلاحة والثاني بالاعياد والمواسم والثالث بالنساء ومعاملاتهنَّ من مثل الزواج والطلاق والنذور والوصية والرابع بالعقوبات والخامس بالذبائح والتقدمات ووصف هيكل اورشليم والسادس بالطهارة والنجاسة

(٢) الجمرة عبارة عن تفسير للمشنة وضعهُ علماء فلسطين وبابل

لم تدوَّن في كتاب حتى منتصف القرن السادس على ان جميع هذه التآليف لم تحسب كافية وافية جامعة مانعة فتوجب اعادة النظر فيها بعد ان كثرت فتاوى العلماء واحكام المحاكم وبعد ان قامت المشاحنات بشأن تفسير بعض التقاليد وتأويلها هذا فضلاً عما طرأ على احوال الامة الاسرائيلية وغيرها من الامم التي ساكنوها مما جعل الاحكام القديمة غير وافية بالمطلوب منها في العصور المتأخرة ودعا الى تجديد البحث فيها

والتلمود حقيقةً اثنان الاورشليمي نسبةً الى اورشليم وهو الذي تمَّ عملهُ في طبرية والبابليّ الذي تمَّ عملهُ في بغداد اما الاورشليمي ففيهِ اليوم ٣٩ مبحثاً من المشنة مع انهُ كان في القديم يحتوي على الاقسام الخمسة الاولى من الاقسام الستة المشار اليها آنفاً وكان الفراغ من تهذيبهِ في اواخر القرن الرابع وانشاؤهُ اوضح واجلى من انشاء التلمود البابلي ويمتاز عن ذلك بايجاز مباحثهِ . اما التلمود البابلي فكان الفراغ الاول منهُ نحو اواخر القرن الخامس ولم يمضِ زمن طويل حتى اعتور التلمود تحريف وأُدخل فيهِ تقاليد لم تكن هناك وأُضيف اليهِ تفاسير وشروح وفتاوى جديدة وسبب ذلك ان التلمود لم يكن قد قيّد بعد في الكتب والدفاتر فكان تحريفهُ سهلاً ثم ان انتشار اليهود في انحاء الارض وكثرة المدارس

والجمعيات اليهودية التي نشأت معهم اينما حلّوا جعلت فرقاً في احوالهم بحسب تباين تلك الاحوال فكانت الاحكام الصادرة من هذه الجمعيات في المكان الواحد تباين في بعض الاحايين احكام جمعيات اخرى في مكان آخر ولما كثر التحريف والزيادة قام احد علمائهم المشهورين وعني بتأليف التلمود ثانيةً بمعونة تلامذتهِ ومريديهِ وكتبتهِ وقضى ستين سنة في التحبير والتحرير والتنقيب والتهذيب وجاء بعده غيره فسعى سعيه واقتفى خطواتهِ فتمَّ بذلك هذا العمل وجاء كتاباً كبيراً كما تقدم الكلام وهو بمثابة انسكلوبيذيا كبيرة

ويتألف التلمود البابلي اليوم من الاقسام الاربعة الاولى من الجمرة وهو نحو اربعة اضعاف التلمود الاورشليمي وفيهِ ٣٦ مبحثاً في ٢٩٤٧ صحيفة ولغة التلمود الآرامية او الكلدانية وهي تقرب من السريانية على ان الاضافات والشروح والمختارات من مجموعات المشنة والجمرة القديمة مكتوبة بالعبرانية . وفي القرن الثامن بعد الميلاد قام احد العلماء في بغداد وتبعهُ فرقة رفضت التلمود واكتفت بما في التوراة بغير تفسير وهذه الفرقة تسمى اليهود القرائين والمعلوم ان الامة اليهودية لم تعتبر ما في التلمود بمثابة شرائع رابطة كشريعة موسى بل كان اعتبارها لهُ مبنيًّا على قيمتهِ الذاتية وكونهِ اساساً او قاعدة للغتهم وآدابها ومجموعة لجميع ما يختص بمعاملاتهم

غير المذكورة في التوراة فهو ولا ريب انفس مجموعة للتقاليد اليهودية ولما نقم ملوك الفرس على اليهود واضطهدوهم اضطهاداً عنيفاً في حكم يزدجرد الثاني وفيروز وقباد اجبروهم على اقفال مدارسهم نحواً من ثمانين سنة فلم يبقَ لهم في ذلك العصر ما يهتدون بنورهِ و يعتمدون عليهِ بعد التوراة سوى هذا التلمود ولما اعيد فتح تلك المدارس واذن للعلماء منهم في عقد الجمعيات لم تقل اهميتهُ عندهم عما قبل

وافضل شروح المشنة التفسير الذي وضعهُ الاستاذ الاعظم المسمَّى موسى بن ميمون ويسميهِ المؤرخون الميموني وبرتنورا اما التلمود البابلي فقد وضع احسن شروحهِ راشي والتسوفا ستيون في فرنسا والمانيا ولم يقتصر الميموني على ما فعل بل اختصر التلمود خدمةً للناظرين في جميع اجزائهِ وسمَّى كتابهُ « مشني توراة » والى الآن لا يزال خزانة الديانة الاسرائيلية وتأليفهُ كان بالكتابة العبرية و باللغة العربية الدارجة بمصر. والَّف كتباً اخرى بالعربية ترجمها تلامذتهُ الى العبرية ولا تزال متداولة الى الآن . وطبعت المشنة اول مرة في نابولي سنة ١٤٩٢ وتوالت طبعات التلمود بعدئذٍ في عصور مختلفة واماكن متفرقة وقد ترجمت المشنة الى لغات كثيرة اما الجمرة فلم تتعدَّ الترجمة فيها بعض الفصول ولا نتولى في هذا المقام تعداد ما في التلمود من المباحث لان ذلك لا يقع تحت حصر وقد

سبقت الاشارة الى مواضيع اقسامهِ على اننا ننقل هنا ما قالهُ فيهِ احد الكتَّاب الاوربيين « لا بدَّ ان يأتي يوم فيهِ يرى الناس ان التلمود من اهم تآليف العالم ولا يمكن تقدير ما فيهِ من مخبئات الكنوز التاريخية والجغرافية والشعرية والطبية وغيرها »

الفصل السابع

فرق اليهود

اشرنا في الفصل السابق الى الاسباب التي دعت الى وضع التلمود في العصور المختلفة وتكلمنا عن كثرة الجمعيات والمدارس والفتاوى في تلك العصور ولا يخفى ان كل تحقيق في شريعة من الشرائع الدينية او السياسية يأول الى توليد فرق كثيرة كل فرقة منها تنحاز الى مذهب وتميل الى تفسير ثم تزداد الفروق بين هذه الفرق حتى يكون منها طوائف يجمعها الدين ويفصلها شيءٌ من الاختلافات الخطيرة او التافهة واليهود في نظرهم في الشرائع لا يخرجون عن هذا الناموس وعليهِ فقد نشأ فيهم من الفرق الدينية مثلما كان لغيرهم من اصحاب الديانات الاخرى وقد افردنا هذا الفصل للكلام على فرقهم هذه بالايجاز

الفرّيسيون . واسمهم مشتق من معنى الافراز دلالةً على انفصالهم عن عامة الشعب في ما يختص بالسلوك . نشأُوا في ايام

المكابيين وغرضهم المحافظة على الشريعة والتمسك بها مع التقاليد الحرفية التي كان يتناقلها الخلف عن السلف وكانوا يهتمون بدرس الشريعة وتفسيرها اهتماماً عظيماً ولهم حدود دقيقة في التمييز بين الطاهر والنجس حتى انهم وضعوا للطهارة درجات يرتقي اليها الانسان بعد الدرس والتكريس ولم يكونوا يختلفون عن غيرهم من اليهود في المعتقد وانما كان همهم الوحيد منصرفاً الى طاعة الشريعة بحسب التفاسير الموجودة في التقاليد وكانوا على الغالب الفئة المتعلمة من شعب اليهود وكانوا يؤمنون ان حرية اليهود وكيانهم لايحفظان الاَّ بحفظ الشريعة حفظاً مدققاً وهذا موضع الخلاف بينهم وبين الصدوقيين فان هؤلاء كانوا ينادون بوجوب فصل الدين عن الحكومة قائلين ان الله خلق الانسان كفوءًا ليتولى ادارة شؤونه بنفسهِ وان من العبث الاخلاد الى السكينة وانتظار ارادة الله في حين ان الانسان يستطيع ان يحل المشاكل التي امامهُ بنفسهِ وكان الفريسيون يؤمنون بالخلود حتى يجازى الانسان في الحياة الاخرى عن اعمالهِ في هذه الدنيا خيرًا كانت او شرًّا اما الصدوقيون فانهم لم ينكروا هذا القول ولا رفضوهُ ولكنهم قالوا ان ليس في التوراة ما يؤَيدهُ وان لا حاجة لحياة ثانية بعقابها وثوابها

وقد نشأَ من الفريسيين جماعة من اكبر علماء اليهود في الشريعة

والدين وقد اشار الانجيل الى بعضهم . ويتضح من التلمود ان الفريسيين لم يكونوا جميعاً على ما يرام وان كثيرين منهم كانوا كذلك بحسب الظاهر فقط اما باطناً فكانوا يخالفون تعاليم فرقتهم وقد قسم التلمود الفريسيين الى سبعة اقسام وقال ان ستة من هذه السبعة لا تستحق الاعتبار لمخالفتها الغاية المقصودة اما السابعة فافرادها هم الفريسيون الحقيقيون وهم الذين يعملون ارادة الله لانهم يحبونهُ

الصدوقيون . هم اشراف اليهود وابناء الاسر النبيلة فيهم ورجال الكهنوت منهم كانوا من الفرق الكبيرة وبينهم وبين الفريسيين مشاحنات وخلاف اتينا على ذكر بعضها في الكلام على الفريسيين ولا يعلم بالتاكيد سبب تسميتهم كذلك وانما ظنَّ البعض انهُ مأخوذ من مادة صدق وان اللفظة تعني الصادقين والصحيح انهم اتخذوا لقبهم من اسم زعيمهم صدوق الكاهن الذي عاش في القرن الثالث بعد الميلاد وقد ظنَّ بعض الكتَّاب والمؤَرخين ان الصدوقيين يسلموا بصحة التوراة الاَّ اسفار موسى الخمسة واقام صدوق كاهناً في بيت المقدس الثاني ثمانون سنةً . ويظهر من الجدال الذي كان بينهُ وبين الفريسيين انهم كانوا غير راضين عنهُ لاعتقادهم ان افكارهُ مضادَّة للتوراة وكان لهُ زميلٌ اسمهُ بينوس قام بفرقٍ

اخرى وعلّم بالاكتفاء بما في التوراة وعدم الالتفات الى التلمود ويقال انهُ اول رجل في اليهود القرائين وعلى ما يظهر انهُ كان من حزب الصدوقيين . وظلت هذه الفرقة نحو ست مئة سنة هادئة ثم ظهرت في بغداد وهم اليهود القرائين المعروفين الآن

الكتبة . كان الكتبة علماء الشريعة وحافظي تقاليدها وكانت لهم العناية بحفظ الهيكل والمجامع تحت مراقبة الكهنة وكان الشعب يوقرهم ويحترمهم وكانوا معلمي الشريعة منتشرين في بلاد اليهودية باسرها ومن اراد درس الشريعة والتعمق فيها ففي مدارسهم ولما كان التعليم مجانيًّا فرض على الكتبة ان يمتهنوا المهن التي تمكنهم من تحصيل معاشهم وكانوا درجات من حيث العلم والاهلية فبعضهم كانوا اعضاءً في المجمع الاكبر وبعضهم ناموسيين او معلمين ومن لم يكن منهم من العلم في منزلة تؤهلهُ الى هذه الاعمال كان كاتبًا ينسخ الكتب المقدسة ويكتب الرسائل والكتب والعقود الخ

الاسينيون . فئة غريبة الاطوار ولها علاقة بالديانتين النصرانية والاسلام لا موضع لذكرها هنا ويظن ان يوحنا المعمدان كان منها كما يتبين من مقابلة اسلوب معيشتهِ ومكان سكناهُ في البرية مع اسلوب معيشتهم ومكانهم كما سيأْتي . وهم فرع من الفريسيين ورد ذكرهم ووصفهم في التلمود وتاريخ يوسيفوس وبيذوس والمقريزي

وابي الفرج واهم ما يعرف عنهم انهم استقلوا بنفوسهم وابتعدوا عن غيرهم واتبعوا طريقة التقشف في المعيشة الى حد غريب وكانوا يحتمون على نفوسهم الطهارة والابتعاد عن الاقذار والنجاسة فكانوا يغتسلون كل صباح كالكهنة في مياه الينابيع الصافية ولا يتعاطون تجارة بل يعيشون على ما يزرعونهُ من الحبوب والفواكه وكانت مقتنياتهم شائعة بينهم فما للواحد منهم ملك غيرهِ ايضاً وكانوا يفضلون العزوبة على الزواج لامتناع استمرار الطهارة الدائمة في الحالة الثانية وكانوا يكرهون الدم ويبتعدون عن مواقع القتال ولذا كان اكثرهم يمتنع عن الذهاب الى الهيكل حيث كانت الذبائح تقدم يومياً وكانوا يستحضرون العقاقير ويجمعون الحشائش ويشتغلون بشفاء الامراض واخراج الشياطين ولا يقسمون وكانوا ينظرون الى الفلسفة من حيث علاقتها بالله . ولم يزد عددهم عن اربعة آلاف في عصر من عصور وجودهم وكانوا يقيمون حول البحر الميت ولم تطل حياة هذه الفرقة فانها كما انشقت عن الفريسيين عادت فاندغمت فيهم وغاب ذكرها من الاذهان حتى انهُ في القرن الثالث بعد الميلاد لم يكن بين علماء اليهود من يذكر عنهم شيئاً

وقد بقيت فرق اخرى اتصلت اخبارها بنا ولكنها ليست في مكان التي اتينا على ذكرها من الاهمية واشهر هذه الفرق السمرة

وسموا كذلك على اسم بلدهم المذكورة في التوراة باسم شومرون وهم من الاسرائيليين الذين عادوا من السبي قبل ان عاد الذين بنوا الهيكل ولما ارادوا ان يتفقوا معهم على اعادة بنائه رفض هؤلاء فانفصل عنهم السمرة وبنوا هيكلاً على قمة جبل جرزيم بقرب مدينة نابلس واشتدَّ العداء بين الفريقين حتى انقطعت بينهم المواصلات والعلاقات والسمرة يتمسكون بالتوراة ويرفضون التقليد وقد بقي منهم الى عصرنا الحاضر نحو ثلاث مئة وهم في نابلس وفي كل سنة يصعدون ثلاث مرَّات الى جبل جرزيم هذا للعبادة منتظرين مجيء المسيح الموعود بهِ

ومن هذه الفرق الهيروديون وهم طائفة سياسية كانوا يميلون الى هيرودس لكي يقربهم من الرومانيين والجليليون وهم اتباع يهوذا الجليلي الذي ظهر قبل الميلاد وكان يقول ان لا ملك لليهود غير الله والليبرتيون وهم من المشهورين وغيرهم اضربنا عنهم حباً بالاختصار

الفصل الثامن

بعض عوائد اليهود والموسيقى

لما كان عند اليهود بيت مقدس كانت الشريعة تلزمهم استعمال فن الموسيقى في العبادة الدينية والافراح العمومية كالاعياد ورؤوس الشهور ونحوها وذكر في التوراة اسماء كثير من الآلات الموسيقية التي لا يزال بعضها مستعملاً الى الآن *

لا يخفى ان في التوراة نشائد فرحٍ وشكر وتسبيح وحزن ومراثي كمراثي داود على موت شاول وابنيه ومراثي ارميا على خراب اورشليم ونشائد الغلبة والظفر والتهنئة كنشيد موسى على عبور البحر الاحمر ونشيد دبورة وباراق وغيرهم . وكان اليهود يصعدون كل سنة ثلاث مرات الى اورشليم في اعيادهم الثلاثة حسب وصية التوراة وفي طريقهم كانوا يطربون انفسهم ويخففون اتعابهم بالترنم [1] وسفر المزامير هو مجموع نشائد كثيرة العدد ومتنوعة

* نقلناهُ عن مرشد الطالبين بعض تصرف

(١) انظر مز ٨٤ و١٢٢ واش ٣٠ : ٢٩

موحى بها من الله ومنظومة لكي تجرى على جميع الالحان الموسيقية عندهم

والموسيقى هي من اقدم الفنون النفيسة فان موسى يخبرنا ان يوبال الذي عاش قبل الطوفان كان ابًا لكل ضارب في العود والمزمار[٢] . وكان لابان يتشكى من صهره يعقوب انهُ هرب خفيةً ولم يخبرهُ حتى يشيعهُ بالفرح والاغاني بالدّف والعود[٣] . ولما عبر الاسرائيليون البحر الاحمر نظم موسى تسبيحةً ورنمها مع بني اسرائيل وكانت اختهُ مريم تنشدها وجميع النساء وراءها بالدفوف[٤]

وقد صنع ابواق فضة لاجل الهتاف بها في افراحهم واعيادهم ورؤوس شهورهم وعلى محرقاتهم وذبائحهم السلامية . وداود الذي كان حاذقًا بالعزف كان يسكّن روح شاول الردي بواسطة الضرب في العود[٥] ولما استقلَّ بالملك وقسَمَ وظائف اللاويين واشغالهم عيَّن عددًا عظيمًا منهم لاجل الغناء والضرب في آلات الطرب في الهيكل[٦] . ولما اجمع رأي الاسرائيليين على نقل تابوت الرب من قرية يعاريم اصعدهُ داود الى اورشليم باغاني وعيدان وربابات ودفوف وصنوج وابواق[٧] وعلى هذا المنوال مُسح سليمان ملكًا[٨]

(٢) تك ٤ : ٢١ (٣) تك ٣١ : ٢٦ و٢٧ (٤) خر ١٥ : ١ الى ٢٢ (٥) ١ صم ١٦ : ١٦ و٢٣ (٦) ١ اي ص ٢٥ (٧) ١ اي ١٣ : ٨ و١٥ : ١٦ الى ٢٨ (٨) مل ١ : ٢٩ و٤٠

وكان الانبياء يستعينون باستعمال آلات الغناء عند ما يتنبأون[٩]

وكان آساف وهيمان ويدوثون رؤساء المغنين في خيمة الشهادة تحت يد داود وفي الهيكل تحت يد سليمان . وكان لآساف اربعة بنين وليدوثون ستة ولهيمان اربعة عشر فهؤلاء الاربعة والعشرون من اللاويين اولاد هؤلاء الثلثة الرؤساء في الغناء في الهيكل صاروا رؤساء اربع وعشرين فرقةً من المغنين يخدمون في الهيكل بالدَّور وكان عددهم كثيرًا هناك ولكن كانوا يكثرون بنوعٍ خصوصي في الاعياد العظيمة . وكانوا يصطفُّون بالترتيب حول مذبح المحرقة . وبما ان كل شغلهم ووظيفتهم في بيت المقدس كان عليهم ان يتعلموا الغناء ويمارسوهُ لا ريب في انهم قد اتقنوا ذلك جداً سواء كان بالصوت او بالآلات[١٠]

وكان الملوك ايضاً يستعملون الغناء فان آساف كان رئيس المغنّين عند داود . وورد في اخبار الايام الثاني ما يأتي . واوقف اللاويين في بيت الرب بصنوج ورباب وعيدان حسب امر داود[١١]

ولا يمكننا ان نحكم على كيفية اجراء الالحان عند اليهود

---

(٩) ١ صم ١٠ : ٥ و٢ مل ٣ : ١٥ (١٠) ٢ اي ٢٩ : ٢٥ الى ٣١ (١١) ٢ صم ١٩ : ٣٥ وعز ٢ : ٦٥ ونح ٧ : ٦٧

واستعمال الآلات الاَّ على سبيل الظن نظرًا الى تقادم عهدهم وفقد معرفة ذلك . وقد ذُكر في التوراة عدد وافر من الآلات الموسيقية غير انهُ لا يمكننا ان نصفها جميعها كما ينبغي ولكن اذا قابلناها مع الآلات التي كانت مستعملة عند اليونانيين والرومانيين والمصريين يمكننا ان نصف البعض منها بحسب الامكان وسنذكر معها البعض من الآلات المعروفة في هذه الايام لزيادة الفائدة

وهذه الآلات قسمان احدهما يختصُّ بفن الايقاع اي الاصول كالطبل والدُّفّ والنقارات والصنوج ونحو ذلك كثير . وهذا لا يتعلق بمعرفة الالحان بل بقياس الزمان

الاول منها الصنوج ويقال لها صنوج التصويت وصنوج الهتاف[١٢] وهي صفائح مستديرة من النحاس الاصفر[١٣] قطر كلٍّ منها نحو شبر ولها في مركز احد سطحيها عروة تمسك منها حين العمل بها الذي يتمُّ بامساك اثنتين منها كل واحدة بيدٍ وضرب احداهما على الاخرى لاجل الطرب

ومنها الفقيشات . وهي صنوج صغيرة من نحاس اصفر يستعملها الراقصون في المراسح الواحدة منها قدر الريال المجيدي يوضع منها في كل يدٍ صنجان احدهما في راس الابهام والآخر في

(١٢) مز ١٥٠ : ٥   (١٣) ١ اي ١٥ : ١٩

راس الشاهدة ليضرب بهما الاصول حين الرقص · ويوجد اشارة في التوراة الى كلا النوعين اي صنوج اليد وصنوج الاصابع والى استعمالها في الهيكل والافراح العمومية[١٤] ويقال لما يجعل في اطار الدف من الهنات المدورة صنوج ايضاً

الثاني الطبل · وهو اشكال كثيرة منها الطبل الكبير ذو الوجهين وهو لوح رقيق من خشب ملتف يلاقي احد طرفيهِ الآخر فيكون على شكل اسطوانة مستديرة مجوفة ارتفاعها نحو شبرين فيشدُّ على فوهتها رقًّا من جلد الخيل يضربون عليهما

الثالث الدرابكَّة ويقال لها دربكة وهي نظير جرة من فخار لها عنق طويل مقطوعة من وسطها الذي قطرهُ نحو شبرٍ ومشدود على مكان القطع رق ليضربوا عليهِ · والنقَّارات وهي طبول ذات وجهٍ واحد مصنوعة من فخار او نحاس على هيئة الطاسة يشدون على فوهتها رقًّا والعمل يكون على اثنتين منها احداهما يضرب عليها الدُم والاخرى التَكَ

الرابع الدُّفُّ او الدَّفُّ[١٥] وهو طارة من خشب مشدود عليها جلد فالكبير منهُ قطر دائرتهِ نحو شبرين ويسمونهُ مزهراً يستعملهُ البعض في احتفالاتهم التعبدية وعليهِ قول الشاعر

(١٤) ١ اي ١٣:٨ و١٦:٥ (١٥) تك ٣١:٢٧ ومز ١٥٠:٤

ويومٍ كظلّ الرمح قصَّر طولهُ   دمُ الزقّ عنا واصطكاك المزاهرِ

والصغير قطرهُ عرض نحو عشرة اصابع وموضوعٌ في دائرتهِ الخشبية صنوجٌ صغيرة · والموسيقيون في برّ الشام يسمونهُ دائرة وفي مصر رقًّا والعوام يسمونهُ دفًّا

الخامس الجُنك[16] جمعهُ جنوك طولهُ ست عشرة عقدة او ثماني عشرة عقدة والعمل بهِ يتمُّ بتحريك بعض اجزائهِ وقد ذكرهُ بعضهم بقولهِ

رحمةُ العودِ والجنوك عليهِ   وصلوة العيدان والمزمارِ

السادس المثلَّث[17] وهو آلة طربٍ على شكل المثلَّث يتمُّ العمل بهِ بتحريك بعض حلقات محيطة باضلاعهِ . ولا نعرف عنهُ اكثر من ذلك

السابع الجُلجل[18] . وهو جرس صغير كان يعلَّق على ذيل جبة الرداء للكاهن الاكبر عند دخولهِ للعبادة في الهيكل

القسم الثاني من الدوزان ما يختص بالالحان ويقال لهُ آلات التلحين . وهو نوعان ذوات اوتار[19] وذوات نفخ[20] . اما ذوات الاوتار فمنها ما يشدُّون عليهِ وترًا ومنها ما يشدون عليهِ سلكًا من حديدٍ او نحاس ومنها ما يشدون عليهِ شيئًا من شعر الخيل ونحوها وهذه هي اسماء البعض منها

---

(١٦) ٢ صم ٦ : ٥   (١٧) ١ صم ١٨ : ٦   (١٨) خر ٢٨ : ٣٣

(١٩) مز ٤ : عنوان وحب ٣ : ١٩   (٢٠) مز ٥ : عنوان

(١) ذوات الاوتار اي ما يشدون عليهِ وَترًا

الاول منها العود[٢١] ويقال لهُ البَرْبَط ايضاً ويسمونهُ سلطانها وهم يشدون عليهِ سبعة ازواج من الوتر مختلفة الغلظ والدقة ولذلك يسميهِ الشعراء المثاني . وكل زوجٍ من هذه الاوتار مشدود الوترين على نغمةٍ واحدة لاجل ضخامة صوت النقر عليهِ . واغلب استعمال الموسيقى يكون على اربعة ازواجٍ منها ويندر استعمال الازواج الاخرى . ويعزفون عليهِ بضلع ريشة من جناح النسر يسمونها زخمة او طَزَنة[٢٢] . وهذه الآلة هي الاكثر قدميةً عند اليهود من ذوات الاوتار وكانت خفيفة الحمل . وقد شاع استعمالها عندهم في اوقات الفرح سواءٌ كانت دينية ام غير دينية[٢٣] . ومخترعها هو يوبال المذكور في الاصحاح الرابع من سفر التكوين

الثاني القانون . وهو من الطبقة العليا من آلات الطرب ويعدونهُ وزيرها ومع ذلك العمل عليهِ سهل جدًّا . وصوتهُ كصوت آلتين تشتغلان معاً لان جميع الابراج التي يحتاج اليها

(٢١) تك ٤ : ٢١ (٢٢) الطزَنة هي اسم اعجمي لما يُعزف بهِ على ذوات الاوتار وقد تكون من ضلع ريشة او من عظم قرنٍ كقرن الجاموس وغيرهِ . وقد تطلق احياناً على القضيب الكثير الذي يضربون فيهِ على النقارات (٢٣) تك ٣١ : ٧ و ١ اي : ١٦ : ٥ و٢٥ : ١ الى ٥ ومز ٨١ : ٢

العازف بهِ مع قراراتها وجواباتها تكون مبسوطةً قدَّامهُ ويداه متفرغتان للعمل فيشتغل باليد اليمنى على ديوان ما وباليسرى على قرارهِ فيكون المسموع من الآلة صوتين معاً جواباً وقراراً وبما ان كل برجٍ منهُ يحتوي على ثلثة اوتار فيكون صوتهُ عبارة عن ست كمنجات تشتغل معاً . وقد جرت العادة ان يشدوا عليهِ اربعة وعشرين برجاً كل برج منها ثلثة اوتار متساوية في الغلظ والدقة ولذلك يسمونهُ المثالث كما يسمون العود المثاني . ووتر كل برج يكون اغلظ مما فوقهُ وادقّ مما تحتهُ

قيل ان الشيخ ابا النصر محمد الفارابي الذي كانت وفاتهُ بدمشق سنة ثلاثمائة وتسع وثلاثين قَدِم بهذه الآلة على سيف الدولة علي بن حمدان العدوي فجرى بينهما حديث طويل افضى الى ان ضرب بها فاضحك كل من حضر في المجلس . ثم ضرب فابكاهم ثم ضرب فانامهم وتركهم نياماً وانصرف

الثالث الكمنجة وهي نوعان عربية وسيأتي بيانها وافرنجية وفيها كلامنا الآن . وعادتهم ان يشدوا عليها اربعة اوتار اولها من الجهة اليمنى وهو اغلظها وملفوفٌ عليهِ سلك دقيق من نحاس . وثانيها ادقُّ منهُ . وثالثها ادقُّ منهما . ورابعها وترٌ او خيط مزدوج مبروم من حرير ادق منهنَّ . والاول يجعلونهُ قرار الرست . والثاني

يكاه . والثالث دوكاه . والرابع نوى . والعمل في اخذ الابراج والارباع الباقية كالعمل في العود توُخذ بالجبس على الاوتار باصابع اليد اليسرى . ويعزفون عليها بقوس مشدودٌ عليها جرزة من شعر الخيل ويسمونها ترجمان سائر الآلات الموسيقية

الرابع الرباب[٣٤] او الربابة[٣٥] وهو ذو صوتٍ شجيٍّ مطرب ولذلك شاع استعمالهُ عند العبرانيين وكان غالبًا مثلث الشكل ومشدودًا عليهِ من سبعة اوتار الى اثني عشر[٣٦] وكان يُلعَب عليهِ باليد او بطزنة . وقد رجح البعض ان هذا الاسم كان يطلق على طائفةٍ من آلات الطرب تشبه العود مختلفة المقدار والهيئة . واما ذات عشرة اوتارفليست آلةً خصوصية كما توَّهم البعض مما قيل في المزامير ٦٢ : ٤ بل هي الرباب ذاتهُ كما يظهر من المزامير ٣٣ : ٢ و ١٤٤ : ٩ . والظاهر انهُ يوجد مباينة بين الرباب المستعمل عند العرب وهذا كما سيأْتي

الخامس الجتّية وقد ورد ذكرها في عنوان بعض المزامير[٣٧] والمظنون من اسمها ان داود اتى بها من جتّ وهي بلدٌ للفلسطينيين والبعض يرجحون انها اسم آلةٍ ذات اوتارٍ معروفة عندهم

---

(٣٤) ١ صم ١٠ : ٥ (٣٥) مز ٣٣ : ٢ (٣٦) مز ٣٣ : ٢ و ١٤٤ : ٩ (٣٧) مز ٨ و ٨١ و ٨٤

السادس الاوتار [٢٨] . وهي ربما كانت اسم آلةٍ خصوصية من ذوات الاوتار

(٢) ذوات السلك المعدني

السابع السّنطير او السَّنطور [٢٩] . وهذا يشدون عليهِ اربعة وخمسين سلكاً كل ثلثة منها على نغمة واحدة ويعزفون عليهِ بزخمتين من خشب هيئتهما كشفرة السكين وهو يشبه القانون بعدة اعتبارات

الثامن الطُّنبور او الطِنْبار . وهو ذو عنقٍ طويل يشدون عليهِ غالباً ثمانية سلوك من حديد كل اربعة منها على نغمةٍ واحدة ويعزفون عليهِ بزخمةٍ من قرن البقر . وهو يعتبر عندهم انهُ من اتمّ الآلات الموسيقية واسهلها للعمل

التاسع البُزُق . وهذا يشدّون عليهِ خمسة سلوك حديد اربعة منها متقاربة بعضها لبعض وواحدٌ منفرد عنها وجميعها على نغمة واحدة . ويشدون بمجاورة المنفرد منها سلكاً من النحاس الاصفر مبروماً على طاقين على نغمةٍ اخرى ويعزفون عليهِ بزخمةٍ من القرن

العاشر الطُّنبورة . وهي اصغر من البُزُق وحكم السلوك المشدودة عليها والعزف بها كحكم البُزُق غير ان سلك النحاس فيها يكون على طاقٍ واحد

---

(٢٨) مز ١٥٠ : ٤ (٢٩) دا ٣ : ٥ و٧ و١٠

(٣) ذوات الشعر

الحادي عشر الكمنجة العربية . وهي نصف جوزة هند مثقوبة ثقوباً كثيرة ومشدودٌ على فوهتها قطعة من جلد الخيل ومنظومة في اسطوانة خشبية ومشدودٌ عليها جرزتان من شعر الخيل كل واحدةٍ على نغمة . ويعزفون عليها بقوس مشدود عليها جرزة من الشعر . وصوتها شجيٌّ مطرب للغاية لكنها غير كاملة الترتيب

الثاني عشر الرباب المستعمل عند العرب . وهو آلة مربعة الشكل مشدود عليها جرزة من شعر الخيل يعزفون عليها بقوس نظير الكمنجة . وهي آلة كثيفة يستعملها اهل البادية في انشاد قصائدهم

اما ذوات النفخ فهي انواع كثيرة ومنها

الاول الناي [٣٠] وهو سيدها . وهو يؤْخذ من قصب الغاب المتقارب العقد بحيث يكون طولهُ ثماني قبضات او تسعاً وعقدهُ سبعاً او تسعاً فان كانت تسعاً يقال لهُ شاه

الثاني الكرفت . وطولهُ نحو خمس قبضات وعقدهُ خمسٌ ايضاً . وهو مع الذي قبلهُ مفتوحا الطرفين وليس في فوهتيهما آلةٌ اخرى لاجل الصفير ولكن يتمُّ ذلك بصناعة النفخ فيهما

---

(٣٠) ١ صم ١٠ : ٥

الثالث الصافور ويقال لهُ صوفيرة وشبَّابة . وهو قطعة قصب مثقوبة كالكرفت ولها في فوهتها سدادة مفتوحة قليلاً من ظهرها لينفذ منها النفخ ويحصل الصفير

الرابع المزمار (٣١) ويقال لهُ القصَّاب ايضاً وهو اسطوانة من خشب طولها نحو شبرٍ مثقوبة الوسط وفي رأسها ما يسمونها قشة لاجل الصفير بها وهي قطعة قصب يقطعونها قبل بلوغها ويطبقونها بواسطة مِلقط محمًى بالنار وهذا المزمار يقل استعمالهُ في سوريا وصوتهُ عريض ومطرب الى الغاية وعليهِ قول الشاعر

فدفنَّاهُ بين ازرار وردٍ ثم نحنا عليهِ بالمزمارِ

الخامس الزمر . وهو ايضاً اسطوانة من خشب اسفلها متسع على شكل مخروط مجوَّف وفي راسها قشة للصفير كقشة المزمار ولكنها صغيرة جداً . وصوتهُ رقيق وعالٍ جداً يُسمع من مسافةٍ بعيدة لكنهُ غير مطرب . والبعض يسمونهُ صرناي والاتراك يقولون لهُ زرنا ويوجد منهُ نوعٌ صوتهُ غليظٌ وواطٍ يشتغلون عليهِ بمعية الاول يسميهِ الاتراك قبازرنا

السادس الجناح . وهو انابيب رفيعة من القصب مسدودة من الجهة الواحدة ومفتوحة من الجهة الاخرى وغالباً تكون خمس

(٣١) تك ٤ : ٢١

عشرة انبوبة كل واحدة اقصر مما قبلها على نسبة الاعداد على النسق الطبيعي اي اذا كان طول اقصرها واحداً فيكون طول الثانية اثنين والثالثة ثلثة والخامسة عشرة خمسة عشر . فيجمعون هذه الانابيب بالقرب من فوهاتها بين مسطرتين على التوالي الطولى اولاً ويليها الاقصر منها ثم الاقصر الخ. فيكون المجموع شكل مثلث قائم الزاوية احد ساقيهِ الانبوب الاول والآخر مجموع فوهات الانابيب المنضمة بعضها الى بعض بواسطة المسطرتين

وكيفية العمل عليهِ هي ان الضارب فيهِ يمسكهُ بيدهِ ويجعل فوهات الانابيب تحت شفتيهِ وينفخ فيها صفيرًا ويحرّك هذه الآلة تحت النفس الخارج من فمهِ بحسب اقتضاء اللحن الذي يجريهِ . وهذه الآلة قديمة ومطربة . وقد مدحها بعض الشعراء بقولهِ *

حبَّذا السنطير مع صوت الجناح

السابع المزوج . وهو اسطوانتان من قصب متساويتان في الطول مضمومتان بربائط وفي راس كلٍّ منهما عقدة قصب رفيعة لاجل الصفير بها يسمونها بالصلُّوب. وفي كل واحدةٍ منهما ثقوبٌ بقدر ما يلزم للانغام التي يتألف منها اللحن . واكثر من يرغبهُ الفلاَّحون ورعاة المواشي

الثامن الارغن . وهو نظير المزوج غير ان احدى اسطوانتيهِ

بغير ثقوب واطول من الاخرى بمقدارٍ كافٍ ليصير صوتها قراراً لصوت تلك

التاسع العُنيز . وهو المزوج عينهُ غير ان النفخ فيهِ يكون بواسطة زكرة من جلد فيربطهُ المغني بأَسفلها وينفخها بواسطة انبوبة في جانبها الآخر

العاشر البوق [٣٢] . وكانت عادة اليهود ان يستعملوهُ لاجل دعوة الشعب في الحروب وفي الاجتماعات العمومية كما تُستعمل الاجراس في هذه الايام [٣٣] . وهو نوعان طبيعي وصناعي اما الطبيعي فهو ما كان مصنوعاً من محار [٣٤] بعض ذوات الاصداف البحرية . وصناعي وهو ما كان مصنوعاً من نحاس

الحادي عشر بوق الهتاف [٣٥] . والارجح انهُ هو ذات البوق المذكور آنفاً

الثاني عشر القرن . وهو الذي يستعمل عند الاسرائيليين في الصلاة في عيد راس السنة العبرية [٣٦] . وهو كان يُستعمل كالبوق

(٣٢) عد ١٠ : ١ (٣٣) لا ٢٥ : ٩ وعد ١٠ : ٢ وقض ٣ : ٢٧

(٣٤) المحار هو الصدفة العظيمة للحيوانات البحرية او البرّية كالبزّاق

(٣٥) يش ٦ : ٤ ان البوق والقرن والصور قد يستعمل الواحد منها مكان الآخر كالفاظٍ مترادفة انظر يش ٦ : ٥ و ٢٠

(٣٦) ١ اي ١٥ : ٢٨

لاجل دعوة الشعب وكانوا اولاً يتخذونهُ من قرون الثيران والمعزى ثم صاروا يصنعونهُ من نحاس على هيئة القرن ثم غلب استعمالهُ من نحاس او فضة مستقيم الهيئة على شكل الزمر تقريباً طولهُ نحو ذراع وسمّي بالصور . وكانوا يضربون فيهِ للشعب في ايام السلم بصوتٍ رخيم وفي ايام الحرب بصوتٍ عالٍ جداً .

الثالث عشر الصور[٣٧] . وهو قرنٌ مستوي الهيئة يشبه الزمر تقريباً لا القرن وقد تقدم الكلام عليهِ آنفاً

(٣٧) مز ٩٨ : ٦ و ١٥٠ : ٣

الفصل التاسع

تراجم مشاهير اليهود

اعلم ان المتقدمين من اليهود الذين لهم علاقة بالدين دوّن اشهر تاريخهم وتراجم حياتهم في التوراة وهي كثيرة الشيوع يقرأها الجميع و يعرفون منها اخبار هؤُلاء المشاهير ولذلك نقتصر هنا على ذكر بعضهم تبيانًا لما حازوهُ من الشهرة العظيمة وما اتوهُ من الاعمال المعروفة حتى ان المتأخرين على سعة اطلاعهم وغزير علمهم لا يزالون يترنمون بنظم اولئك الافاضل وسموّ اقوالهم ووافر حكمتهم

داود

وهو ثاني ملك لاسرائيل واصغر بني يسى وُلد في بيت لحم يهوذا سنة ١٠٨٥ ق٠م ٠ واضطجع داود مع آبائهِ ودُفن في مدينة داود وكان الزمان الذي مَلك فيهِ داود على اسرائيل اربعين سنة ٠ في حبرون مَلك سبع سنين وفي اورشليم ملك ثلاثًا وثلاثين سنة ٠ وكان لا يزال يرعى غنم ابيهِ عند ما ارسل الله صموئيل الى بيت لحم في العيد السنوي لكي يقيمهُ ملكًا على اسرائيل بدلاً من شاول الذي وقع عليهِ غضب الله ٠ وكان في صغرهِ على جانب عظيم من الجمال والشجاعة والهمة عارفًا بالالحان والتواقيع الموسيقية

وكان قصير القامة اشقر الشعر متلألئ العينين قوي البنية خفيف الحركة يسابق الابل وكانت ذراعاهُ القويتان تحني قوساً من النحاس . وقد دخل بلاط شاول الملك ليسكّن اضطرابهُ ويريحهُ بضربهِ على قيثارهِ من السويداء التي كانت تستولي عليهِ فجعلهُ واحداً من حاشيتهِ وحامل سلاحهِ وطلب من يسى ان يسمح لهُ بالبقاء في البلاط الملكي

وبعد ذلك بعدة سنين حارب داود جليات جبار الفلسطينيين وقتلهُ فحرَّك انتصارهُ حسد الملك فاخذ في تدبير الحيل لاهلاكهِ وحاول قتلهُ مراراً . وقد احبهُ يوناثان بن شاول وتعاهدا سوية على المحبة والاخاء الى آخر حياتهما ورأَتهُ ميكال اخت يوناثان فشغفت بهِ ومال قلبها اليهِ وكان الملك قد وعدهُ باعطائهِ ابنتهُ غير انهُ حنث بوعدهِ واخذ يتكر جهاراً في قتلهِ والتخلص منهُ . فاوقعهُ في اعمالٍ خطرة منها انهُ طلب منهُ مئة غلفة من الفلسطينيين مهراً لابنتهِ ميكال فقتل داود منهم مئتين وصاهر الملك بعد ذلك

ولما اخبرهُ صديقهُ يوناثان ان اباهُ عازمٌ على قتلهِ هرب الى اراضي الفلسطينيين ومعهُ سيف جليات ولكنهُ لم يأمن شرهم وخاف على نفسهِ منهم فادَّعى الجنون وعاش عيشة عاصٍ في اراضٍ وعرة المسالك قرب اليهودية لا يعرفها احد وجمع هناك زمرةً من الاتباع الاشقياء الشاردين . وجعل والديهِ الشيخين تحت حماية ملك موآب لان يسى هو صغير راعوث الموآبية واحبط مساعي شاول في القبض عليهِ وسنحت لهُ الفرصة بان يقتل شاول منتقماً منهُ لنفسهِ الاَّ انهُ لم يشأْ ان يضع يدهُ على مسيح الرب

وقد رجع داود الى فلسطين ومعهُ زمرة قوية من اتباعهِ وبقي هناك الى ان قُتل شاول وابنهُ يوناثان في واقعة جلبوع وذلك نحو سنة ١٠٥٥ ق . م فاعترفت بهِ حينئذٍ قبيلتهُ ملكاً عليها فجعل حبرون (اي الخليل) موطناً لهُ . واسف داود على موت صديقهِ يوناثان واظهر في مرثاتهِ عظم محبتهِ لهُ وتعلقهِ

بهِ وما كان يظهره ُ يوناثان من صدق الولاء لهُ باخبارهِ بعداوة شاول لهُ وسوء تصرفهِ معهُ

اما ابنير قائد جيوش شاول فنادى باسم ابنهِ ايشبوشث خلفاً شرعياً على كرسي المملكة غير انهُ ما لبث ان مال الى داود لما رأَى من اتساع سلطانهِ وتزايد جندهِ واعوانهِ ثم قتل يوآب ابنير فأَسف داود على قتل ابنير ورثاهُ اعظم رثاء كما هو مذكور في التوراة في سفر الملوك وقتل الشعب إيشبوشث الملك وكان داود قد انتقل بامرٍ الهي الى حبرون حيث لاقاهُ رؤَساء يهوذا ونادوا بهِ ملكاً على سبطهم. و بعد ان ملك سبع سنوات في حبرون اعترفت بهِ الامة الاسرائيلية ملكاً عليها واخضع داود بقية الوثنيين ووسع نطاق مملكتهِ من الفرات الى البحر المتوسط ومن دمشق الى الخليج العربي واقام قوات عسكرية للمملكة . وبعد ان طرد اليبوسيين من صهيون جعلها قاعدة لملكهِ فوسعها واقام فيها المباني الباذخة الفخيمة والحصون المنيعة واخذ يكمل العبادة العامة واتى بتابوت الرب الى اورشليم ونظم خدمة الكنائس المقدسة وكان يحيط بهِ جمهورٌ من الانبياء والمرسلين . وكان عازماً على بناء هيكل بيت مقدس للرب فنهاهُ ناثان النبي لانهُ كان قد سفك دماء غزيرة في الحروب وانما وعدهُ بان الولد الذي يولد لهُ هو يبنيهِ ووبخهُ على قتلهِ اوريا الذي اتخذ زوجتهُ بتشبع حليلةً له وولد لهُ منها سليمان الحكيم . وكانت شيخوختهُ محفوفة بالمتاعب والشقاء وحدثت قلاقل كثيرة في بيتهِ بسبب النساء وشهوات اولادهِ واطماعهم

وكان لداود ابنٌ اسمهُ ابشالوم فشق عصا الطاعة لوالدهِ وخرج عليهِ غير ان يوآب قائد الجيوش استظهر عليهِ وظفر بهِ فقتلهُ فاسف داود لقتل ولدهِ ورثاهُ ارق رثاء من عواطف ابوية وشفقة زائدة وقام ادونيا ابنهُ الثاني بمؤَامرة ضدهُ ففشل في مسعاهُ وأَعلن سليمان وارثاً للملك . ولم يمضِ حين بعد هذه الحوادث والاضطرابات حتى توفي داود شيخاً متقدماً في السن بعد

ان حكم على اسرائيل ما ينيف على ٣٣ سنة واسس للملوك العبرانيين دولةً ثابتة متينة الاركان ووسع حدود مملكتهِ وتركها عند مماتهِ قويةً عظيمةً

وقد كان داود شاعراً مجيدًا ذا افكارٍ سامية ومعانٍ جميلة · كتب مزامير كثيرة غاية في البلاغة · والمرثاة التي رثا بها شاول ويوناثان هي وحدها كافية للدلالة على انهُ كان شاعرًا كبيرًا نشيطًا ذا قوّة فكر يندر وجودها في غيرهِ · وفي شعرهِ ما يشفّ عن سريرتهِ واحوالهِ ويوضح عن اعمالهِ وقد جمع في اخلاقهِ بين قساوة الرجل وحنوّ المرأة فان الرجل الذي قتل جليات الجبار واصلى نار الحروب يرثي يوناثان بكلام يرق لهُ الجماد شفقةً وحنوًّا والذي اخطأ يتشبع وأُمن من اعدائهِ يبكي خطاياهُ بخشوعٍ عظيم ويبارك لاعنيهِ والمتمردين عليهِ · وكفاهُ فضلاً سفر المزامير المملوء حكمةً وعقلاً وقد تركهُ للعالم للتعزية وللافراح وللاحزان والمواسم والاعياد ينير العقول ويرشدها الى طرق الصواب والهدى · وقد تفنن علماء النصرانية بترجمتهِ ونظمهِ واستعمالهِ في العبادة · وهذا مثال مما نُظم للكنائس البروتستانية

(المزمور الاول)

طوبى لمن لم يتَّبعْ مشُورةَ الاشرارْ
ولمْ يكنْ بواقفٍ في طُرْقِ ذي الاوزارْ

٢ ولا يكونُ مجلسُ الهازي لهُ قرارْ
لكنْ بناموسِ العلي يُسَرُّ باستمرارْ

٣ يلهجُ في ناموسهِ في الليل والنهارْ
يكونُ مثلَ شجرٍ في جانب الانهارْ

٤ وفي الاوانِ دائمًا قد ينتجُ الثمارْ
أوراقهُ نضيرةٌ تدومُ في اخضرارْ

٥ وكلُّ ما يصنعهُ تراهُ في يسارْ
ليس كذا الاشرارُ بل كالعصف في انتثارْ

٦ فليس في الدين تقو مُ زمرُ الاشرارْ
كلاً ولا الخطاةُ في جماعةِ الابرارْ

٧ فانَّ ربي عالمٌ بطُرُقِ الاخيارْ
أمَّا طريقُ فاعلي الشرِّ فللبوارْ

سليمان

و يقال لهُ سليمان الحكيم وهو ابن داود النبي الذي مرَّ بنا اسمهُ وثاني ملوك بني اسرائيل . أمهُ بتشبع او بتشابع اقترن بها داود بعد ان قتل بعلها اوريا . وكانت ولادتهُ في اورشليم سنة ۱۰۳۳ ق . م وملك اربعين سنة من ۱۰۲۱ الى ۹۸۱ ق.م. ويسمونهُ بالعبرانية شلومو ومعناها ذو سلام

لما توفي اخوهُ ابشالوم انتخبهُ ابوهُ من بين اخوتهِ للجلوس على عرش المملكة وكان اصغرهم سنًّا . ثم تآمر بعضٌ من الاسرائيليين واتفقوا على ان يملكوا اخاهُ ادونيا مكانهُ غير انهُ تثبيتاً للامر الالهي امر داود صادوق الكاهن ان ينزل سليمان الى جيحون و يقلدهُ الصولجان و ينادي بهِ ملكاً ثم توفي الملك داود فجلس سليمان على كرسي المُلك وكانت المملكة في اعلى ذرى المجد والسؤدد قد اتسعت مساحتها وانبسطت حواشيها وتأيدت سطوتها وامتدت شوكتها من نهر الفرات الى تخوم مصر ومن البحر المتوسط الى خليج العقبة

ولم تمضِ سنة على تسنمهِ العرش حتى اصدر امرًا بقتل اخيهِ ادونيا لذنبٍ اقترفهُ والحق بهِ يوآب رئيس جيشهِ الذي قتل اخاهُ ابشالوم وقتل

ايضاً شمعي الذي اهان اباهُ عند هربهِ امام ابشالوم عملاً بوصية ابيهِ داود. فخلا لهُ بذلك الجوّ وخضع لهُ الشعب ودانت الحكام وتعزّزت بهِ دعائم الملك وامتدت سطوتهُ و بعد صيتهُ واشتهر بحكمتهِ الباهرة ودرايتهِ وعدالة احكامهِ ووواسع اطلاعهِ وعلمهِ وانحاز اليهِ السواد الاعظم واحبهُ شعبهُ لما رآهُ من شدة ميلهِ اليهِ وسعيهِ في المحافظة على حقوقهِ وزيادة رفاههِ وزاد ايراد خزينتهِ واتسعت التجارة في ايامهِ اتساعاً لا مثيل لهُ في تاريخ بني اسرائيل. وصاهر فرعون ملك مصر وعقد معاهدة تجارية مع حيرام ملك صور فكانت سبباً لزيادة المعاملات بين الدولتين اللتين اشتركتا في تجارتهما البحرية وتوثقت عرى المودة بينهما. وكان السلام والامن سائدين مدة حكمهِ والملك سعيدًا عظيمًا

واتى سليمان اعمالاً جليلة دلّت على توقد ذهنهِ وسامي حكمتهِ واشتهر بالإحاطة بالغنى والابهة فصارت تتقرب الملوك منهُ وتحمل الهدايا النفيسة اليهِ خاطبةً صداقتهُ ووده‌ُ. واتتهُ ملكة سبا في موكبٍ عظيم لتختبرهُ فرأَت من دلائل ذكائهِ وحكمتهِ شيئاً كثيرًا حتى صغرت نفسها في عينيها وعلمت ان ما سمعتهُ عنهُ لم يكن شيئاً مذكورًا في جانب علمهِ الزاخر واعطاهُ الله من الحكمة والغنى ما فاق بهِ سائر ملوك الارض. وقد استخدم سليمان ما تركهُ لهُ ابوهُ من المال الكثير والجيش المنظم لنشر رايات السلام في انحاء المملكة وافرغ جهد طاقتهِ في تحسين احوالها وترويج مصالحها وتجاراتها. وكان ينفق الجزية التي تؤَديها الامم الخاضعة لهُ في تشييد المباني العظيمة حاصرًا اهتمامهُ ببناء هيكل الرب الذي شادهُ في جبل ارنان في اورشليم. وهو اعظم هيكل في العالم اشتغل بهِ ما ينيف على مئة وخمسين الف نحات ونقاش فاتقنوا بناءهُ وزخرفتهُ فجاء بناءً فخيماً جامعاً لبهاء المنظر ومتانة البناء. والذي ساعدهُ على تشييدهِ هو حليفهُ حيرام ملك صور فانهُ ارسل اليهِ عددًا كبيرًا من الرجال الماهرين في صناعة البناء والنقش واهدى اليهِ

شيئاً كثيراً من خشب ارز لبنان وسروهِ وصندلهِ و باشر سليمان بناء الهيكل في السنة الرابعة لملكهِ واتمهُ في السنة الحادية عشرة ونقل اليهِ تابوت العهد واحتفل بذلك احتفالاً عظيماً دام عشرة ايام . اما رسم الهيكل واثاثهُ وتحتوياتهُ فمدونٌ في سفر الملوك الاول وهو شيءٌ كثير يضيق عن وصفهِ هذا الكتاب فاقتصرنا بالالماع اليهِ لضيق المقام

ومن اعمال سليمان العظيمة المفيدة بناؤهُ مدينة تدمر في العراء بين الشام والفرات تسهيلاً للمواصلات التجارية وتوسيعاً لنطاق التجارة . وعقد تجارة مع اوفير وهي فرضة على خليج العقبة في الهند وارسل سفنهُ مع سفن ملك صور الى ترشيش وغيرها من البلدان فربح بذلك شيئاً لا يحصى من الذهب والحجارة الكريمة . واتى بخيل كثيرة من مصر لفرسانهِ ومركباتهِ . وكان حرسهُ مؤلفاً من اثني عشر الف فارس وعدد مركباتهِ الحربية ١٤٠٠

وهنا تغيرت سيرة سليمان وانقلبت طباعهُ فقد رأى ما وصل اليهِ من الجاه والسطوة والغنى وما بلغتهُ مملكتهُ من المنعة والمجد فطغى وتجبر واتخذ في آخر ايام ملكهِ سبع مئة زوجة وثلث مئة حظية من الامم الاجنبية مع كون التوراة حرمت على الملك تكثير النساء . فملكنَ قيادهُ وسلبنَ لبهُ واغرينهُ على عبادة الاوثان وتقديم الذبائح للآلهة الكاذبة وارتكب خطايا كثيرة جرَّت عليهِ وعلى بلادهِ قصاصاً شديداً وبلاء جسيماً وثقلت وطأة الضرائب على رعاياهُ بعد ان كانوا في امان ورغد عيش يحسدون عليهما وانقلبت حالتهم الى الفقر والمذلة . وقد استغنم رزون بن رداع السوري فرصة هذا الانقلاب السريع فاستولى على دمشق وانشأ فيها مملكةً مستقلة وضايق بها الاسرائيليين مضايقة شديدة . وغضب الله على سليمان فاسقطهُ من عالي مجدهِ وباسق فخرهِ الى دركات الذل وانذرهُ ان مملكتهُ ستنقسم بعد مماتهِ ولا تخضع لابنهِ الاَّ قبيلةٌ واحدة . وقد سمّي جبل الزيتون جبل الهلاك لكثرة الخطايا المتعددة التي ارتكبها سليمان عليهِ . وتوفي سليمان سنة ٩٧٥ ق . م . فانقسمت

المملكة بعد وفاتهِ الى مملكة يهوذا وكانت مؤلفة من عشرة قبائل ومملكة اسرائيل وكانت مؤلفة من قبيلتين فقط

ويظن اكثر المؤرخين والباحثين ان سليمان تاب بعد حماقتهِ وكفَّر عن ذنبهِ واستغفر الله على ما ارتكبهُ من الخطايا وان سفر الجامعة دليل كاف على توبتهِ وندمهِ وهو سفرٌ جليلٌ يعلمنا بطل الاشياء الدنيوية ومخافة الله تعالى وحفظ وصاياهُ

حكمة سليمان — يقال ان الله وهب سليمان الحكمة والذكاء بعد ان تراءى لهُ في الحلم وقال له اسأل ماذا أُعطيك قال اعطِ عبدك قلباً فهيماً . وقد كان سليمان ذا فطنةٍ وذكاء وذاكرةٍ قوية قلما توجد في مخلوق واعظم دليلٍ على ذلك فتواهُ في قضية الأُمَّين اللتين تخاصمتا امامهُ على الولد الحيّ والولد الميت ولهُ دلائل كثيرة غير هذه يطول ذكرها . وقد تقدم سليمان في كثير من العلوم بعد ان درسها طويلاً وبرع في الطبيعيات وعلم الحيوانات والطيور والدبابات وكتب في ذلك فصولاً طويلة . ونطق بثلاثة آلاف مثل والف وخمسين نشيد وكلها آياتٌ في الحكمة وكنزٌ لايفنى لبني الانسان وكتب غير ذلك نشيد الانشاد والجامعة

وقد تفنن حضرة الاستاذ الفاضل والشاعر الشهير المعلم اسعد شدودي بنظم امثال سليمان فاتت مثالاً بديعاً في متانة المبنى وجمال المعنى . ونحن ننقل منها هنا الاصحاح الثالث تفكهةً للقراء لما فيهِ من الفوائد الجزيلة والنصائح الثمينة وذلك لتبيان شيءٍ من امثال سليمان الحكمية واقراراً بفضل الناظم وبراعتهِ

يا ولدي لا تنسينْ شريعتي	بل احفظنَّ في الحشى وصيتي
فانَّ حفظها يطيلُ العمرَا	وليس هاويها يخافُ الضرَّا
اياكَ تركَ رحمةٍ وحقّ	فالبسها قلادةً في العُنقِ
واكتبهما يا ابني على الجنانِ	ليرسخا تبغي رضا الرحمانِ
فنعمةً وفطنةً في ذا ترى	في عين مولاك واعين الورى

ولذ بصخرة الدهور الصمدِ — لكن على فهمك لا تعتمدِ
في كل طرقك اعرف القديرا — فهو الذي يقوّم المسيرا
لا تعتقد بكونك الحكيما — واخشَ القديرَ الخالقَ العظيما
واقصدْ لذلك اجتناب الاثمِ — لخشيةُ الباري انتعاش الجسمِ
واكرمنَّ الرب من اموالكَ — واعطهِ المبكارَ من اغلالكَ
فتمتلي من حنطةٍ خزينتُكْ — كذا تفيض عنباً معصرتُكْ
تأديبَ رب الناس لا تحتقرا — يا ابني ومن توبيخهِ لا تضجرا
لانَّ من يحبهُ يؤدبهْ — ربُّ الورى وكابنهِ يؤنبهْ
طوبى لفائزٍ بنور الحكمةِ — فانها للمرء خير قنيةِ
قيمتها اغلى من الجواهرِ — وهي تفوق كل شيء فاخرِ
العمر في يمينها والسعدُ — وفي يسارها الغنى والمجدُ
لسالكٍ في طرقها اغتنامُ — وكل مسلكٍ لها سلامُ
شجرةُ الحياة في جنانها — طوبى لمن يعطو جنى افنانها
قد أسس الارض العلي بحكمتهْ — واثبتَ الباري السما بقدرتهْ
بعلمهِ قد شقَّ لجَّ البحرِ — والسحبُ جادت بالندى والقطرِ
لا تنسينَّ يا ابنيَ التحذيرا — ولاحظنَّ الرأيَ والتدبيرا
هما حياة النفس بل سعادهْ — تزين عنقَ المرء كالقلادهْ
حينئذٍ تمشي بلا عثيرِ — بالامن تخشى الله في المسيرِ
ترتعُ في بحبوحة السلامِ — وفي الدجى تلتذُّ بالمنامِ
لا ترتعب من باغتٍ اذا بدا — ولا تخفْ من مفسدٍ اذا عدا
بل عذ بخلاَّق الورى من الاذى — فهو يصون الرجل من ان تؤخذا
لاتمنع المعروفَ عن شخص يرى — مستأهلاً اسعافهُ بين الورى
ما تستطيعُ العملَ الجميلاَ — ولا تراعِ مانعاً مقولاَ
ولا تقل لصاحبٍ يأتيكا — يطلب حقهُ غداً أعطيكا

ما ذا ترى يفيدك الامهالُ　　في دفع حقٍّ ولديك المالُ
لا تخترع شرًّا على الصديقِ　　والجار والقريب والرفيقِ
وارفق بهِ لكي يعيش ساكنا　　أرغد عيشٍ مطمئنًا آمنا
ولا تخاصم احدًا لم يذنبِ　　اليك لا تظلمهُ دون سببِ
لا تحسدنَّ ظالمًا قد نجحا　　في طرقهِ وبات يخشى مرحا
لا تمشِ في سبيلهِ الذميم　　فانهُ رجسٌ لدى العليم
باري البرايا سرُّهُ يُعطيهِ　　لمستقيم القلب من يرضيهِ
في منزل الشرير لعنةُ العلي　　فلا ترى من بهجةٍ في المنزلِ
لكن يبارك القدير الباري　　مشرفًا منازل الابرارِ
يهزأ بالمستهزئ الشنيعِ　　ويمنح النعمة للوديعِ
الحكما يلقون مجدًا زاهرًا　　ويحملُ الحمق هوانًا ظاهرًا

ونظم المرحوم رزق الله ابن نعمة الله حسون الحلبي سفر الجامعة وسفر نشيد الانشاد وغيرها من اسفار التوراة باللغة العربية شعرًا وطبعت في ديوان سمّي اشعر الشعر ننقل عنهُ الفصل الثاني عشر من الجامعة وهو

١　عليك في الشباب ذكر الخالقِ　　قبل زمان الشر والبوايقِ
وحججٍ تقول فيها ما بقي سرورُ
٢　قبيل ما عين الضحى تُعوَّرْ　　ويظلم النور النجوم والقمرْ
ويرجع السحابُ من بعد المطر يمورُ
٣　اذ زُعزعت حفظةُ المساكن　　ان يتلوّى الغلب الدهاقن
اذ نزرت وتبطل الطواحن تدورُ
يومئذٍ يغشى على الاحداقِ　　تطل من نوافذٍ او طاقِ
من دامسٍ مقتمٍ الاغساقِ ديجورُ
٤　اذ تغلقُ الابواب في السوق دَعه　　اذ ليسَ للارحاء بعد الجعجعه
يقامُ للصوت اذا ما اسمعه عصفورُ

٥ تحت قينات الغنا الغوالي ايضاً يخافون القدير العالي
وفي الطريق كثرة الاهوالِ نذيرُ
ويزهر اللوز بهِ لا يُحفلْ والجندب يومئذٍ يستثقلْ
وشهوة الحيوان ايضاً تبطل تبورُ
لانهُ يسري بكلِّ احدِ والمرءُ ذاهبٌ لبيتٍ ابدي
في السوقِ للنعاةِ وسط الجددِ تبورُ
٦ قبل انفصامِ سبب اللجينِ اوسحق كوز الذهبِ الثمينِ
او كان للجرَّةِ عند العينِ تكسيرُ
وقبلَ يوم اذ على البئر نقف من لغب الاحشاء تبغي ترتشف
بكرة الرشاء تلوى تنقصف تغورُ
٧ فيرجعُ التراب للارضِ كما كان ورجعُ الروح لله سما
الى الذي قد كان اعطى منعما تحورُ
٨ غر الاباطيل وساءت خادعه بئس الاماني للنفوس الطامعه
الكل في الدنيا يقول الجامعه غرورُ
٩ بقي ان الجامعة كان حكيماً . وايضاً علم الشعب علماً عظيماً . ووزن خبيرا .
١٠ وبحث تنقيرا . واتقن من الامثال كثيرا . الجامعة طلب ان يجد كلمات مسرة . مكتوبة بالاستقامة والمبرة . كلمات حق غرة
١١ كلام الحكماء كالمناسيس . وكاوتاد منغرزة التأسيس . ارباب الجماعات
١٢ قد اعطيت من راعٍ واحد رئيس . وبقي فمن هذا يا ابني الوقاية الوقاية لعمل كتب كثيرة لا نهاية
كثرةُ الدرس ضنًى تعبٌ للجسدِ
١٣ فلنسمع ختام الامر كلهِ
أتقِ الله وصاياهُ احفظنْ انما الانسان هذا كلهُ
١٤ يحضر الاعمال تخفى كلها خيرها والشرَّ يومَ الدينِ هوْ

دانيال

هو دانيال النبي واحد الانبياء الاربعة العظام · قيل ان معنى اسمهِ الله قاضٍ او قاضي الله وهو من عائلة شريفة عريقة في الحسب والنسب · ويظن انهُ وُلد في اورشليم حسب ما حققهُ المؤرخ الشهير يوسيفوس وانهُ هو الذي كتب سفر دانيال الذي أُخذ منهُ معظم تاريخهِ

وقد مدح النبي حزقيال حكمتهُ السامية وتقواهُ

وقد أُتي بدانيال سنة ٦٠٦ ق · م الى بابل مع ثلاثة شبان عبرانيين وهم حنانيا وميشايل وعزاريه وذلك بعد ما تغلب نبوخذ نصر ملك بابل على يهوياقيم ملك يهوذا وسبا سبطهُ واختارهُ البابليون هو ورفقاؤهُ ليتعلموا لغة الكلدانيين وعلومهم وادخلوهم في القصر الملكي وغيَّروا اسماءهم · وسمي دانيال بلطشاصر وبعد ما تعلمَّ ثلاث سنوات اعطاهُ الله فرصةً لاظهار علمهِ وحكمتهِ وما خصَّ بهِ من الفكر الثاقب والمواهب السامية ففسر حلماً للملك نبوخذ نصر كان قد ازعجهُ واقلق بالهُ فكافأَهُ على ذلك بجعلهِ رئيس الشحن على حكماء بابل ثم فسر حلماً آخر للملك وهو ان الله سيقاصصهُ على عنفوانهِ وكبريائهِ

ولم يُذكر دانيال بعد ذلك في ايام خلف نبوخذ نصر ولا في ايام خلف خلفهِ القصيرة · ولكن تردد ذكرهُ في ايام بيلشاصر آخر ملوك بابل الكلدان الذي رأى وهو في وليمة اصابع انسان تكتب على حائط القصر ولم يستطع حكماء المملكة على قراءة هذه الكتابة او تفسيرها ولما دعي دانيال لينظر فيها فسرها بسقوط مملكة بابل وتسلط المادين والفرس عليها · وذلك لسبب استخدامهِ في الوليمة آنية الذهب المأخوذ من بيت الرب · وفي مدة ملك بيلشاصر حلم دانيال حلمين مذكورين في الاصحاح السابع والثامن من سفرهِ

ولما تغلب الماديون والفرس المتحدون على بابل وملكوها وجلس داريوس على كرسي المملكة وجه دانيال عنايتهُ الى تدبير امور شعبهِ الاسرائيلي وارجاعهِ

الى وطنهِ وكان قد قرب الزمان الذي ينتهي فيهِ سبي الاسرائيليين حسب نبوءة ارميا ففي ذلك الحين عظم شأنهُ وعلت منزلتهُ عند داريوس لما رأى من همتهِ وثباتهِ وحصافة عقلهِ فقرَّبهُ اليهِ وجعلهُ اول وزرائهِ الثلاثة. فحسدهُ كثيرون على منزلتهِ وقام لهُ اعداءٌ اقوياءُ فكادوا لهُ المكايد لاسقاطهِ واهلاكهِ ومما اتوهُ انهم سعوا عند الملك فاستصدروا امرًا ملكيًا ينهى الجميع عن تقديم صلاة الاَّ للملك واعتبارهُ الهٌ مدة ثلاثين يومًا ومن خالف هذا الامر يطرح في جب الاسود . وقد حدث ما كانوا ينتظرون فان دانيال لم ينقطع عن اقامة الصلاة حسب عادتهِ ثلاث مرات في اليوم تاركًا كوى بيتهِ مفتوحة فوشوا بهِ الى الملك فامر بطرحهِ في جب الاسود ولكنَّ الله خلصهُ من افواهها باعجوبةٍ عظيمةٍ . وبعد ذلك اعادهُ الملك الى منصبهِ معززًا مكرمًا كما كان من قبل وزاد نفوذهُ وعلت مكانتهُ واعاد الاسرائيليين الى اوطانهم

وقد نجح دانيال ايضًا في ملك كورش الفارسي ويظهر انهُ فارق بابل بعد قليل لان رؤياهُ الاخيرة كانت الى جانب دجلة وبابل على الفرات وكانت تلك الرؤيا في السنة الثالثة من ملك كورش وذلك سنة ٥٣٤ ق·م

هذا وسيرة دانيال وسلوكهُ في بلاط بابل تشبه سيرة يوسف في بلاط فرعون لانهما كليهما كانا عاقلين حكيمين متضلعين في العلوم وامور تدبير المملكة حسني السيرة والسريرة وقد حافظا كلاهما على ديانتهما وتمسكا بها تمسكًا شديدًا مع انهما كانا محاطين بعبادة الاوثان واصناف العوائد الفاسدة . وقد ارتقى كلٌّ منهما بحكمتهِ واستقامتهِ من العبودية الى اعظم منصب في مملكةٍ وثنية وكانا مثالاً عظيمًا في مخافة الله والامانة والفضيلة الشخصية

أستير

من لم يسمع باسم هذه المرأة الشهيرة التي خلصت شعبها من الهلاك ودافعت عنهُ مدافعة الابطال واعلتهُ الى ذرى المجد ورفعة الشان واتت اعمالاً خطيرة دُوّنت في صحف التاريخ ولا يزال صداها يردد على توالي الايام. اسمها الاصلي بالعبرانية "هَدَسَّة" وهي لفظة تفيد معنى الآس اما اسمها الفارسي فاستير ومعناهُ الكوكب او السيار المسمى بالزهرة وهي معروفة بالاسم الاخير الذي لقبت بهِ عند ما احبها الملك وعظمت في عينيهِ . وقد اعتاد ملوك الشرق في قديم الزمان ان يغيّروا اسم كل من كان محبوباً منهم مشمولاً بعواطفهم وانظارهم دلالة على علو مكانتهِ . وعليهِ لقبت استير بهذا الاسم عند ما دخلت القصر او عند ما وُضع التاج على رأسها

وُلدت استير منفية في بلاد فارس واسم ابيها إبيحايل توفي وتركها صغيرة السن فتبنأها عمها مردخاي واعتنى بتربيتها وتثقيف عقلها وكان لها اباً ووصياً

وبعد ان عزل احشيورش ملك الفرس الملكة وشتي لمخالفتها اوامرهُ وعدم انقيادها الى ارادتهِ ارسل رجالاً من قبلهِ يطوفون انحاء المملكة وينتقون الفتيات العذارى الجميلات ويبعثون بهنَّ الى القصر ليختار الملك واحدةً منهنَّ ويجعلها ملكةً مكان وشتي . فجيء بكثيرات وكانت استير منهنَّ فأُدخلت على الملك فنالت حظوةً في عينيهِ اكثر من سائر العذارى واحبها حباً شديداً لما كانت عليهِ من الجمال الباهر والادب الكامل ووضع التاج على رأسها في الحال وذلك في السنة السابعة من ملكهِ واولم يوم تمليكها الولائم وفرَّق العطايا وعفا عن المجرمين وخفف الضرائب عن رعاياهُ . ويظهر من الحوادث التي جرت بعد ذلك ان ما وصلت اليهِ استير من علو المكان كان بارادة الهية لتخليص الشعب الاسرائيلي من اعظم الويلات واعلاء شأنهِ ومنزلتهِ

وبعد مضي زمن قليل على تمليكها اعلمها عمها ان بعضاً من حرّاس القصر يتآمرون على قتل الملك ويدبّرون الحيل لاهلاكهِ فابلغت الملك ذلك ففحص عنهُ وبعد ان تاكد صحتهُ امر بصلب المتآمرين . وكانت في كل اعمالها ملتزمة الحياد لا تظهر ميلاً الى شعبها مع انها كانت تحبهُ حبًّا عظيماً فتبعت في ذلك نصائح عمها مخافة ان تثير البغضاء والحسد في قلوب اشراف الفرس فيسعون في اسقاطها وتنقلب النعمة نقمة عليها ووبالاً على أُمتها . ومع ما اتخذتهُ من التدابير لاخفاء هذا الميل العظيم ظهر اخيرًا وظهرت معهُ عناية الله ببني اسرائيل في إقامة استير ملكةً على الفرس

في ذاك الوقت كان الوزير الاول في المملكة رجل يسمّى هامان الاجاجي هذا كان محترماً عند الشعب وكان الملك يعزّهُ ويظهر من اكرامهِ والاحتفاء بهِ الشيء الكثير حتى انهُ امر ان يسجد لهُ خدام القصر فكانوا يسجدون للاذقان ما عدا مردخاي عم استير فانهُ لم يسجد لهُ ترفعاً من جثوهِ امام رجلٍ عماليقي يقال عنهُ معرفةً وادراكاً . فاحتدم هامان غيظاً وحنقاً على مردخاي ولا سيما بعد ان علم انهُ يهوديٌّ واضمر لهُ ولشعبهِ الشرَّ . وجعل يسعى في تدبير المكايد لابادة يهود المملكة عن بكرة ابيهم فاغرى الملك بذلك فوافقهُ على مشروعهِ واصدر منشورًا عمومياً للحكام والولاة بقتل اليهود في اليوم الثالث عشر من الشهر من الصبي الصغير الى الشيخ الكبير . وبلغ الخبر مدينة شوشن فخافوا خوفاً عظيماً ومزّق مردخاي ثيابهُ حزناً وكاد ينفطر غيظاً من هامان كل ذلك جرى ولم يبلغ مسامع استير شيءٌ لانها كانت مع بقية نساء القصر في غرف متطرفة تحرَس ليلاً ونهارًا فلا يسمح لهنَّ بالمداخلة في الشؤون السياسية ولا لأحدٍ بمقابلتهنَّ . غير انها علمت ان عمها منحرف الصحة متكدّر حزين فارسلت تستعلم عنهُ فاخبرها بكل ما حدث وطلب منها ان تجتهد في مقابلة الملك وتتضرّع اليهِ ان يعفو عن شعبها وتبذل جهدها في انقاذهِ

ومن عادات ملوك الفرس المحفوظة انهم كانوا يحكمون بالموت على اي

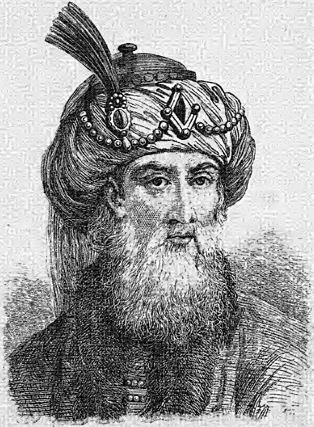
شخص دخل عليهم دون استئذان ما لم يمدوا اليهِ قضيب الذهب علامة العفو والمغفرة وقد ذكر المؤرّخون ان السيَّاف كان يبطش بمن يدخل بغير ان ينتظر امر الملك . وكانت استير تعرف جيدًا مآل هذه الشريعة غير ان حبها الشديد لعمها وتعلقها القوي بامتها ودينها حملاها على مقابلة الملك والمخاطرة بحياتها لخلاص شعبها . واكبر دليل على تقواها واتكالها على الله في جميع اعمالها انها صامت هي وجواريها ثلاثة ايام وطلبت من يهود المدينة ايضاً ان يصوموا معها وفي اليوم الثالث لبست ثياباً بديعة مطرزة من القصب ودخلت على الملك

وكان يصحب استير خادمتان فكانت متكئة على احداها أما الأُخرى فكانت ترفع اذيال ثوبها وهكذا حضرت امام الملك واحمرار الخجل يعلو محياها والسرور والبهاء يكللان طلعتها الجميلة الزاهرة انما سمات الخوف ابت الاَّ أن تظهر عليها وكان الملك جالساً في الدار الداخلية حيث مسكنهُ الخصوصي ولا يقدر احدٌ على المكوث فيها الاَّ خصيانهُ ومن كان عزيزاً عندهُ ولما وقع نظرها عليهِ ورأَتهُ جالساً على العرش تعلوهُ سماتُ الهيبة والوقار وقد تقطَّب وجههُ غيظاً لمَّا دنت منهُ ارتمت بين ذراعي واحدة من وصيفاتها وقد أُغمي عليها . فتأثر الملك من هذا المنظر ودبَّت فيهِ عواطف الحب والحنو فوثب عن كرسيهِ واخذها بين ذراعيهِ واضعاً قضيب الذهب في يديها ليؤَكد لها انهُ لا ينالها شرولو كانت غير مراعية حرمة القانون

وقد سلكت إستير في جميع اعمالها بذكاء غريب ونباهة قوية أُوتيت بهما من العلاء . فانها لما رجعت الى نفسها من الاغماء لم تفاتح الملك بما كان يخالج فؤَادها ولم تخبرهُ بسبب مجيئها اليهِ لانها لو فعلت ذلك لحقها الفشل والخذل ولكنها طلبت اليهِ ان يأْتي هو وهامان الى وليمة تعدها لها فرضي بذلك وامر هامان ان يصحبهُ فسرَّ هامان وعدَّ دعوة استير الملكة شرفاً لهُ ورفعة لمقامهِ ولم تذكر استير شيئاً للملك في الوليمة الاولى بل دعتهُ

الى وليمة ثانية وفي اثنائها قصّت عليهِ ما تعرفهُ عن هامان واخبرتهُ بحقيقة الامر وما أضمرهُ من الشر لليهود واظهرت لهُ باجلى بيان رداءة وزيرهِ وخبث طويتهِ ونيَّاته وفظاعة العمل الذي شرع في ارتكابهِ فنجحت مساعيها واثَّرت كلماتها في الملك تأثيرًا شديدًا فانقلب على وزيرهِ هامان فامر بصلب هذا الظالم الغشوم على ذات الخشبة التي كان اعدَّها لمردخاي ووهب جميع ما يملكهُ من مالٍ وعقار الى الملكة استير. وقد رأى الملك مهارة مردخاي وجدارتهُ وما طُبع عليهِ من الصفات الحسنة وتذكر خداماتهِ السابقة ومن جملتها كشف الستار عن الدسيسة التي دبَّرها رجال القصر لاغتيالهِ فاعطاهُ وظيفة هامان بكل حقوقها وامتيازاتها

ولما كان الامر الذي اصدرهُ الملك بقتل جميع اليهود لا يمكن ابطالهُ لان ذلك مغايرٌ لسنَّة من سنن مادي وفارس وهي ان امر الملك لا يُرَد في اي حال من الاحوال فكر أحشويروش في طريقهِ لتلافي هذا الخطب وكانت استير تلاحقهُ دائمًا وتريهِ فظاعة هذا العمل وما سيجلبهُ من العار والهوان على المملكة . وبعد التفكُّر طويلاً أَمر الملك فأُرسلت كتابات لجميع يهود المملكة تؤذن لهم من قبلهِ أن يجتمعوا في اليوم الثالث عشر من شهر آذار (وهو اليوم الذي عينهُ هامان لايقاع الاذى بهم) ويدافعوا عن أنفسهم ويقتلوا كل من يتعدَّى عليهم ويبادئهم بالعدوان . فعمل اليهود حسب اشارة الملك وقتلوا من اعدائهم في شوشن القصر وحدها ما ينيف عن خمس مئة رجل ومن جملتهم اولاد هامان العشرة الذين صُلبوا ارهابًا للبقية . اما اليهود المتفرقون في المملكة فقد قتلوا في اليوم ذاتهِ ٧٥٠٠٠ نفس مدافعة عن انفسهم غير انهم لم يمدوا ايديهم الى النهب والسلب وقد وقع هذا الحادث العجيب العظيم في اليوم الثالث عشر من شهر آذار فانشأ مردخاي واستير عيدًا تذكارًا لهذا الخلاص وعيدًا ايضًا اسمهُ عيد اليوريم والاقتراع ولا يزال اليهود الى الآن يحتفلون بالعيد المذكور في ١٤ و ١٥ آذار



يوسيفوس المؤرخ الشهير

هذا بعضٌ من سيرة استير الشهيرة التي تكتب والى جانبها اسماء الذكاء والشجاعة وعلو الهمم وحب الامة والوطن وهي تعلمنا كيف يجب على الانسان ان يحب شعبهُ ودينهُ ويخاطر بحياتهِ في المدافعة عنهما والذود عن حقوقهما المقدسة

أما سفر استير فهو من أصغر الاسفار التاريخية المذكورة في التوراة العبرانية واحد الكتب المسماة (المجلة) وتمتاز لغتهُ العبرانية عن غيرها بما فيها من الكلام المحدث وعدم ذكر الله البتة وهذا مما يدل على ان هذا السفر ترجم من تاريخ فارسي وقد نسب تأليفهُ الى عزرا ومردخاي وغيرهما من مشاهير اليهود . وكتب العلماء المعاصرون عدة مؤلفات في سيرة استير منها كتاب بومفرتن بالالمانية وكتاب رائدسون بالانكليزية وكتاب اوبرت بالفرنسوية وقد نظم راسين الشاعر الفرنسوي الطائر الصيت سيرة استير وجعلها رواية تمثيلية وحيدة في بابها وكتب مثل ذلك بعض النبهاء في مصر وسورية بالعربية

يوسيفوس

اذا عُدَّت رجال اليهود الذين نبغوا في العلوم والمعارف واشتهروا بعلو الهمم وسامي المدارك فكانوا مثالاً حميدًا في حب الوطن والمدافعة عنهُ وتضحية حياتهم اعلاءً لشأن امتهم ورفع منارها عُدَّ يوسيفوس في طليعتهم جهادًا وكان من اشهرهم بلا منازعة . فمن لا يعرف هذا الاسم الشهير وقد ملأ ذكرهُ صفحات التاريخ ومن لم يقرأ شيئًا من كتاباتهِ ومباحثهِ التاريخية المفيدة ولا يخلو تاريخ مدقق منها . فيوسيفوس هو المؤرخ الذائع الصيت الذي قضى حياتهُ باحثًا ومنقبًا فاكتشف كثيرًا من اسرار التاريخ الغامضة التي كان يعزُّ الوقوف على مبادئها ونتائجها وهو الذي اتى اعمالاً مجيدة قرنت اسمهُ بالمجد واذاعت في العالمين شهرتهُ فكم مرةً خاطر بحياتهِ ذائدًا عن

حقوق امته ووطنه ولا بدَّ من اعلان ذلك تدويناً لذكره بحيث يرى من ترجمته انهُ كان جامعاً بين بلاغة المؤرخ وتضلعه والحاكم العادل والقائد الخبير المحنك والقاضي المتشرع الى غير ذلك من الخلال العزيزة المنال

كتب يوسيفوس ترجمة حياته بنفسه ودوّن في كتابه حرب اليهود اخباره واعماله مسهباً فيها فلم يبق لاحد مجالاً الى البحث للوقوف على ما له علاقة بسيرته

وُلد هذا الرجل العظيم في السنة الأولى من ملك كاموس قيصر (كاليفولا) اي سنة ٣٧ او ٣٨ للميلاد ويؤخذ من كتابه انهُ عريق في الحسب والنسب يمتدُّ تاريخ عائلته الى زمن بعيد واسم ابيه متياس وقد كان في اعلى درجات الكهنوت وأمهُ من آل حشمناي الذين تولوا الملك ورئاسة الكهنوت معاً . فهو اذاً يوسف بن متياس وليس ابن كريون كما قال ابن خلدون فاضلٌ كثيرين من الباحثين ولم يُذكر في كتب التاريخ الاَّ باسم يوسيفوس وعُرف بهذا الاسم ايضاً ويقال انهُ كان في ايام يوسيفوس رجل آخر بهذا الاسم وكان شاغلاً مركزاً مهماً في الحكومة

وكان في صغره قوي الذاكرة متوقد الذهن تلوح عليه مخايل النجابة والذكاء ولم يبلغ الرابعة عشرة من عمره حتى برع في كثير من العلوم التي كانت معروفة في عصره واشتهر بين قومه بالهمة واصالة الفكر فصار الكهنة ووجوه اورشليم يستشيرونهُ في جلائل الامور ويرجعون اليه في تفسير المسائل الشرعية الغويصة . ولا يخلو هذا القول من الاغراق والمبالغة ولكن يوسيفوس يبالغ في الكلام عن نفسه مبالغة تثبت ما قيل عنهُ ولما بلغ السادسة عشرة جعل يدرس مذاهب اليهود الشائعة في ذاك الاوان واختار منها مذهب الفريسيين وتمذهب به

وذاع بين قومه انهُ مخلص لوطنه يريد الخير لبني جنسه ولنا على ذلك ادلة ساطعة وشواهد قاطعة لا تفنَّد ولا تُنقض فمن ذلك انهُ قصد رومية

متحملاً مشاق السفر وغير مبالٍ باخطار الطريق سعياً في تخليص الكهنة الذين قبض عليهم والي اليهودية وكبّلهم بالقيود · وقد غرقت السفينة بهِ ونجا مع بعض الركاب فركب سفينةً أُخرى وبلغ رومية وما زال يسعى ويجدُّ حتى توصَّل الى مقابلة بوبيا زوجة نيرون القيصر فتوسطت لهُ في اطلاق سراح الكهنة واعطتهُ هدايا وتحفًا نفيسة

ولما رجع الى وطنهِ ورأى اليهود مستظهرين على الرومانيين يتشاورون في نبذ سلطتهم لما انزلوهُ بهم من الظلم والجور نهاهم عن فعلهم وانذرهم بويبل العقبى اذا ثابروا على خطتهم لان الرومانيين كانوا اناساً اقوياء متدرّبين على الفنون الحربية واجزل من اليهود عدداً وعُدداً فلم يصغوا الى كلامهِ والاهتداء بنصحهِ وارشادهِ وخشي انهم يحسبونهُ للاعداء او مشاركاً اذا زاد في تحذيرهم فهرب الى دار الهيكل الداخلية · ثم استظهر العصاة على قائد الرومانيين وهزموهُ شرَّ هزيمة فشقَّت البلاد كلها عصا الطاعة واقام الشعب يوسيفوس والياً على الجليل · فكان اول ما فكر فيهِ جمع كلمة قومهِ ليكونوا يدًا واحدة في اتحادهم وسعى جهدهُ في توثيق عرى التواد والاخاء ليعود الى البلاد استقلالها وتحسن احوالها · ورأى ورأيهُ الموفق الى الصواب والخير ان البلاد لا تتقدم الاَّ برفع منار العدل ومعاملة اهلها بالسواء فاختار سبعين رجلاً من الوجهاء النافذي الكلمة الحسني السيرة فاشركهم معهُ في السلطة واقامهم حكاماً على الجليل وعُيِّن سبعة قضاة في كل مدينة للفصل في المشكلات وامر ان تُرفع اليهِ الدعاوى الكبيرة لينظر فيها هو والسبعون شيخاً

ولما استوثق لهُ الامر وعيَّن الحكام وسنَّ القوانين اعمل فكرهُ في ضيانة البلاد وصد هجمات الاعداء عنها ودفع تيار طمعهم فيها لانهُ كان معتقدًا ان الرومانيين يتأهبون سرًّا لاسترجاعها على حين غرَّة · وكانت باكورة اعمالهِ بناءهُ اسوارًا عظيمة حول المدن الكبيرة وانشاء الحصون والمعاقل المنيعة وانتقى من اشداء الرجال مئة الف ونظمهم جيشاً وسلحهم

ودرَّبهم على الفنون الحربية وعلَّمهم كيف يستعملون البوق و يزحفون و يهجمون و يتقهقرون واقام عليهم رؤَساء وقوَّاد الى غير ذلك من الفنون الحربية وكان يشجعهم و يشدّد عزائمهم و يقول لهم ان الرومانيين من اشدّ الناس باساً واصعبهم مراساً وانهم لا يصدون هجماتهم عن البلاد و يأمنون عن العباد الاَّ اذا مهروا في فنون الحرب · وفرقهم بعد ذلك فرقًا على المدن للدفاع عنها اذا استوجبت الحال · ومن كلامهِ المأثور ان الجندي لا يتغلَّب على غيرهِ الاَّ اذا كان شجاعًا باسلاً كبير النفس حسن الاخلاق وانهُ لا يُرجى تقدُّم ولا فلاح لمن كان فاسد السيرة والسريرة لانهُ يفقد الشجاعة الادبية ومن كان جبانًا في نفسهِ فلا تنفعهُ قوة بدنهِ وعضلاتهِ لانهُ يحجم عن القتال مثل اضعف الناس

وقام لهُ اعداءٌ اقوياءُ دبَّروا الحيل ودسوا الدسائس للتمثيل بهِ مدفوعين الى ذلك بما طُبعوا عليهِ من الحسد والخساسة · وقد كادوا لهُ المكايد الكثيرة ولكنهُ نجا منها بحزمهِ وثباتهِ · ومن هؤُلاء الاعداء يوحنا بن لاوي و يشوع بن صفياس حاكم طبرية · قال يوسيفوس "وكان يشوع بن صفياس رجلاً شريرًا مفسدًا فاخذ شريعة موسى بيدهِ ونادى اهل طريخية قائلاً ان لم تكرهوا يوسيفوس من قِبَل انفسكم فاكرهوهُ لانهُ اساءَ الى شريعتكم واوقعوا بهِ العقاب الذي يستحقهُ · ثم اخذ بعض الرجال المسلحين واسرع الى البيت الذي كنت فيهِ ليقتلني وكنت مستغرقًا في النوم من شدة التعب لا اعي على شيءٍ ولكن سمعان الذي كان قائمًا على حراستي رآهم آتين فايقظني واخبرني بالخطر المحدق بي وطلب مني ان اسمح لهُ ليقتلني فاموت موت الابطال قبل ان يقبض عليَّ اعدائي و يقتلوني بايديهم او يضطروني ان اقتل نفسي بيدي · أما انا فسلمت امري لله ولبست جبةً سوداءَ وخرجت في طريقٍ آخر واتيت ساحة المدينة حيث كان الشعب مجتمعًا وطرحت نفسي على الارض وبللتُ التراب بدموعي حتى اذا رأيت امارات الشفقة والحنو على وجوههم عزمت

ان أُوقع فيهم الشقاق قبلما يرجع الرجال المسلحون الذين مضوا الى بيتي ليوقعوا بي . فقلت لهم هبوا اني مذنب كما تقولون ولكن اسمعوا حتى اخبركم لماذا حفظت المال المنهوب ثم اقتلوني ان اردتم (وكان بعض من اليهود قد هجموا على امرأة بطليموس وعلى اليهودية وسلبوا ما كان معها من الجواهر والنقود واتوا بها الى يوسيفوس فلم يسمح لهم باخذها وحفظها عنده لردها لاصحابها قائلاً ان الشريعة لا تجيز لنا سلب الاعداء وكانت غايته ان يصطلح مع الرومانيين اذا وجد سبيلاً الى ذلك فاخذها يشوع خصمه حجةً عليهِ) ولم اتم كلامي حتى عاد الرجال الذين ذهبوا الى بيتي فهجموا عليَّ يريدون قتلي الاَّ ان الشعب منعهم من ذلك فامتنعوا حاسبين انني اذا اخبرتهم بحفظي المال المنهوب لاردّهُ الى الوالي ثبتت لهم خيانتي فيسمحون بقتلي . فلما سكتوا كلهم وقفت وقلت يا ابناء وطني لست ممن يكره الموت اذا استحقهُ عدلاً ولكنني اريد ان اخبركم بحقيقة هذا الامر قبل ان اموت فاني اعلم انكم ترحبون بالغرباء ولذلك كثر النزلاء في مدينتكم وجاؤوكم ليشاركوكم في السراء والضراء فعزمت ان ابني بهذا المال سورًا حول مدينتكم ولذلك اراكم غضابى عليَّ . ولما قلت ذلك جعلوا يشكرونني ويشجعونني الاَّ ان اولئك اللصوص الذين قصدوا الايقاع بي خافوا ان اعود فانتقم منهم فاختاروا ست مئة رجل مدجج بالسلاح وتبعوني الى بيتي عازمين ان يحرقوهُ بي . وبلغني ذلك فرأيت انهُ لا يليق ان اهرب من وجههم وقلت إن الحزم اولى في هذه الحال فأمرت ان تقفل ابواب البيت وصعدت الى غرفة عالية وخاطبت الجمع منها قائلاً ارسلوا اليَّ واحدًا منكم لادفع اليهِ المال الذي تطلبونهُ فلا يبقى داعٍ لهذا السخط . فارسلوا رجلاً من اشدهم بأساً فلما مثل بين يديَّ امرت بهِ ان يجلد ثم قطعت يدهُ وعلقتها في عنقهِ وارجعتهُ اليهم على هذه الصورة فلما رأوهُ خافوا وحسبوا اني لم افعل ذلك الاَّ وعندي جيش اقوى منهم واني أُعاقبهم مثلهُ اذا قبضت عليهم فاركنوا الى الفرار "

ولم يكتفِ خصومهُ بما فعلوا بل أعادوا الكرة عليهِ واخذوا يغرون اليهود للانتقام منهُ وادَّعوا انهُ رجلٌ ساحرٌ استخدمهُ الرومانيون لقضاء مآربهم وتنفيذ غايتهم . فنصح لهم واقنعهم بالبراهين القوية انهم مغرورون فالواجب ان لا يصغوا الى كلام المفسدين . ولكن اعداءهُ لم ينفكوا عن ايغار الصدور وتلفيق الدسائس والوشايات ضدهُ وما زالوا يسعون ويهيجون حتى قام اهل طبرية عليهِ وكادوا يقتلونهُ لو لم ينجُ من بين ايديهم بحيلة عجيبة واخذ يبحث بعد ذلك عن مثير هذه الفتنة حتى عثر عليهِ وامرهُ بقطع يدهِ فقطعها

ولما بلغ القيصر نيرون ان اليهود هزموا عسكرهُ والقوا بهم الويل والنكال وقتلوا منهم عددًا كبيرًا ارغى وازبد ولكنهُ اخفى غيظهُ وغضبهُ واظهر الصبر والجلد ونسب ما لحق بجيوشهِ من الفشل الى اهمال القواد وعدم تبصرهم . وجعل يفكر في اخذ ثارهِ وكبح جماحهم واخضاعهم لسلطتهِ ويسعى في تعبية الجيوش واعداد المعدات اللازمة . وانتخب لذلك اشهر قواد عصرهِ المدعو اسبسيانوس (اوفسبسيان) وهو رجلٌ قضى عمرهُ في الحروب والغزوات حنكتهُ اهوال المعارك حتى صار قائدًا خبيرًا بعيد النظر ملمًّا بالفنون الحربية كلها . وقد حفظ القيصر ابناء هذا القائد رهائن عندهُ خوفًا من ان يغدرهُ

وبعد ان جمع أسبسيانوس الجنود الرومانية سافر لساعتهِ عن طريق الدردنيل ومرَّ بانطاكية وكان الملك اغريباس الثاني في انتظارهِ هناك مع جنودهِ فرحلوا سويةً الى عكاء ولما وصلوها وجدوا كثيرين من اليهود الذين لم يشتركوا في الثورة بل بقوا خاضعين للرومانيين . ثم جاء ابنهُ تيطس وجاءت جنود كثيرة من الشام وبلاد العرب حتى بلغ عدد جنودهِ ستين الفًا

وجمع يوسيفوس جنودهُ في مدينة جثبانا وهي امنع معاقل الجليل واخذ في التأهب والاستعداد لمقاتلة الاعداء . واما اسبسيانوس فسرَّ بتحصن اليهود فيها وزحف عليهم بخيلهِ ورجلهِ ظانًّا انهُ متى تغلب على هذه المدينة وقبض على يوسيفوس دانت لهُ البلاد كلها . وقد امر قوادهُ فاحاطوا بالمدينة

وبنوا حولها الحصون والمعاقل · واستولى الرعب على اليهود في بادئ الامر ولكن حرص اعدائهم واستعدادهم زادهم شجاعةً ونشاطاً · وفي اليوم التالي هجم الرومانيون على المدينة فصدهم اليهود عنها وردوهم على اعقابهم · ولما رأى اسبسيانوس ان المدينة حصينة جداً شرع في اقامة اكمة عالية الى جانب السور ليصل الى اعدائهِ · فزاد يوسيفوس ارتفاع السور عشرين ذراعاً وبنى عليهِ ابراجاً كثيرة وقال لرجالهِ : الآن ابتدأنا الحرب الحقيقية والموت خيرٌ من حياة الذليل فافعلوا ما يذكركم بهِ الخلف وموتوا موت الابطال · وقد رأى الرومانيون ذلك فوقعوا في حيرةٍ عظيمة واغتاظ قائدهم واقتصر على تشديد الحصار على المدينة حتى يموت اهلها عطشاً وجوعاً

ومضت ايامٌ كثيرة واليهود يخرجون كل يومٍ الى المدينة ويقاتلون الاعداء ويصدون هجماتهم حتى عيل صبر اسبسيانوس وسئمت نفسهُ فعزم ان يتقرب من الاسوار ويرميها بالكبش (وهو خشبةٌ كبيرةٌ في احدى طرفيها قطعة من الحديد) فخاف يوسيفوس العاقبة وامر ان تملأ اكياس كبيرة بالنخالة وتُدلى على الاسوار حتى تمنع عنها فعل الكبش · ووثب رجلان شجاعان من الجليل الى ما بين الرومانيين واثخنا فيهم وتبعهما يوسيفوس مع بعض رجالهِ اوقدوا النار بين معداتهم واحرقوا آلاتهم · وصوَّب رجل من اليهود سهمهُ الى اسبسيانوس فاصابهُ وجرحهُ جرحاً خفيفاً ولكنهُ تجلد واخفى الالم واخذ يستنهض همة رجالهِ حتى عزموا ان ينتقموا لهُ اشد نقمة · وما زالوا يضربون الكبش على السور حتى تمكنوا من ثغرهِ ونصبوا عليهِ السلالم واخذوا يتسلقون عليها ويرشقون النبال الى المدينة

ولما رأى يوسيفوس ان الرومانيين اقتربوا كثيراً وهم يفوقون رجالهُ عدداً وعدداً استولى عليهِ الخوف والجزع ولكنهُ لم يقطع الامل ولجأ الى استنباط حيلة يخلص بها · فامر بصب الزيت المغلي على الرومانيين وهم يتسلقون السلالم فنزل على ابدانهم فوقعوا يتمرغون في التراب من شدة الالم وهلك منهم كثيرون

وجاء في مجلة المقتطف الاغر مترجماً عن النسخة الانكليزية التي نقحها العالم شلتو ما نصهُ : وفي اليوم السابع والاربعين من حصار المدينة كانت التلال التي نصبها الرومانيون امامها قد صارت اعلى من اسوارها وفي ذلك اليوم هرب واحدٌ من المدينة ومضى الى اسبسيانوس واخبرهُ بما حل باهلها من الفناء والوهن وانهُ يسهل عليهِ دخولها في الهزيع الاخير من الليل حينما يرين الكرى على الحراس فلم يصدقهُ اسبسيانوس لما رآهُ من امانة اليهود وبعدهم عن الخيانة لكن كلامهُ كان معقولاً ولا خوف من تصديقهِ فامر ان يحتفظ بهِ

ولما جاءت الساعة زحفوا من غير صوت حتى بلغوا السور فصعد عليهِ تيطس اولاً مع بعض رجالهِ وقتلوا الحراس ودخلوا المدينة وتبعهم غيرهم ولم يدرِ بهم احد لان الجميع كانوا نياماً من شدة التعب فوضعوا السيف فيهم ولم يرحموا احدًا . وقتل كثيرون انفسهم بايديهم لكيلا يقتلهم الرومانيون ولجأ بعضهم الى برج في الجهة الشمالية من المدينة وتحصنوا فيهِ ففتحهُ الرومانيون عنوةً وقتلوهم ولم يستحيوا ممن وجدوهُ في المدينة غير النساء والاطفال وكانوا اثني عشر الفاً فسبوهم . وقُتل من اليهود في فتح المدينة وحصارها اربعون الفاً وامر اسبسيانوس ان تهدم كل البيوت والابراج والاسوار فهدموها . وكان ذلك في السنة الثالثة عشرة من ملك نيرون واليوم السابع من شهر تموز

ولما دخل الرومانيون المدينة وامتلكوها هرب يوسيفوس والتجأ الى كهف منفرد مع اربعين رجلاً ريثما يتسنى لهُ الهرب من وجه الاعداء . وقد عرفت بمكانهِ امرأةٌ فاخبرت اسبسيانوس فارسل في الحال احد قوادهِ المدعو نيكانور لمقابلتهِ واعطائهِ الامان من قبلهِ . وكان نيكانور صديقاً حميماً ليوسيفوس من زمانٍ قديم . فلما قابلهُ طلب اليهِ ان يسلم نفسهُ اليهم ولا يخاف على حياتهِ . وقال لهُ ان الرومانيين يحبون الرجال الشجعان ويحترمونهم و يعترفون

انك رجلٌ شجاع باسل دافع عن بلاده مدافعة الابطال ولذلك يجلون قدرك ولا يمدون اليك يد الأذى بل تكون عندهم عزيزًا مكرمًا . فتردّد يوسيفوس بادئ بدءٍ في قبول ذلك ولكنهُ عزم اخيرًا على التسليم . ولما عرف رفقاؤهُ تجمهروا عليهِ وتهددوهُ بالقتل وقالوا لهُ الآن " تئن نواميس الآباء ويسخط الله الذي خلق نفوس اليهود من معدنٍ يحتقر الموت . فهل انت راغبٌ في الحياة يا يوسيفوس وهل تستطيع ان ترى النور وانت عبدٌ ذليل . ما اسرع ما نسيت نفسك وكم من رجلٍ اقنعت لكي يضحي حياتهُ على مذبح الحرية . لقد كذب من قال انك رجلٌ وانك حكيمٌ اذا كنت ترجو ان يبقي عليك الذين عاملتهم هذه المعاملة . ولكن ان كانت مواعيد الرومانيين تنسيك نفسك فنحن لا ننسى مجد آبائنا . اذا كنت تموت باختيارك فتموت قائدًا لليهود والاَّ فتموت ميتة خائن " . فأخذ يوسيفوس يخاطبهم وينصحهم ان يرجعوا عن غيهم بعد ان جرى ما جرى ويقلعوا عن المقاومة لانهُ لم يبقَ منهم رجالٌ الاَّ القليل وكانت غايتهُ الصلح مع الرومانيين وابقاء الحالة على ما هي عليهِ مع الاعتراف بسيادة الرومانيين . فلم ينتصحوا لكلامهِ ولما اعيتهُ الحيل عرض عليهم ان يعملوا قرعة فيقتلوا بها بعضهم البعض فرضوا وصار الواحد يقتل الآخر حتى لم يبقَ الاَّ هو ورجلٌ آخر . فنصح يوسيفوس ان يستأمن الى الرومانيين ولا يسعى الى حتفهِ بظلفهِ لان الله يريدُ حياتهُ فقبل بذلك وأُتي بهِ الى اسبسيانوس فقال لهُ " لو كان يمكنني لقتلت نفسي بيدي ومتُّ موت الابطال ولا اسلم لك ولكني كاهن ونبي فلا يليق بي ذلك وبامر الله اقول لك انك انت وابنك تيطس ستجلسان على سرير الملك في رومية فضع الحديد برجليَّ حتى اذا لم تتم نبوتي اقتلني فضحك من كلامهِ ولم يصدقهُ ولكنهُ عاملهُ بكل رفقٍ ولين وقدتمت نبوتهُ بعد ذلك

وبعد ان انتهى اسبسيانوس من اخذ جثباتا وامر يوسيفوس دوَّخ بلاد اليهود وفتح يافا وطبرية والكرك (طريخية) وام قيس (جدرا)

وغيرها ومشى من هناك على اورشليم يريد افتتاحها

وفي هذه المدة توفي نيرون الظالم فخلفهُ على كرسي الملك بعضٌ من القواد ولكنهم لم يحسنوا التصرف ولم يكونوا اهلاً للقيام باعباء هذه الوظيفة السامية وحينئذٍ اجتمع القواد الذين مع اسبسيانوس ونادوا بهِ امبراطورًا على المملكة الرومانية . فرفض في بادىء الامر وفضَّل ان يبقى في قيادة الجيش فتجمهر عليهِ رجالهُ وهددوهُ بالقتل فقبل وبايعهُ اهل الشام ومصر واسيا الصغرى وغيرها من البلدان التي كانت تحت سلطةِ الرومان

وقد تذكر اسبسيانوس نبوءة يوسيفوس فاستدعى جميع قوادهِ واخبرهم بشجاعتهِ وبسالتهِ وما انبأهُ بهِ وقال عارٌ علينا اذا ابقينا هذا الرجل في القيود بعد ان انبأني بما وصلت اليهِ الآن وكان واسطة لابلاغ صوت الله اليَّ . ثم امر ان يؤتى بهِ وتفك قيودهُ . وكان ابنهُ تيطس حاضرًا فقال يا ابتاهُ لا تكفي ان تُفك القيود بل يجب ان تكسر كسرًا لكي تزيل وصمة العار التي لحقتك منها فامر اسبسيانوس بكسرها واحسن اليهِ كثيرًا واكرمهُ . وسافر راجعًا الى بلادهِ تاركًا قيادة الجيش لابنهِ تيطس

فسار تيطس وجميع رجالهِ الى اورشليم وحاصرها وبنى حولها الآكام العالية واخذ يرميها بالحجارة الكبيرة . وكان اليهود والخوارج هناك منقسمين الى احزابٍ عديدة يقاتلون بعضهم بعضاً فلما رأوا الرومانيين اجتمعوا يدًا واحدةً على الدفاع حتى آخر نقطة من دمائهم

وحصلت بين اليهود والرومانيين معارك عديدة اظهر فيها الفريقان من الشجاعة والاقدام ما يحفظ لهم الذكر الحسن والفخر الجزيل في صفحات التاريخ . ولكن الرومانيين كانوا اكثر رجالاً واقوى في الآلات ومعدات الدفاع فتغلبوا اخيرًا عليهم وهدموا الاسوار الثلاثة التي كانت تحيط بالمدينة ودخلوها بعد قتالٍ تشيب لهُ الاطفال دافع فيهِ اليهود مستقتلين فراح كثيرون منهم شهداء وطنهم وبلادهم

وارتفعت جلبة عظيمة عند فتح المدينة فلم يعد احدٌ يعي على احد . واغتنم واحدٌ من جنود الرومانيين الفرصة فاسرع الى الهيكل واضرم النار فيهِ وتبعتهُ بقية الجنود . ولما رأى اليهود ان النار تلتهم الهيكل حاولوا اطفاءَها بما بقي فيهم من القوة ولكنهم لم يفلحوا

ونظر تيطس لهب النار يتصاعد من الهيكل فاسرع ودخل قدس الاقداس فرآهُ بديعاً عظيماً يفوق وصف الواصفين ولم تكن النار قد وصلت اليهِ فصار يحرض الجنود على اطفاء النار وبذل الجهد الجهيد لمنع امتدادها لكنهُ لم يفلح ولم تعبأ الجنود بكلامهِ واخذوا في سلب الآنية الثمينة والحجارة الكريمة . ولما اعيتهُ الحيل وعجز قوادهُ عن رد الجنود خرج آسفاً ووقف ينظر الى هذا البناء الفخيم وقلبهُ ينفطر حزناً وكآبةً

وجاءَ في المقتطف الاغر " قال يوسيفوس ان المرءَ لا يستطيع الاَّ ان يأسف على خراب ذلك البناء الفخيم لانهُ اعظم بناءٍ رأيناهُ او سمعنا بهِ في شكلهِ وحجمهِ وفي النفقات الطائلة التي أُنفقت عليهِ وفي شهرة قدس الاقداس المجيدة ولكنهُ يتأسَّى بان الاقدار قضت بذلك ولا مردَّ لقضائها . ومن عجيب الاتفاق ان الهيكل خُرب هذه النوبة في الشهر واليوم اللذين خربهُ فيهما البابليون حيث الخراب الاول كان في اليوم التاسع من شهر آب والخراب الثاني في اليوم التاسع من شهر آب . ومن بناءِ الهيكل اولاً في عهد سليمان الى خرابهِ في السنة الثانية من ملك اسبسيانوس الف ومئة وثلاثون سنة وسبعة اشهر وخمسة عشر يوماً . ومن بنائهِ ثانيةً في زمن حجي في السنة الثانية من ملك قورش الى خرابهِ في عهد اسبسيانوس ست مئة وتسع وثلاثون سنة وخمسة واربعون يوماً . ويقدر عدد الاسرى من اورشليم بسبعة وتسعين الفاً وعدد الذين ماتوا قتلاً ومرضاً وجوعاً بمليون ومئة الف نفس اكثرهم يهود . واستأمن احد الكهنة الى تيطس واعطاهُ منارتين من الذهب وموائد وآنية مختلفة وسلم اليهِ ايضاً الستائر والحلل الكهنوتية

ولم يكتفِ الرومانيون بما اتوهُ من الفظائع بل احرقوا جميع مباني اورشليم وتركوها تندب عزها · اما يوسيفوس فبقي مع تيطس كل مدة الحصار · وكان اليهود يجتهدون لالقاء القبض عليهِ وقتلهِ والرومانيون يسعون في هلاكهِ كلما قهرهم اليهود لانهم كانوا ينسبون فشلهم الى خيانتهِ · ولكن تيطس كان يدافع عنهُ دائماً ويحترمهُ كثيراً · وقد اذن لهُ بعد خراب اورشليم ان يأخذ شيئاً من مسلوباتها وطلب يوسيفوس ان يطلقوا سبيل خمسين رجلاً من رفقائهِ وان يعطوهُ بعضاً من الكتب المقدسة فأُجيب طلبهُ

ولما انتهى الرومانيون من الحرب وخضعت لهم البلاد سافر تيطس الى رومية واخذ يوسيفوس معهُ فاستقبلهُ اسبسيانوس استقبالاً باهراً واحسن وفادتهُ وافسح لهُ مكاناً في منزلهِ الخاص ومنحهُ الرعوية الرومية وربط لهُ معاشاً سنوياً وبالغ في اكرامهِ كل مدة حياتهِ · وهكذا بقي يوسيفوس عزيزاً مكرماً في مدة حكم ابنهِ تيطس وخلفهِ دوميتيان

ولم يصل احدٌ من الباحثين الى معرفة الوقت الذي توفي فيهِ يوسيفوس ولكن يُستنتج انهُ كان حياً في عهد اغريبا الثاني الذي توفي سنة ٩٧ للميلاد ولهُ مؤلفات تاريخية عديدة منها حرب اليهود في سبعة كتب · وعاديات اليهود في عشرين كتاباً · وكتاب ضد ايبون · وكتاب ترجمة حياتهِ · "ولا توجد كتبهُ بالعبرانية مع انهُ كتبها بها وباليونانية · اما الكتاب العبراني المنسوب اليهِ فموضوع وقد كتب في القرن العاشر للميلاد ولعل النسخة العربية مأخوذة عنهُ " ويقال ان يوسيفوس كتب عدة تواريخ ومنها تاريخ باللغة اليونانية وآخر باللغة العبرانية

هذا شيءٌ من ترجمة يوسيفوس الشهير اوردناها هنا بالاختصار لاننا لو اردنا الاطالة والاسهاب في وصف هذا الرجل واطوارهِ واعمالهِ لضاقت بنا المجلدات · وقد تعدينا في الكتابة عنهُ الى ذكر حرب الرومانيين وانتصارهم عليهِ وفتحهم اورشليم واحراق الهيكل لاننا رأينا ان هذه الحوادث

لها علاقة تامة بسيرتهِ فضلاً عن انها من اهم النقط والمباحث التاريخية المفيدة التي يجب معرفتها والوقوف على حقائقها فاوردناها فائدةً للقرّاء

السموأل

هو السموأل بن غريض بن عادياء اليهودي من يهود يثرب . واكثر المؤرخين يسمونهُ السموأل بن عادياء فيتركون اسم ابيهِ وينسبونهُ الى جدهِ . وهو احد شعراء الجاهلية المشهورين واكثرهم طلاوة ورونقاً في كلامهِ وصاحب الحصن العظيم المعروف بالابلق الفرد الذي بناهُ جدهُ عادياء فكانت العرب تنزل فيهِ فيضيفها وتقيم هناك سوقاً كبيراً . وكما ان السموأل اشتهر بشعرهِ فانهُ اشتهر ايضاً بوفائهِ حتى صار يُضرَب بهِ المثل في الوفاء والامانة . وسبب ذلك ان امرؤَ القيس بعد ان غزى بني كنانة واوقع بهم الويل والنكال سار الى الشام يريد قيصر وعرَّج في طريقهِ على السموأل ونزل ضيفاً عليهِ في حصن الابلق واودعهُ دروعاً كانت لابيهِ ومضى في سبيلهِ . وبعد ذلك بقليلٍ اقبل الحارث بن ظالم وقيل الحرث بن ابي شمر الغساني وطلب من السموأل ان يسلمهُ الدروع المودوعة عندهُ فرفض رفضاً باتّاً وتحصن منهُ . وكان لهُ ابنٌ قد يفع وكان مولعاً بالصيد والقنص فبينما هو راجعٌ ذات يوم من صيدهِ قبض عليهِ الحارث وسجنهُ وخيَّر ابيهِ اما ان يسلم الدروع او يقتل ابنهُ . فاجابهُ السموأل شأنك بهِ فانا لا اسلم الدروع ما دام فيَّ عرقٌ ينبض لاني اذا سلمتُ مال جاري الذي اؤتمنتُ عليهِ ثلمَ شرفي ولحق بي العار فانا لا اغيرَ بذمتي واولى بالانسان ان يموت شريفاً عزيزاً من ان يموت حقيراً مهاناً . فاحتدم الحارث غيظاً من هذا الجواب وضرب وسط الغلام فقطعهُ قطعتين وانصرف فقال السموأل :

اعاذلتي ألا لا تعذليني ... فكم من امرٍ عاذلةٍ عصيتُ
وفيتُ بادرع الكندي اني ... اذا ما ذمَّ اقوامٌ وفيتُ

واوصى عاديا يوماً بان لا تهدّم يا سموأل ما بنيتُ
بنى لي عاديا حصناً منيعاً وماءً كلما شئت استقيتُ

وفي رواية اخرى وهي اقرب الى الصواب على ما قالهُ المؤرخون ان احد الملوك غزى السموأل مدعياً انهُ من ورثة امرىء القيس وان لهُ حقاً بالدروع فلم يصدق السموأل كلامهُ وابى ان يسلمهُ الدروع واتفق ان الملك ظفر بابن السموأل خارجاً من الحصن وقيل راجعاً من الصيد وهو الراجح فقبض عليهِ وقال لابيهِ ان لم تعطني الدروع قتلت ابنك لا محالة فقال لهُ اجلني واعطني فرصة للافتكار فاجلهُ فجمع السموأل اهل بيتهِ وشاورهم في الامر فاشاروا عليهِ جميعاً بالتسليم لينقذ ابنهُ من وهدة الهلاك . فلما اصبح ذهب الى الملك وقال لهُ لا اسلم لك الدروع فاصنع ما انت صانع فذبح الملك ابنهُ وهو ينظر اليهِ . واتى السموأل بعد ذلك الى المرسم ومعهُ الدروع فدفعها لورثة امرىء القيس . ومن ذاك الوقت ضُرب بهِ المثل في الوفاء والامانة . ولا غرو فهذا دليلٌ ساطع على امانة شعب اليهود ووفائهِ واستقامتهِ من قديم الزمن

امَّا شعر السموأل فمشهورٌ وهو مثالٌ في الطلاوة ورشاقة المبنى . واشهر شعرهِ قصيدتهُ اللامية نذكرها هنا لما فيها من الحكم والمعاني الشعرية البديعة :

اذا المرءُ لم يدنس من اللوم عرضهُ فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس الى حسن الثناء سبيلُ
تُعيّرنا أنَّا قليلٌ عديدنا فقلت لها انَّ الكرام قليلُ
وما قلَّ من كانت بقاياهُ مثلنا شبابٌ تسامى للعلى وكهولُ
وما ضرَّنا أنَّا قليلٌ وجارنا عزيزٌ وجار الاكثرين ذليلُ
لنا جبلٌ يحتلهُ من نجيرهُ منيعٌ يرد الطرف وهو كليلُ
رسا اصلهُ تحت الثرى وسما بهِ الى النجم فرعٌ لا ينال طويلُ
هو الابلق الفرد الذي شاع ذكرهُ يعزُّ على من رامهُ ويطولُ

وانا لقومٌ لا نرى القتل سبَّةً اذا ما رأتهُ عامرٌ وسلولُ
يقرّب حب الموت آجالنا لنا وتكرههُ آجالهم فتطولُ
وما مات منا سيدٌ حتف انفهِ ولا طلّ يوماً حيث كان قتيلُ
تسيلُ على حدّ الظباةِ نفوسنا وليست على غير الظباةِ تسيلُ
صفونا ولم نكدر وأخلص سرّنا اناثٌ اطابت حملنا وفحولُ
علونا الى خير الظهور وحطّنا لوقتٍ الى خير البطون نزولُ
فنحن كماء المزن ما في نصابنا كَهامٌ ولا فينا يُعدُّ بخيلُ
وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقولُ
اذا سيدٌ منا خلا قام سيدٌ قؤولٌ لما قال الكرامُ فعولُ
وما أُخمدت نارٌ لنا دون طارق ولا ذمنا في النازلين نزيلُ
واياما مشهورةٌ في عدونا لها غررٌ معلومةٌ وحجولُ
واسيافنا في كل شرقٍ ومغربٍ بها من قراع الدارعين فلولُ
معودةٍ ان لا تُسلّ نصالها فتغمدَ حتى يُستباح قتيلُ
سلي ان جهلتِ الناس عنا وعنهم فليس سواءٌ عالمٌ وجهولُ
فان بني الريان قطبٌ لقومهم تدور رحاهم حولهم وتجولُ

وقد خمس هذه القصيدة صفي الدين الحلي تخميساً بديعاً · واقتصرنا عن ترجمة السموأل بما تقدم حبّاً بالاختصار

ابن سهل

هو ابرهيم بن سهل الاسرائيلي الاشبيلي الشاعر الطائر الصيت الذي اشتهر بالذكاء وتوقد الذهن وعرف بسعة الاطلاع ووافر الادب · ولد سنة ٦٠٩ هجرية · وهو شاعر مشهورٌ ولهُ ديوان معروف فيهِ من القصائد الغراء والمقاطيع البديعة شيءٌ لا يحصى خصوصاً في الغزل لانهُ كان رحمهُ

الله ممن ملك الحب قلوبهم فاذلهم · وقد مات ابن سهل غريقاً مع ابن خلاص والي سبتة سنة ٦٤٩ هجرية وعمرهُ نحو الاربعين سنة

ومما يروى عن مقدرتهِ في الشعر ان الهيثي نظم قصيدةً غرَّاء يمدح بها المتوكل على الله محمد ابن يوسف بن هود ملك الاندلس وكانت اعلامهُ سوداً لانهُ كان بايع الخليفة ببغداد · فوقف ابن سهل على القصيدة وناظمها ينشدها لبعض اصحابهِ وكان ابن سهل اذ ذاك صغير السن فقال للهيثي زد بين البيت الفلاني والبيت الفلاني

اعلامهُ السود اعلامٌ لسؤددهِ ... كانهنَّ بخدّ الملك خيلانُ

فقال لهُ الهيثي هل تروي هذا البيت ام تنظمهُ قال بل نظمتهُ الساعة · فاستعجب الهيثي من ذكائهِ وتوقد ذهنهِ وسرعة خاطرهِ وقال لاصحابهِ والله ان عاش هذا ليكونَنَّ اشعر شعراء الاندلس

واغلب شعر ابن سهل واحسنهُ هو في الغزل ولهُ فيهِ من المعاني البديعة الدقيقة شيءٌ وافر ونحن ننقل عنهُ بعضاً من محاسن شعرهِ وهو قولهُ من قصيدة

سل في الظلام اخاك البدر عن سهري ... تدري النجوم كما يدري الورى خبري
ابيت اهتف بالشكوى واشرب من ... دمعي وانشقُ ريّا ذكركَ العطرِ
حتى يُخيَّل اني شاربٌ ثملٌ ... بين الرياض وبين الكأس والوترِ
من لي بهِ اختلفت فيهِ الملاحة اذ ... اومت الى غيرهِ ايماءَ مختصرِ
معطَّلٌ فالحلى منهُ محلاَّةٌ ... تغني الدراري عن التقليد بالدررِ
بخدّهِ لفؤادي نسبةٌ عجبٌ ... كلاهما ابداً يدمى من النظرِ
وخالهُ نقطةٌ من غنج مقلتهِ ... اتى بها الحسن من آياتهِ الكبرِ
جاءت من العين نحو الخدّ زائرةً ... وراقها الورد فاستغنت عن الصدرِ
بعض المحاسن يهوى بعضها طرباً ... تأملوا كيف هام الغنج بالحورِ

ومن قولهِ

وركبٍ دعتهم نحو طيبةَ نيةٌ   فما وجدت الاَّ مطيعاً وسامعا
يسابقَ وخدُ العيس ماء شؤُونهم   فيقفون بالسوق الملي المدامعا
اذا انعطفوا او رجعوا الذكر خلتهم   غصوناً لُدانًا او حماماً سواجعا
تضيء من التقوى خبايا صدورهم   وقد لبسوا الليل البهيم دوارعا

ولابن سهل شهرة في الشعر تراجع في غير هذا الكتاب

اطباء اليهود

اشتهر كثيرون من الاطباء اليهود في علم الطب واخذ الخلفاء والامراء عنهم هذا الفن وتبحروا فيهِ . وعددهم عظيمٌ نكتفي بذكر بعضٍ من مشاهيرهم فمنهم ابو حفص يزيد مولى مروان بن الحكم طبيب يهودي في اليمامة كان في خلافة ابن عفّان سنة ٣٠ للهجرة (٦٥٠ م)

وماسرجويه الطبيب البصري سرياني اللغة يهودي المذهب تولى ترجمة مؤلف القس اهرون من السرياني الى العربي في خلافة مروان وكان طبيباً ماهراً مشهوراً بالبراعة والذكاء . روى ايوب بن الحكم قال كنت جالساً عند ماسرجويه فاتاهُ رجلٌ من الخوز وقال لهُ اني بليت بداء عضال لم يُبلَ احدٌ بمثلهِ فسألهُ عن دائهِ فاجابهُ أُصبح فبصري مظلمٌ عليَّ وأُصاب بالم في معدتي فلا تزال هذه حالي الى ان آكل شيئاً فاذا اكلت سكن ما اشعر بهِ الى وقت انتصاف النهار ثم يعاودني ما كنت فيهِ فاذا عاودت الاكل سكن ما بي الى وقت صلاة الليل ثم يعاودني ثانيةً فلا اجد لهذا الداء دواءً الاَّ الاكل فقال لهُ ماسرجويه عَلي دائك هذا غضب الله فانهُ اساء لنفسهِ الاختيار عند ما حل بك واني لأَودُّ ان هذا الداء يتحول اليَّ والى اولادي فكنت اعوضك عنهُ فقال لهُ الخوزي لم افهم ما تقول فاجابهُ ماسرجويه هذه صحة لا تستحقها واني اسأَل الله نقلها عنك الى من هو احق بها منك

ومنهم ابو موسى جابر ابن حيان بن عبد الله الصوفي الطرسوسي وُلد في الكوفة واشتهر في علم الكيمياء وجمع خمس مئة رسالة من رسائل جعفر في الف صفحة طبعت في ستراسبور سنة ١٥٣٠ وايضاً سنة ١٦٢٥ وطبع ايضاً كتاب اصول الكيمياء لجابر وابن سينا في باسل سنة ١٥٧٢ ولهُ كتاب في علم الهيئة طبع في نورسبرج سنة ١٥٣٤

ومن الذين اشتهروا في علم الادوية والعقاقير ابو داود سليمان بن جلجل الطبيب الاندلسي القرطبي اليهودي نبغ في اواسط القرن الرابع للهجرة وقد ترجم عدة مصنفات طبية منها كتاب الادوية البسيطة لديسقوريدس اليوناني بمساعدة بعض الاطباء فجاءت ترجمةً في غاية الدقة والضبط ولاسيما في اسماء العقاقير فاكتسب بذلك شهرة كثيرة وصيتاً بعيداً

ومن الاطباء المشهورين جبرائيل بن بختيشوع الذي كان ايام الرشيد سنة ٨١٤ ميلادية واشتهر في حذقهِ وبراعتهِ في الطب وامتدحهُ ابو الفرج وذكر عنهُ الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ المطبوع في مصر في الصفحة ١٣٦ وما بعدها نوادر غريبة تدل على فطنتهِ واخلاصهِ في مهنتهِ

ومنهم موسى ابن ميمون الذي شهرتهُ تغني عن ترجمتهِ ولهُ عدا اشتغالهُ بالطب المؤلفات النفيسة في مواضيع مختلفة وقد مرَّ ذكرهُ في غير هذا المكان

ومن الاطباء المشهورين منقة وصالح بن بهلة وعبدوس بن يزيد وموسى بن اسرائيل الكوفي وزين الطبري اليهودي وابو يوسف يعقوب بن اسحق وقد نبغ كثيرون من الاطباء اليهود الحاذقين يضيق المقام عن ذكر اسمائهم فاكتفينا بما تقدم . واما اطباء اليهود الحديثون وكتابهم المشهورون فكثيرون لا يسعهم هذا المختصر وربما عدنا الى ذكر كثير منهم في طبعةٍ اخرى

ابن تبُّون

هو يهوذا بن شاول بن تبون الكاتب العبراني والمعرب الشهير . وُلد في بلدة لونل بفرنسا سنة ١١٢٠ ولم يقم طويلاً فيها لان سكانها اضطهدوا

اليهود وعاكسوهم كثيرًا حتى اضطروا الى مزايلتها والسفر منها الى مدن اخرى · وقد هاجر مع من هاجروها وجاء بروفنسة فاستوطنها واشتهر بعد ذلك بالتعريب والتصنيف فقد عرب الى العبرانية اعظم مؤلفات اليهود العبرية وأُلقب بامير المعربين · والف كتابًا في اصول اللغة العبرانية ولكنهُ فقد ولم يعثر عليهِ احد · وتوفي ابن تبون سنة ١١٩٠ للميلاد

وولد ابنهُ صموئيل بن تبوك بن يهوذا سنة ١١٦٠ وتوفي سنة ١٢٣٠ وكان كاتبًا معدودًا ومعربًا شهيرًا مثل ابيهِ · فقد عرب الى العبرانية عدة مؤلفات فلسفية لكثير من علماء اليهود وغيرهم وعلق شروحًا كثيرة على سفر الجامعة وسفر التكوين من الاصحاح الاول الى التاسع · وقد طُبعت هذه الشروح في برسبرج سنة ١٨٣٧

ابن شعيب

هو يوئيل بن شعيب اليهودي التطيلي الاندلسي الكاتب المفسر نبغ في تطيلة في القرن الخامس عشر للميلاد ووضع شروحًا مفيدة على بعض اسفار الكتاب طبعت في ونديق · و يظن انهُ ولد سنة ١٤٣٠ وتوفي سنة ١٤٩٠

ابن جبرول

ويُعرف عند الافرنج باسم اويسبرون وُلد في مالقه في اوائل سنة ١٠٢١ وتوفي سنة ١٠٧٠ ونبغ بين معاصريهِ واشتهر بسعة علمهِ وزادت شهرتهُ عند اهل القرون المتوسطة بكتابٍ سماهُ "ينبوع الحياة" وقد وثق بهِ بعضهم واعلوا مقامهُ واحلوا كلامهُ محل القبول ونبذهُ آخرون وعدوهُ كافرًا · وكانوا في الحقيقة يجهلون ما هو دينهُ ولا يعرفون ان كان يهوديًا او نصرانيًا او مسلمًا · وما زال مجهولاً حتى عثر بعض الباحثين على نسخة عبرانية من كتابهِ ينبوع الحياة معربة عن الاصل العربي فعرفوا منها ان اويسبرون

هو سليمان بن يهوذا ابن جبرول المعروف عند العرب بابي ايوب سليمان بن يحيى وكان متضلعاً عالماً وفيلسوفاً شهيراً راسخاً في علم اللغة العبرانية ولهُ منظومات دينية تدل دلالة واضحة على صحة عقيدتهِ وتمسكهِ بدينهِ . ولهُ منظومة بديعة في نحو العبرانية الفها وهو ابن تسع وعشر وهي مثال في الطلاوة وحسن الانشاء . ولهُ كتاب في اصلاح الاخلاق باللغة العربية نقلهُ يهوذا بن تبون الى العبرانية وطبع سنة ١٥٥٠ ولم يقم طويلاً في سرقطه لانهُ اورد في كتابهِ آراء جديدة في الطبيعة البشرية والشهوات وتعرض لامور شخصية الزمتهُ الرحيل . وتنقل كثيراً في بلاد اسبانيا من مدينة الى اخرى بغير ان يقرَّ لهُ قرار حتى استدعاهُ الوزير الاول صموئيل صانا كد الاسرائيلي وقرَّبهُ اليهِ واعلى مقامهُ . ولابن جبرول شروحات كثيرة على بعض اسفار التوراة ومنظومة سماها "التاج الملوكي" وفيها كثيرٌ من جودة المعاني والشوق الروحاني حتى صار اليهود يرتلوها في صلاتهم ليلة عيد الحزن

اما كتابهُ "ينبوع الحياة" المعروف بكتاب المادة العامة فقد عرب الى اللاتينية ويظهر منهُ ماهية فلسفتهِ ومذهب بعض فلاسفة اليهود . وكتب في مؤَلفهِ هذا في مباحث فلسفية عويصة وتعرض لشرح ارسطاليس عن وجود عنصرين متحدين هما المادة والصورة وقد اسهب في هذا المعنى وشرحهُ شرحاً وافياً حتى صارت كتاباتهُ موضوع جدالٍ وخلاف عظيمين بين اهل الحقائق واهل الفلسفة الاسمية . وبحث ايضاً في علم الارادة بكتاب جاء ذكرهُ ولكنهُ فُقد ولم يُعثر عليهِ . ويتضح من كتاب ينبوع الحياة ان صاحبهُ يعتقد بصحة القليل من المذهب الافلاطوني ولكنهُ غير موافق لهُ تماماً فقد خالفهُ في كثير من المباحث والمواضيع الجوهرية التي أُسندت اليها كل آرائهِ وافكارهِ

وجاء في كتاب آثار الادهار ان ابن جبرول كان من الحقائقيين لقولهِ ان كل حقيقة كائنة في الجنس ومهما اختلفت الاجناس فرجعها الى الشيئين

الكبيرين وهما المادة والصورة اللتان عدتا اصل كل حقيقة الاَّ ما كان من الطبيعة الالهية . وقد قال ايضاً بوجود مادَّة عامة مشتركة بين الارض والسماء والارواح والجواهر المتوسطة بين الانسان والخالق . وقال اننا اذا نظرنا الى الاجسام على اختلافها نرى لها اصلاً عامًّا هو موضوع جميع الصفات الهيولية وهو المسمى حصرًا بالمادَّة . ولولا هذه المادة لما كان بين الاجسام غير فروق . ولكن الجسم اسمٌ بلا معنى . وبحث ايضاً في الارواح العمومية والخصوصية التي فوق الاجسام وجاء بآرائهِ فيها وهي شاذة تخالف كل ما تقدمها من آراء العلماء والفلاسفة وابحاثهم حتى استوجبت الردَّ والدحض . وقال ان الارواح مركبة كغيرها من المادة والصورة ولو كانت غير مركبة لاستحال ان تؤلف جنساً ولا يصح ان يقال لها على الاطلاق روحانية وذهب الى ان الجنسين الروحاني والجسداني ليسا سوى نوعين من جنس ارفع منها وهو المادة التي في كلٍّ منهما وان المادة الهيولية والمادَّة الروحانية ليستا سوى جزئين من المادَّة العامة . والمراد بالمادة هنا على مذهب الحكماء احدى عالي الوجود

والخلاصة ان تعاليم ابن جبرول وآراءهُ على ما فيها من الخلل والشطط والابتذال تعدُّ من المباحث الفلسفية والعلمية وهي كثيرة الاهمية بقيت زمناً طويلاً موضوع بحث وتنقيب عند الفلاسفة والحكماء . وقد كانت باديءَ بدءٍ مجهولةً لو لم يطلع عليها بعض المؤرخين . وقد تكلم ابن رشد الفيلسوف الشهير على احد مباديء كتاب ينبوع الحياة وهو مبدأ العقل العام . وذكر بعض المؤرخين مذهب ابن جبرول وعدُّوهُ مخالفاً للمعتقد الاسرائيلي . وعرب العالم دومنيكو غنديسلقي كتاب ينبوع الحياة في منتصف القرن الثاني عشر فاحدث اضطراباً شديداً وتمسك بعض بهِ وناقضهُ آخرون ومنهم امبرت الكبير فانهُ دحض آراء ابن جبرول في المادَّة العامة والعقل العامل . وقد اجاد توما الاكويني في مناقضتهِ لهُ ايضاً . اما روجر باكون المشهور

فقد عزَّز آراءه واعتقد بصحتها ونقحها على قدر الامكان وهذا كثيرون من العلماء حذوه

فيظهر مما تقدم ان ابن جبرول مع تطرفهِ في آرائهِ ومباحثهِ يعدُّ عالمًا كبيرًا وكاتبًا نحريرًا ومن اشهر فلاسفة الزمن

اغنياء اليهود

البارون موريس هرش وزوجتهُ

البارون موريس ده هرش اكبر اولاد البارون يوسف هرش الذي رقَّاهُ الملك لويس الثاني ملك بافاريا الى رتبة البارونية لاجل اخلاصهِ لعرشهِ وخدمهِ الكثيرة النافعة لهُ. كان جدُّهُ تاجرًا بالبقر فاثرى وصار ملك بافاريا يستدين المال منهُ. قيل سألهُ الملك مرةً كيف اثريت وانت تتاجر بالبقر فقال اثريت لاني اتاجر بالبقر ومع البقر

ولد البارون موريس هرش في مونخ عاصمة بافاريا في ٩ دسمبر سنة ١٨٣١ ودرس في بركسل عاصمة البلجيك ولما بلغ الثامنة عشرة من العمر دخل بنك بيشوفسهيم وغولد شمت وهما من اكبر صيارفة بركسل فظهرت حالاً نجابتهُ ومقدرتهُ المالية واقترن بابنة بيشوفسهيم وهي اصغر منهُ بسنتين فاقترن بهِ السعد باقترانهِ بها لانها كانت كملاك يحرسهُ ويرشدهُ ويبثُّ البهجة والحبور في حياتهِ

ولم يمضِ عليهِ زمن طويل حتى صار المدير لذلك البنك والموسّع لاعمالهِ وكان متوقد الفؤاد قوي العزيمة مقتدرًا على ادارة الاعمال وتنظيمها فانشأ سكة الحديد من بودابست الى وارنه على البحر الاسود وكان العمل ثلاثة اقسام أُخذت بالقرعة واصابت قرعتهُ القسم الاصعب منها لكنهُ ربح منهُ

ربحاً طائلاً والاثنان الآخران خسرا لانهُ كان اكثر منهما صبراً على ادارة الاعمال

وافاس المسيو ديمنسو المالي البلجي العظيم سنة ١٨٦٩ فابتاع البارون هرش منهُ سندات سكة الحديد التركية وكان المظنون انها اخس ممتلكاتهِ قيمة واقلها جدوى لكنهُ احسن ادارتها حتى صارت اساس ثروتهِ . وظلّ ينشئُ سكك الحديد متغلباً على المصاعب الطبيعية والعراقيل السياسية حتى قدّرت ثروتهُ بعد خمس عشرة سنة بعشرة ملايين جنيه الى ثلاثين مليوناً

وكانت هذه الثروة الطائلة في يدهِ ويد زوجتهِ وسيلة لاغاثة الفقراء والمظلومين من ابناء ملتهِ فلما طُرد اليهود من روسيا عرض على حكومة الروس مليونين من الجنيهات لتنفقها على التعليم حاسباً ان السبب الاكبر لطردهم من بلاد الروس هو الجهل الضارب اطنابهُ فيها فاذا انتشر التعليم والتهذيب زال منها التعصب والتحمس . فرفضت حكومة الروس هذه الهبة السنية

وكان يحسب اليهود من اقدر الناس على الفلاحة والزراعة بناءً على ما رأى منهم في بلاد المجر . قال " ان اكثر الفلاحين منهم هناك حتى ان خدمة الدين الكاثوليكي يعتمدون عليهم فقط في زراعة اوقاف الكنائس وكل اصحاب الاملاك الكبيرة يفضلون اليهود لاجتهادهم واستقامتهم ومهارتهم فهذه الامور دعتني الى الاهتمام باصلاح شأنهم وسيظهر انهم لم يفقدوا الميل الى الزراعة الذي امتاز بهِ اسلافنا وسأبذل جهدي لاهيئ لهم اوطاناً اخرى في بلدان مختلفة حيث يستطيع الفلاّح ان يكون مستقلاً يحرث ارضهِ ويستفيد من جدهِ واجتهاده "

فابتاع الاراضي الفسيحة في جمهورية ارجنتين وولاية نيوجرزي باميركا واماكن اخرى واعطاها لابناء امتهِ ووهب جمعية استعمار اليهود مليونين من الجنيهات واعطى اليهود الروسيين المهاجرين الى الولايات المتحدة الاميركية نصف مليون جنيه لكي يتعلم ابناؤهم ويتهذبوا ويصيروا مثل الاميركيين .

فمضى كثيرون منهم الى الولايات المتحدة الاميركية واستوطنوها وزرعوا الارض وانشأوا المعامل وربوا المواشي ولهم في ولاية نيوجرزي مدرسة صناعية ومدرسة زراعية

وقد يُظن لاول وهلة ان رجلاً يبلغ اهتمامهُ بامر امتهِ وملتهِ هذا المبلغ لا يهتم بغيرها لكنَّ البارون هرش لم يكن كذلك بل كان يعتمد على الاكفاء من كل الامم ويهتم بالمساكين من كل الطوائف . وهو الذي بعث بالمؤلف هال كاين الى روسيا ليبحث عن احوال العامة من شعبها وما يحتاجون اليهِ وبعث اليها ايضاً بالكاتب الشهير ارنلد هوَيت (مكاتب جريدة التيمس) لهذه الغاية . كتب المستر هويت عن البارون هرش " انهُ يشتغل بامر روسيا وتوزيع الصدقات فيها من الساعة السادسة صباحاً وانا اكتب هذه السطور الآن والى جانبي ثلاثة مجلدات كبيرة كلها مكاتيب منهُ تدلُّ على اهتمامهِ الشديد ورثائهِ للمحتاجين والمظلومين . وقد تصدَّق باكثر من المال فانهُ تصدَّق بوقتهِ وقواهُ العقلية لنفع ابناء ملتهِ "

وكانت زوجتهُ تشاركهُ في كل اعمالهِ وصدقاتهِ . قال المستر اسكار ستروس سفير الولايات المتحدة في تركيا " انها اكبر مساعد لزوجها فقد كان يستشيرها في كل امر ويخبرها بكل شيء وكانت تقرأ مكاتيبهُ وتساعدهُ في كتابة اجوبتها وترافقهُ في اسفارهِ وتشاركهُ في امانيهِ ولم تكن تشاركهُ في يأس لانهُ لم يكن ييأس من امر قط . وهي امرأة فاضلة انيسة المحضر رقيقة القلب كريمة جداً انفقت جانباً كبيراً من ثروتها الخصوصية على المدارس والملاجئ والمستشفيات وكانت تزورها بنفسها وتهتمُّ بادارتها . رأيتها في القسطنطينية تزور احياء الفقراء يوماً بعد يوم وتساعدهم بيدها مسلمين كانوا او مسيحيين او يهوداً بلا تمييز بينهم "

وقصَّ المستر ستروس على السيدة سارة بولتن القصة التالية قال . اخبرني رئيس مهندسي سكة الحديد التي انشأها البارون هرش ان اول قسم من

السكة وصل من اسوار القسطنطينية الى قرية تبعد عنها عشرة اميال وكانت الحكومة العثمانية قد عينت لهُ مكان المحطة في وسط القرية واشترطت على نفسها ان تشتري مكان المحطة وتهدم البيوت التي فيهِ وتسلمهُ الى البارون هرش فقام السكان ونادوا بالويل والحرَب مخافة ان لا تدفع الحكومة اليهم شيئاً من ثمن بيوتهم واراضيهم . وبلغ الخبر زوجة البارون هرش وهي في الاستانة فسألت زوجها عن جليتهِ فقال هو كما بلغكِ ولكن الامر ليس في يدي بل في يد الحكومة العثمانية والشروط التي بيني وبينها تقضي عليها ان تبتاع البيوت والاراضي من اصحابها وتسلمها . فقالت ان لم يكن الامر في يدك فهو في يدي كم ثمن هذه البيوت والاراضي فقال نحو مليون فرنك فكتبت تحويلاً على البنك بمليون فرنك وارسلت وكيلها فدفع الى الناس ثمن بيوتهم وما يملكون وطيَّب خواطرهم . وبعد ايام احتفل بفتح القسم الاول من سكة الحديد وكان اولئك المساكين اشد الناس جذلاً وحبوراً

وانشأَت مدارس في القسطنطينية قبل مغادرتها انفقت عليها ٢٥ الف جنيه ولها ولزوجها مدارس كثيرة وملاجئ في اكثر بلدان المشرق

ومن صدقات البارون هرش الكثيرة اربعون الف جنيه بعث بها الى امبراطورة الروس على اثر الحربِ الروسية التركية لتنفق على المحتاجين ومليون جنيه لتنفق على اربعين مدرسة في غاليسيا يتعلم فيها الاولاد من كل المذاهب لانهُ كان يقول اني اسمع صوت المعوز فلا اسأَل أَهو من ملتي او من غير ملتي ولكن لا عجبَ اذا سمعتُ اكثر هذه الاصوات من ابناء ملتي وبذلت جهدي في اغاثتهم

وقد قدَّر المستر ستروس الهبات التي وهبها البارون هرش في حياتهِ باكثر من خمسة عشر مليون جنيه

وكان لهُ قصور كثيرة في لندن وباريس وبلاد المجر وبعضها من القصور الملكية القديمة ومنها قصر في باريس بنتهُ الامبراطورة اوجيني لدوكة البا ولم

يكد البارون هرش ينزل فيهِ هو وزوجتهُ سنة ١٨٨٧ حتى مرض وحيدها وتوفي فيهِ وتركها مصدوعي الفؤاد لكن وفاتهُ زادت رغبتهما في مؤاساة الحزانى والبائسين . وكان متجملاً بكثير من مناقب ابيهِ وامهِ عاكفاً على عمل الخير مغرماً بالخيل عندهُ كثير من الجياد الكريمة فباعها ابوهُ بعد موتهِ وتصدَّق بثمنها كلهِ ويكل ما ربحتهُ خيلهُ في السباق وهو مئة الف جنيه . ولما مات باعت زوجتهُ جيادهُ وتصدَّقت بثمنها كما فعل هو بجياد ابنهِ

وكان البارون هرش يضع صدقاتهِ في موضعها حتى تنتج عنها الفائدة المقصودة . قال البرنس بسمارك في هذا الصدد " ان هرش هو الرجل الوحيد الذي لا يفتقر الذين يتصدق عليهم ". وكان يأتيهِ كل يوم اربع مئة مكتوب في طلب الصدقات وبعضها من ابناء الملوك وهؤُلاءِ كانوا يستدينون منهُ ولا يوفونهُ غالباً فيعدُّ ما يعطيهم اياهُ صدقةً

وليلة العشرين من ابريل سنة ١٨٩٦ قضى نحبهُ بغتةً بالسكتة الدماغية بعد ان عاش سنين كثيرة مثالاً للهمة والاجتهاد والاحسان وعلم الاغنياء بسيرتهِ وقدوتهِ كيف ينفعون الفقراء ويكونون بركةً لنوع الانسان لا لعنةً عليهِ

وبقيت زوجتهُ ثلاث سنوات بعدهُ سائرة في خطتهِ خطة التصدُّق . قالت لامرأَة زارتها في فرساليا ان الغنى الوافر عبءٌ ثقيل على صاحبهِ وغاية ما اطلبهُ وما ارجوهُ ان اتمكن من انفاق اموالي كلها حتى يحصل من انفاقها اكبر نفع لاكبر عدد من الناس

ولم تمضِ سنة على وفاة زوجها حتى ارسلت اكثر من مليون ريال الى مدرسة الصنائع التي انشأَها في نيويورك حيث يتعلم شبان اليهود الذين هاجروا من روسيا . ولم تمضِ ثلاث سنوات على وفاتهِ حتى انفقت على الصدقات ثلاثة ملايين من الجنيهات . وجملة ما تصدقت بهِ هي وزوجها في حياتهما اكثر من خمسة وعشرين مليوناً من الجنيهات

كتب المستر ستروس " ان حياة البارونة هرش مثال للايثار وانكار

الذات فان شغلها الشاغل كان كيف تستطيع ان تتصدق على الناس من غير ان يشعروا بالذل في نفوسهم وكثيرًا ما كنت اساعدها على فتح المكاتيب التي ترد اليها وكان متوسط ما يرد اليها في اليوم خمس مئة مكتوب من كل اقطار المسكونة وكان لا بدَّ من قراءة كل مكتوب منها واختيار ما تظن اصحابهُ اهلاً للمساعدة فتختار المكاتيب التي يجب ان يجاب اصحابها عليها وتملي على الكتبة ونقضي بضع ساعات كل يوم في اجابة السائلين وارسال التحاويل المالية . هذه هي صدقاتها الافرادية غير صدقاتها العمومية الجمهورية كهباتها للمدارس والمستشفيات وما اشبه ذلك

" وكانت على غاية الوداعة والرصانة قلبها قلب ملاك ورأسها رأس فيلسوف قال زوجها لي مرةً انها لو كانت زوجة رجل فقير لكانت مثالاً لنساء الفقراء في الاجتهاد والتدبير

" لما كانت فتاة في بيت ابيها كانت سكرتيرًا لهُ في ما يتعلق بصدقاتهِ الكثيرة التي كان يتصدَّق بها ولما تزوجت صارت سكرتيرًا لزوجها في صدقاتهِ وكانت تحسن الكتابة بالانكليزية والالمانية والفرنسوية ولم تقتصر على ان تكون سكرتيرًا لزوجها في كل اعمالهِ الخيرية بل كانت تحضهُ دائمًا على عمل الخير وترشدهُ الى اساليبهِ . وقد كتبت اليَّ مرة تقول ان الثروة الوافرة مزية كبيرة ولكنها وديعة في يد صاحبها يُطلب منهُ ان يستعملها حيث يكون منها النفع الاعظم

" ولم تكن تنفق على نفسها اكثر مما تنفقهُ امرأة من اواسط الناس ولا كانت تهمل ترتيب بيتها وخدمها . وكانت تعمل اعمالها على غاية الدقة والانتظام . كنت راكبًا معها مرةً في ضواحي باريس فاوقفت المركبة بغتة وطلبت من احد خدمها ان ينزل ويفرّق على بعض الفقراء مبلغًا من المال ثم التفتت اليَّ وقالت ان الذين درسوا احوال المساكين لا يستصوبون هذا النوع من الاحسان وانا اعلم انهم مصيبون ولكن ما حيلتي وانا امرؤٌ بات

اعطي واريد ان اسرَّ نفسي مثل غيري . وكانت تقول هذا القول على غاية الدعة والبساطة"

توفيت في مدينة باريس في غرة ابريل سنة ١٨٩٩ وكان الاحتفال بدفنها بسيطاً جداً واحتفل بجنازتها في اماكن كثيرة في اوربا واميركا ومن صدقاتها المعروفة

٤٠٠٠٠٠ جنيه لجمعية الاستعمار اليهودية في لندن

٤٠٠٠٠٠ " للجمعية الخيرية الاسرائيلية في باريس

٤٠٠٠٠٠ " معاشات لمستخدمي سكة الحديد الشرقية

٢٠٠٠٠٠ " ليهود بودابست

١٢٠٠٠٠ " لجمعية الاوصياء في لندن

١٢٠٠٠٠ " لمدرسة هرش في جاليصيا

١٢٠٠٠٠ " لجمعية الاحسان في فينا

٠٨٠٠٠٠ " لبناء مستشفى للاولاد المسلولين في الرفيرا

٠٨٠٠٠٠ " لبناء ملجإ للنساء الشريفات اللواتي افتقرنَ

٠٧٠٠٠٠ " لدار الناقهين في مستشفى همستد بلندن

٠٤٠٠٠٠ " لجمعية الاحسان

هذه الصدقات الكبيرة اما الصدقات الصغيرة التي تقلُّ الواحدة منها عن عشرين الف جنيه فكثيرة جداً و يبلغ مجموع ما تصدَّقت بهِ هي وزوجها اكثر من خمسة وعشرين مليون جنيه كما تقدَّم ولعلها كل ثروتها او اكثرها

هذا هو الكرم الحميد وهذه هي المناقب التي يفتخر بها الرجال والنساء . والرجل وزوجتهُ شرقيان من بني اسرائيل من ارض فلسطين ولو كانت اوربا دارهما ومسقط رأسهما (المقتطف)

بيت روتشلد

لامشاحة في ان بيت روتشلد اكبر البيوتات المالية والتجارية في العالم كله وله معاملات كثيرة مع حكومات اوربا واسيا وعلاقة كبرى مع الحكومة المصرية وهي مديونة له بملايين كثيرة من الجنيهات . فلا عجب اذا قلنا ان جميع الممالك تحسب حسابهُ وتهتز لكلمةٍ منهُ . وكلمةٌ منهُ تكفي لخراب الوف من البيوتات المالية وعمار الوفٍ . وهو عنوان الثروة الطائلة والاتحاد الاخوي واصالة الراي . ومن لم يسمع بشهرة افراد هذا البيت وهم اعظم العائلات قدرًا واوسعها جاهًا واسبقها في حلبة الاجتهاد . فالمطلع على تاريخهم وتراجم حياتهم يرى من مظاهر الحزم والاقدام وعلو الهمة وعمل الخيرات والمبرات ما يتخذ قدوة لرجال المال واصحاب الثروات في ادارة الاعمال وعمل الخير والاحسان ومساعدة الجنس البشري

اول من غرس دوحة تجد هذا البيت هو ماير أنسليم روتشلد . وُلد في فرانكفورت سنة ١٧٤٣ وتوفي فيها سنة ١٨١٢ . واصلهُ من عائلة اسرائيلية فقيرة الحال ارسلهُ ابوهُ من صغرهِ الى مدينة فرس ببفاريا فدخل احدى مدارسها حيث تلقى الدروس الابتدائية ثم استعد لدرس العلوم الدينية لان اباهُ كان يريد ان يكون حاخامًا . ولكنهُ غيَّر فكرهُ عند رجوعهِ الى فرنكفورت وعزم على الدخول في مضمار التجارة لشدة ميلهِ اليها من صغر سنهِ . ودخل في بيت اوبنهيم الصيارفة في مدينة هانوڤور فمكث فيهِ ثلاث سنوات تعلم في خلالها المساومة والصرافة والمضاربات المالية وتدرب على ادارة الاعمال وبرع فيها حتى صار من مديري المحل . وبعد ان جمع مبلغًا قليلاً من المال رجع الى مدينتهِ الاصلية سنة ١٧٨٠ وفتح فيها محلاً صغيرًا للصرافة . واقترن بعد ذلك بالآنسة شسنيبر وكانت على جانب عظيم من الذكاء فساعدتهُ كثيرًا في توسيع محلهِ وادارة اشغالهِ . فكانت هي تدير اشغال المحل بكل اجتهاد

وهو يتنقل في البلاد المجاورة حيث يبيع بضائعهُ ويشتري غيرها . ولم تمضِ الاَّ سنوات قليلة حتى تقدمت تجارة روتشلد ونجح نجاحاً باهراً . وكل ذلك راجعٌ الى اجتهادهِ واصالة رأيهِ وبعد نظرهِ في عواقب الامور . واشتهر بالاستقامة والامانة ووثق بهِ التجار الكبار في فرنكفورت ومانيس ودرمستاد لانهُ كان يدفع ما عليهِ في مواعيدهِ فاجمعوا على احترامهِ واستشارتهِ في كثيرٍ من المسائل وصاروا يقضون جميع اشغالهم عن يدهِ فكان ينجزها في سرعةٍ ودقة واستقامة حتى انهم لقبوهُ " باليهودي الامين " . وفي ايام الثورة الفرنساوية كان اسم روتشلد معروفاً بين كثيرين ولكنهُ كان صغيراً اذا قورن مع غيرهِ من الماليين العظام والتجار الكبار . وقد ساعدتهُ التقادير واتتهُ فرصةٌ غير منتظرة فتحت لهُ موارد الثروة ورفعتهُ الى اعلى مقام وصيرتهُ اكبر رجل مالي في العالم

ذلك ان حكومات اوروبا كانت قائمة في ذلك الاوان على نابوليون بونابرت خوفاً من بطشهِ واتساع سلطتهِ . وكانت جيوش نابوليون تخترق اوروبا شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً . وقد زحف قسمٌ كبيرٌ منها بقيادة الجنرال هوش فرانكفورت الانتقام من اميرهيس لانهُ كان يؤجر رجالهُ للانكليز ليحاربوا بها بونابرت ويأخذ الاموال الكثيرة مقابل ذلك . ولما قرب الجنود من المدينة بلغ الامير الخبر فعزم على الهرب من وجه الاعداء ولكنهُ وقع في حيرةٍ ولم يدرِ ماذا يعمل باموالهِ الكثيرة . فبعث الى روتشلد وأتمنهُ على جانب كبير منها بغير رباً . فابتدأت من ذلك الحين ثروة بيت روتشلد . وكان الاقرب الى الظن ان روتشلد يرفض طلب اميرهيس لان المال شرك الردى ولا سيما في مثل هذه الاحوال ولو رفض لتغير تاريخ اوروبا فانهُ يقال عن ثقة ان بيت روتشلد حفظ السلم ثلاث مرات . ولكنهُ قبل اموال الامير وخبأَها في حفرة تحت الارض لانهُ عرف ان الجنود ستدخل بيتهُ لا محالة . ودخلت الجنود الفرنساوية بعد قليل الى فرنكفورت ودخلت

البيوت تنهب ما فيها وجاءت بيتهُ فاخذ يتوسل اليهم ان يتركوا لهُ شيئًا من ماله فلم يصغوا اليهِ بل نهبوا كل ما وجدوهُ في البيت . ولو اخفى امواله الخاصة مع اموال الامير لفتشت الجنود عنها ووجدتها ووجدت اموال الامير معها . ولكنهُ افتدى اموال الغير بمالهِ وذلك مما يدل على امانتهِ ووفائهِ . والوفاء مشهورٌ عن اليهود من ايام السموأل بن عادياء فانهُ جاء بابنهِ دون دروع امرئ القيس

ولما أجلت الجنود عن المدينة ورجع الامن اليها ارسل روتشلد جانبًا من المال الى ابنهِ في لوندرا واخذ يستعمل الباقي ويدينهُ بربا فاحش الى ملوك اوروبا الذين كانوا في حاجةٍ كبيرة لينفقوا على الحروب ويقوموا بتعبئة الجيوش وهم ياخذون هذا الربا من شعبهم . وحتى يومنا هذا كل مكاف في اوروبا ومصر يدفع شيئًا من مالهِ الخاص الى بيت روتشلد عن يد حكومتهِ . فاعجب ببيت يأخذ الجباية من نحو ٤٠٠ مليون نفس

هكذا استعمل روتشلد المال المودع بطرقٍ شريفة وربح من ورائهِ ارباحًا عظيمة وجمع ثروةً طائلة لا تحصى ولا تقدر . ولما رجع اميرهيس الى فرنكفورت عرض عليهِ روتشلد ان يُرجع اليهِ مالهُ فرفض وابقاهُ عندهُ لعشرين سنة بربى اثنين في المئة وأهدى الى ابنهِ هدايا سنية

وزادت شهرة روتشلد بعد ذلك فصار يسلف الامراء والاشراف في اوروبا ويقدم لوازم جيش نابوليون وعقد قرضًا كبيرًا لحكومة الدانيمرك بمبلغ عشرة ملايين سالير (السالير اربعة فرنكات) . وعقد سلف كثيرة اخرى لحكومة روسيا وهولاندا وانكلترا . واستعانت بهِ هذه الاخيرة على ارسال النقود الى البلاد الاوروبية نفقةً للجنود ودفع الرواتب التي كانت خصتها بملوك اوروبا ليقاوموا معها نابوليون . ولم يستطع احدٌ من الماليين مجاراتهُ ولم يلبِّ طلب انكلترا غيرهُ . ويقال انهُ ربح ما ينيف على مليون جنيه بارسال المال الى الجنود الانكليزية وانصارها في اسبانيا في اقل من ثماني

سنوات · وكان روتشلد على جانب عظيم من الفطنة والنباهة لا يشترك في دين الاَّ اذا انعم النظر فيهِ وتأكد من عواقبهِ السليمة وارباحهِ الكثيرة · وبهذه الطريقة جمع امواله الطائلة وخلف لبنيهِ من بعدهِ مركزًا ماليًا يحسدهم عليهِ سائر العالم وقلما حصل عليهِ احدٌ من قبلهم او بعدهم

وكان ماير روتشلد حسن السيرة دمث الاخلاق فعالاً للخيرات مساعدًا لابناء جنسهِ · ولم يمنعهُ مقامهُ وثروتهُ من المداومة على المعيشة البسيطة المنفردة ولم يغير منزلهُ الاصلي الذي كان يسكن فيهِ وهو متوسط الحال وقد توفي فيهِ وبقيت امرأتهُ فيهِ حتى استأثرت بها رحمة ربها

وقبل وفاتهِ جمع حولهُ اولادهُ الخمسة وهم أنسيلم وسلمون وناثان وشارل وجامس فباركهم واوصاهم ان يتمسكوا بدينهم وشريعتهم ويعيشوا بالوفاق والاتحاد والمحبة الاخوية ولا يعملوا عملاً بغير ان يتشاوروا فيهِ كلهم · وقد تبع اولادهُ نصيحتهُ فكانوا لا يبرمون امرًا عظيماً ما لم يجتمعوا ويتشاوروا ويقلبوا الامر ظهرًا لبطن وهذا سرُّ نجاحهم · وقد اتفقوا وتشاركوا في تأسيس بيوتات مالية في اعظم مدن اوروبا واستلم كل واحدٍ منهم ادارة بيتٍ منها · فبقي انسيلم اكبرهم في فرنكفورت وذهب سلمون الى فينا وناثان الى انكلترا وشارل الى نابل وجامس الى باريس · فادار كلٌّ منهم القسم الذي خصَّ بهِ واعتمد على اخوتهِ في الاشغال العمومية الكبيرة لتكون مشتركة بينهم وصار كلٌّ منهم بمقام الخمسة لان كل واحد كان يعلم اخوتهُ بما يقف عليهِ من الاخبار ويعينهُ ويستعين بهِ في الاعمال وبذلك اثبتوا المثل القائل الاتحاد قوة · وقد خدمتهم حوادث سنة ١٨١٣ و١٨١٤ ومنها اتسعت ثروتهم وزاد نفوذهم وكانوا يرضون بالربح القليل ويعاملون الجميع بالصدق والاستقامة · وامتدت اعمالهم حتى عمرت جميع ممالك اوروبا وعمت التجارة والصناعة والزراعة وصار بيت روتشلد اخوان محور المشروعات الكبيرة وعليهِ مدار الاعمال المالية

وقد شرف امبراطور النمسا عائلة روتشلد ومنح افرادها وسلالتهم لقب بارون وعينهم قناصل ووكلاء لدولتهِ في المدن التي كانوا يسكنونها · واشاع بعضهم ان اخوان روتشلد عازمون على اعادة بناء هيكل سليمان على نفقتهم

هذا وشهرة بيت روتشلد غنيةٌ عن البيان لا تحتاج الى برهان ولهم مآثر كثيرة شملت ابناء امتهم والبلدان التي استوطنوها ولنسائهم الايادي البيضاء في المدارس والمستشفيات العديدة وعمل المبرات · وسيبقى اسم هذا البيت عظيماً ما دامت الحضارة ناشرةً لواءها على العالم

البارون انسيلم ماير دي روتشلد

هو اكبر اولاد ماير روتشلد وُلد في فرنكفورت سنة ١٧٧٣ وتولى ادارة المحل فيها بعد وفاة ابيهِ وعين رئيساً لبيوت روتشلد اخوان فبذل جهدهُ في نجاحها وتقدمها واحرازها ثقة المتعاملين معها · وقد انتخب سنة ١٨١٣ لرئاسة غرفة التجارة البروسية وعين سنة ١٨٢٠ قنصلاً لبفاريا · وتوفي سنة ١٨٥٥ ولم يترك اولاداً فخلفهُ في ادارة المحل اولاد اخيهِ كارل وولهلم كارل · وُلد الاول في ٥ اغسطس سنة ١٨٢٠ وتوفي سنة ١٨٨٦ في ١٦ اغسطس وعين عضواً في غرفة الامراء في بروسيا وتزوج لويزا ابنة البارون ناثان مؤسس محل لوندرا وقد خلف ست بنات : أديل واما ولويزا تريز وآن لويز وكليمنتين وبرتا برنيس دي وجرام

البارون سلمون دي روتشلد

هو ثاني اولاد ماير روتشلد وُلد في فرنكفورت سنة ١٧٧٤ وتوفي في باريس سنة ١٨٥٥ · وهو الذي أسس محل روتشلد اخوان في فينا وشارك اخاهُ انسيلم في الاعمال المالية الكبيرة في المانيا · واشتهر بالجود والاحسان والتبرعات الخيرية · ولما كبر ابنهُ انسيلم سلم ادارة المحل اليهِ وذهب الى باريس واشتغل مع اخيهِ جامس في ادارة المحل هناك · وكان انسيلم من

امهر اهل زمانهِ في الاعمال المالية وقد عُين عضوًا في مجلس نواب النمسا وتوفي سنة ١٨٧٤ تاركاً ثلاثة اولاد : ناثانيل وفرديناند والبير وهذا الاخير خلف اباهُ في ادارة محل فينا

البارون ناثان دي روتشلد

هو ثالث اولاد ماير روتشلد وُلد في فرانكفورت في ١٦ سبتمبر سنة ١٧٧٧ وتوفي فيها في ١٨ يوليو سنة ١٨٣٦ وهو الذي اختار بلاد الانكليز مركزًا لاعمالهِ . وكان قبل مجيئهِ اليها يشتغل في فرانكفورت ويبتاع المنسوجات من تاجر كبير هناك وكان هذا التاجر يظهر الانفة والكبرياء ويمنن الذين يشترون منهُ ولكن ناثان كان ابيَّ النفس فلم يعترف لهُ بجميل فاغتاظ منهُ التاجر ومنع عنهُ البضائع فاخذ ناثان من ابيهِ عشرين الف جنيه وذهب الى مانشستر فاسس فيها محلاً سنة ١٧٩٨ ولم يمضِ زمنٌ قليل حتى راجت تجارتهُ وربح كثيرًا . ولما اتسعت دائرة اعمالهِ نقل محلهُ الى لندن سنة ١٨١٣ واقام فيها وكان داهيةً يتاجر ويضارب ويحتكر ويرابي وخدمهُ السعد لانهُ اشتغل في زمن الحروب وهو زمن الربح للماليين . وقد رأى بعين بصيرتهِ الوقادة ان انكلترا لا بدَّ وان تنغلب على نابوليون وتقهرهُ فترتفع الاوراق المالية بعد هبوط قيمتها فاخذ يشتري منها كل ما تصل اليهِ يدهُ وكان يربي الحمام الزاجل ويستعين بهِ على نقل الاخبار فعجز الماليون عن مناظرتهِ

وروى بعضهم انهُ لما حدثت واقعة واترلو الشهيرة بين نابوليون وولنتون مضى ناثان الى ساحة القتال واقام على رابية ينظر الى الجنود المحاربة الى ان تأكد ان الانكليز انتصروا على نابوليون فقفل راجعاً في الحال الى لندن وابتاع اوراق الحكومة بثمن بخسٍ قبل ان انتشر خبر النصر وارتفع ثمنها . وهذه الرواية مطعونٌ فيها اذ يقال ان ناثان لم يذهب الى موضع

القتال بل ان شخصاً اسمهُ فولر جاءهُ بخبر النصر قبل ان يعلم بهِ احد

وهنا ابتدأَت ثروة ناثان الحقيقية وربح ارباحاً كثيرة وذاع صيتهُ وعلا مقامهُ وصار صاحب الكلمة النافذة في الاسواق المالية والتجارية ومسلف الحكومة الانكليزية وغيرها من الحكومات الاوروبية

ومع دهائهِ هذا غلبهُ رجلٌ آخر في الدهاء (ونذكرهُ هنا على سبيل الفكاهة) فقد رآهُ هذا الرجل ذاهباً في المساء الى مكتبهِ مع اثنين آخرين فتبعهم ودخل وراءهم ووقع على الارض مغشياً عليهِ فحاولوا ايقاظهُ مراراً وهو لا يتحرك من مكانهِ ولما اعيتهم الحيل تركوهُ وجعلوا يتذاكرون في امر مهم وبعد ان اتفقوا عليهِ وخرجوا اوصوا الخادم ان يعتني بالرجل فعند خروجهم اسرع الى المدينة واشترى جميع الاسهم والاوراق التي اعتمد روتشلد على ابتياعها مع ذينك الرجلين

وفي سنة ١٨٢٢ منحهُ امبراطور النمسا لقب بارون وعينهُ قنصلاً ووكيلاً لدولتهِ في لندن . وكان ناثان صبوراً لا يكل من العمل ويلاحظ اشغالهُ بنفسهِ ويسعى دائماً في توسيعها وانجاحها . قال لهُ بعضهم لما شاخ "عسى ان لا يشب اولادك محبين للمال مثلك ولا اظن انك تود ذلك" فاجابهُ "بل انا اودهُ واود ان لا يكون لهم همٌّ غير توسيع اعمالهم وتثمير مالهم ولا لذة للمرء بغير التعب . وجمع المال الكثير يقتضي كثيراً من الجهد والحذر ولكن حفظهُ بعد جمعهِ يقتضي عشرة اضعاف ما اقتضاهُ جمعهُ من المهارة"

وترك ناثان ثلاثة ابناء اكبرهم ليونل . وُلد ليونل في ٢٢ نوفمبر سنة ١٨٠٨ وتوفي في ٣ يونيو سنة ١٨٧٩ . وقد تعلم في مدرسة كوتنجن الجامعة بجرمانيا وخلف اباهُ في ادارة بيت روتشلد في لندن واشتهر اكثر منهُ وفاقهُ في الاعمال المالية العظيمة واصدار القروض . فصار الماليون يشتركون حالاً في كل قرض يتولى اصدارهُ . فاذا طلبت الحكومة مليون جنيه قرضاً وكفل روتشلد باصدار سنداتهِ اقبل الماليون على ابتياعها ودفع ثمنها

وانتخب ليونيل عضوًا في مجلس البرلمنت الانكليزي سنة ١٨٤٧ وطُلب منهُ ان يتلو القسم الذي يتلوهُ كل عضو فابى ان يقول العبارة الاخيرة منهُ وهي (بذمتي المسيحية فرُفض ثم انتخب سنة ١٨٤٩ و١٨٥٢ و١٨٥٧ وكان يرفض دائمًا ان يتلو العبارة الاخيرة · واخيرًا أقر المجلس ان الاسرائيليين غير ملزمين بتلاوتها · واجلسوهُ في البرلمنت

وزادت شهرة ليونيل وعلا صيتهُ لانهُ حفظ السلم في اوروبا وساعد بنك انكلترا وهو على وشك الافلاس وكان اكبر سند وعضد للحكومة الانكليزية وهو الذي اقرضها المال اللازم لشراء اسهم ترعة السويس من الحكومة المصرية واقرض الخديوي اسمعيل باشا الاموال التي بذّرها

وبعد وفاة ليونيل خلفهُ ابنهُ لورد روتشلد وأُعطي لقب اللوردية سنة ١٨٨٥

ولليونيل اخان انتوني وقد وُلد سنة ١٨١٠ وماير وقد وُلد سنة ١٨١٨ وتوفي سنة ١٨٧٤ وعين عضوًا في مجلس النواب سنة ١٨٥٩ وكان دائمًا مع حزب الاحرار

البارون شارل دي روتشلد

هو رابع اولاد ماير روتشلد وُلد في فرانكفورت سنة ١٧٨٨ · وقد خصَّ بادارة محل نابل فقام باعباء اعمالهِ بهمة واجتهاد وكان حاد النظر قوي العزيمة · وهو الذي ساعد كثيرًا في تحسين مالية مقاطعتي توسكانا والبيمون وتعهد مع بقية اخوتهِ في لندن وباريس بسلفيات ايطاليا من سنة ١٨٣١ الى ١٨٥٦ وهي تنيف على ٢٠٠ مليون فرنك · توفي في نابل سنة ١٨٥٥

البارون جامس دي روتشلد

هو خامس اولاد ماير روتشلد وُلد في فرانكفورت سنة ١٧٩٢ واتى

باريس سنة ١٨١٢ لادارة بيت روتشلد هناك . وعين فيها سنة ١٨٢٢ قنصلاً جنرالاً للنمسا . وكان يدير اعمالهُ بفكرٍ ثاقب ونشاط متواصل فلم يمضِ وقت قصير حتى نجح المحل نجاحاً باهراً وذاع صيتهُ في كل انحاء فرنسا وسنة ١٨٢٣ ابرم قرضاً للحكومة الفرنسوية بمبلغ ٥٠٠ مليون فرنك . وقام مع بقية اخوتهِ بكل "السلفيات" لحكومة البرتغال وبروسيا والنمسا وايطاليا وبلجيكا . وكان لهُ اليد الاولى في جميع الاعمال المالية مدة حكم لويس فيليب ملك فرنسا ولهُ العلاقات الكثيرة مع ملوك اوروبا حتى سمي "مسلف الملوك" ومن جملة اعمالهِ انهُ اخذ على عهدتهِ بناء سكك حديد فرنسا . وقدم لاخوان باريرالمال اللازم ليحصلوا على امتياز السكة الحديدية من باريس الى سنت جرمين . فربح من وراء ذلك ثروة طائلة وكسب ايضاً مبالغ عظيمة من الاشغال التجارية والصناعية التي أسسها او اشترك فيها . وكان يمتلك قصوراً كثيرة ولهُ في باريس وحدها ٥١ بيتاً ولهُ املاك أُخرى في جميع مدن اوروبا الكبيرة . وقد مكث جامس الى آخر حياتهِ نشيطاً مجتهداً لا يكل من العمل وكان متكبراً جافي الطباع يحب العزلة والانفراد ولكنهُ كان جواداً كريماً يعمل الخيرات الكثيرة ولهُ مآثر عديدة فمن ذلك انهُ اعطى ٥٠٠٠٠ فرنك مساعدةً للجرحي واقام المستشفيات الكبيرة وبنى مدارس للاسرائيليين وكان يرسل المبالغ الباهظة سنوياً لتوزع على فقراء اليهود في بلاد سوريا

وفي ثورة سنة ١٨٤٨ حرق قصرهُ وكاد يترك ارض فرنسا لولا معارضة الحكومة التي كانت تنتفع من اعمالهِ . فقد الزمتهُ البقاء ووضعت لحراستهِ عدداً كبيراً من الجنود . ومن عادات البارون جامس انهُ كان لا يحمل معهُ اكثر من ٤٠ او ٥٠ فرنكاً وكان يضعها في كيس مقفل ويعلق مفتاحهُ في سلسلةٍ يربطها في عنقهِ وقد سئل مرة عن ذلك فاجاب : انني اقتصدت مبلغ ٣٠٠ او ٤٠٠ الف فرنك من هذه العادة فلا أُغيرها ابداً : وكان

مولعاً بفن التصوير والنقش وكان قصرهُ في فريار معرضاً حاوياً لكثير من الصور الثمينة والنقوشات البديعة

وترك جامس اربعة بنين وهم ادمون وجستاف والفونس وناثانيل . وقد وُلد اكبرهم ادمون في باريس سنة ١٨٢٦ وتجنس بالجنسية الفرنسوية سنة ١٨٤٨ . واقترن سنة ١٨٥٦ بابنة البارون ليونيل دي روتشلد . وبعد وفاة ابيهِ سنة ١٨٦٨ استلم اشغال محل باريس وادارها بكل اجتهاد ونشاط وكان كريماً يعمل مبرات كثيرة . فقد وهب ٣٠٠،٠٠٠ فرنك للمحتاجين في باريس لما حاصرها الالمان سنة ١٨٧١ . وكان اول سند للحكومة الفرنساوية في دفع الغرامة التي اقترضتها المانيا فانهُ اكتتب في الحال هو وبقية اعضاء بيت روتشلد بمبلغ ٢،٧٥٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك

وقد عين اخوهُ البارون جوستاف خلفاً لابيهِ جامس قنصلاً ووكيلاً للنمسا في باريس وعين اخوهُ البارون الفونس في نوفمبر سنة ١٨٦٨ مديراً للسكك الحديدية في فرنسا. وعين عضواً في جمعية الفنون الجميلة سنة ١٨٨٥

افراد بيت دي روتشلد

نذكر هنا اسماء البعض من اعضاء عائلة دي روتشلد الذين هم في وقتنا الحاضر في بعض انحاء اوروبا وهم :

في لوندرا — اللورد ناثانيل رئيس محل لوندرا وولدهُ الوحيد ليونل ولتر. البارون الفرد (غير متزوج). البارون ليوبلد الذي اقترن بالآنسة ماري بيروجيا من تريستا . والبارونة آنة ابنة البارون انتوني (غير متزوجة) . ولادي سيمور اختها واسمها كونستانس . والبارون فردينان وهو ابن انسيلم سلمون من ڤينا تزوج بالمرحومة ايڤيلينا ابنة البارون ليونيل . وُلد سنة ١٨٣٩ وأتى الى انكلترا حيث تجنس بالجنسية الانكليزية وتعين الشريف الاكبر

لكونتية بكنجام . وسنة ١٨٨٥ عين عضواً في مجلس العموم وكان من حزب الاتحاديين الاحرار واعيد انتخابهُ ايضاً سنة ١٨٨٦ و١٨٩٢ — وليس لهُ اولاد —

في ڤينا — البارون سلمون ألبير (ابن انسيلم سلمون) الرئيس الحالي لمحل ڤينا . والبارونة فرانشيتي اختهُ . البارون ناثان اخوهُ (غير متزوج) والبارونة أليس اختهُ (غير متزوجة) .

في فرنكفورت — البارونة كارل ابنة ناثان (الرئيس السابق لمحل لوندرا) وارملة البارون كارل رئيس محل نابل

في باريس — البارون ادورد (ابن الفونس جامس) رئيس محل باريس الحالي ولهُ اختان : الاولى بتينا ألتي اقترنت بابن عمها البير سلمون رئيس محل ڤينا ولها خمسة بنين وابنة . والثانية بياتركس اقترنت بموريس افريسي . البارونة لوسي (ابنة جستاف جامس) اقترنت بالمسيو لمبير مدير محل روتشلد ببروكسل . والبارونة الين اقترنت بالمسيو ساسون وهي اخت لوسي . والبارونة جوليت اقترنت بالكونت أمانيل ليونينو (وهي اخت الاثنتين المتقدم ذكرها) . والبارونة ناثانيل (اسمها شارلوت) ابنة جامس دي روتشلد وارملة ناثانيل ابن ناثان مؤسس محل لوندرا . ولها ابنان : ارثير وُلد في باريس في٢٨ مارس سنة ١٨٥١ وهو من الكتاب المعدودين ألف كتباً كثيرة وجامس ادورد الذي اقترن بلويز تريز ابنة البارون كارل الرئيس الثاني لمحل نابل — البارونة ماتيلد ولهلم ابنة البارون سلمون ولها ثلاث بنات : أويلايدي قرينة البارون ادمون وبتينا وجيورجينا ساره — البارون ادولف رئيس محل نابل سابقاً الذي ترك نابل وليس لهُ بنون

الفصل العاشر

الجمعيات عند اليهود

جمعية الاتحاد الاسرائيلي العمومي

وهي الجمعية العظيمة التي تغني شهرتها عن ذكرها وترديد اسمها فمنافعها وفوائدها لا تحصى ولا تعد ونتائجها الحسنة يعرفها كل انسان ولا يختلف فيها اثنان بل هي الوحيدة في بابها التي قاومت ما كان ينازعها من الحوادث وفازت على ما لاقتهُ في طريقها من الاضطهاد بعزم شديد وجنان ثابتٍ وتدرجت منذ الصغر متقدمة تقدماً سريعاً يشهد بهِ العالم كلهُ وقلما بارتها جمعية اخرى مهما كان مشربها ومقصدها بل هي التي ثبتت في معمعان المشاكل السياسية والدينية ثبوتاً عظيماً دلَّ على انها اسست على دعائم قوية ومشت بقدم راسخ لا يشوبهُ الفتور والكلال وجرت شوطاً بعيداً في مضمار الفلاح فهي التي ساعدت على تقدم الامة الاسرائيلية مساعدة عظيمة يردد ذكرها بالثناء الجميل والشكر الجزيل واقامت المئات من المدارس العلمية والمعاهد الادبية والصناعية في انحاء شتى من اقطار المسكونة تغذي العقول بلبان المعارف وتنيرها بشعاع العلم والآداب وكانت سبباً قوياً في انجاح الاسرائيليين وتقدمهم وتحسين حالتهم وزيادة ثروتهم . كل ذلك مبني على انتشار التعليم باقامة مدارسها اذ لا مندوحة في ان العلم هو اساس الفلاح والعمران . فلا عجب والحالة هذه اذا بعد صيتها واجمع الكل على عدّ فوائدها الجزيلة ومدح

القائمين باعباء اعمالها اللذين خصوا وقتهم بالعمل في تقدمها وتوسيع نطاقها والذين ساعدوها ماديًّا وادبيًّا . فالامة الاسرائيلية اجمع تعترف بفضلها وتقدر مساعيها قدرها ناظرةً الى منافعها الجمة التي لا تنكر وفوائدها التي لا تعد ولا تحصر وهذه نتائجها ظاهرة كالصبح للعيان لاتحتاج الى دليل او برهان

ولم تنحصر مساعي جمعية الاتحاد في اقامة المدارس الصناعية والمعاهد العلمية فقط بل تجاوزتها الى غرض اسمى واشرف وهو الغرض الجوهري من تاسيسها ألا وهو مساعدة جميع الاسرائيليين المحتاجين في كل الاقطار والسعي في تحسين حالتهم وعضدهم ماديًّا وادبيًّا والعمل في صد تيار الاضطهادات عنهم . ولها من هذا القبيل مآثر جمة تشهد لها بذلك نذكر منها ما انفقتهُ الجمعية من المبالغ الباهظة في مساعدة الاسرائيليين الرومانيين وما بذلتهُ في سبيل خلاصهم وتحسين حالتهم . فان الحكومة الرومانية طالما اضطهدت الاسرائيليين في بلادها وعملت على معاكستهم واجتهدت في اسقاطهم واذلالهم وقفلت في وجوههم ابواب الرزق والاكتساب بل طالما عاقبتهم ظلمًا وعدوانًا وخرجت في معاملتهم عن جادة العدل والصواب كل ذلك ناتج ولا غرو عن التعصبات الدينية والتشيعات القومية حتى وصلت حالتهم الى اقصى درجات الذل والهوان واضحوا في حالة من الفقر والعازة يرقُّ لها الحجر الصلد وقد راى الاسرائيليون حرج الموقف والمصائب فنفذ صبرهم واخذوا في المهاجرة آلافًا وهم لا يملكون ما يسدون بهِ رمقهم وما يسترون بهِ عورتهم ورأت جمعية الاتحاد حالتهم التعيسة فهبت لمساعدتهم وبذلت الجهد في تخفيف مصابهم وآلامهم فساعدت بما ينيف على ١٠٠٠٠٠ نفس وبلغ ما انفقتهُ على ذلك من مايو سنة ١٩٠٠ الى يناير سنة ١٩٠١ ٥٠٠٠٠٠ فرنك وانفقت ايضاً ٤٥٠٠٠٠ فرنك لمساعدة المهاجرين وتسفيرهم الى حيث يتمتعون بالحرية التامة فرحل اكثرهم الى اميركا ويسافر البعض الى انكلترا وفرنسا ولم تكتفِ بعملها هذا ولم تقف عند هذا الحد بل رأت

ان الاسرائيليين الذين بقوا في رومانيا باتوا في حالة الفقر المدقع ومات اكثرهم جوعاً فارسلت في الحال مندوبين من قبلها للنظر في امرهم وكانت باكورة اعمالها اقامتها مطابخ عمومية في مدن رومانيا كلها وكانت تنفق عليها ما ينيف على ٤٠٠٠٠ فرنك شهرياً فخفت بذلك بعض الويلات ونجا كثيرون من الاسرائيليين الرومانيين بهمة رجالها واعضائها وتحسنت احوالهم واشغالهم .

ولم تقتصر الجمعية على مساعدة الرومانيين بل مدت يد المساعدة الى الاسرائيليين في سائر انحاء المسكونة وعملت اعمالاً حسنة تشهد لها بالايادي البيضاء والمآثر الغراء فبذلت قصارى جهدها في تحسين حالة الاسرائيليين في روسيا وبلاد العجم ومراكش حيث كانوا مضطهدين اضطهاداً يقرب من التوحش فيسامون كل انواع المذلة والهوان فدلَّ ذلك على ان التعصب المذهبي كان مستحكماً منهم . وقد اكتفينا هنا بذكر مساعدة جمعية الاتحاد للرومانيين ليقاس عليها في البلاد الاخرى لاننا لو اردنا سرد اعمالها والاسهاب في شرح المساعدات التي ادتها للامة الاسرائيلية في جهات مختلفة لضاقت عنها المجلدات ولذلك الممنا الى ذكرها مكتفين بالتنويه عنها لضيق المقام

مدارس جمعية الاتحاد الاسرائيلي

يزداد عدد مدارس الاتحاد الاسرائيلي سنة فسنة بفضل اهتمام اعضائه فقد انشأت الجمعية في المدة الاخيرة ستة مدارس كبيرة اثنتين منها في بلاد العجم وواحدة في فلسطين وثلاثة في مراكش

ففي سنة ١٩٠٠ احصت الجمعية عدد مدارسها فكان لها عدا المدارس العالية في باريس مدارس عديدة لتعليم الصنائع والزراعة ومعاهد لتعليم اصول الديانة ومئة مدرسة ابتدائية منها ٦١ للاولاد و ٣٩ للبنات . وعدد تلامذة هذه المدارس يزيد على ٢٦٠٠٠

وبلغ ما انفقتهُ الجمعية على التعليم سنة ١٩٠٠ اكثر من ٧٢٠٠٠٠ منها ١٥٥٠٠٠ فرنك للمدارس العالية و ٥٦٥٠٠٠ للمدارس الابتدائية يضاف الى هذا المبلغ ٥٠٠٠٠٠ فرنك وهو ما تبرعت بهِ الجمعيات الاخرى الخيرية لتتميم النفقات المدرسية فجاء هذا دليلاً على الاعتقاد الحسن بالاتحاد الذي ساعد كثيرًا على تنوير العقول ونشر العلوم والمعارف في الشرق وافريقية

والذي ينعم النظر في تاريخ جمعية الاتحاد يدهشهُ ما يراهُ من دلائل تقدمها السريع ونجاحها المتواصل . فان الجمعية انشأت اول مدرسة لها في تطون سنة ١٨٦٢ اي منذ ٤١ سنة ولم يكن للجمعية حينئذٍ دخل كافٍ يقوم بنفقاتها الكثيرة فلقيت بادئ بدء صعاباً جمة ولكنها لم تنثنِ عن عزمها فثابرت على خطتها الحميدة بنشاطٍ واجتهاد عارفة ان عملها سيلاقي قبولاً حسناً في النهـاية ومساعدات كبيرة في المستقبل وتعرف الامة الاسرائيلية عامة فائدتها فيجود اغنياؤُها باكف سخية لمساعدتها وعضدها

قلنا ان الجمعية انشأت اول مدرسة لها في تطون وهي ميناءٌ في مراكش ثم انشأت مدرسة في طنجه وأُخرى في بغداد فكانت تؤسس مدارس جديدة كلما زاد دخلها . وقد انشأت سنة ١٨٦٧ مدرسة في اندرينويل وأُخرى في تونس . اما في تركيا فلم تنشئ المدارس الاَّ بعد سنة ١٨٧٤ وذلك لمعاكسات جمة قاومت مشروعها فيها في بادئ امرهِ . وسنة ١٨٧٨ انشأت مدارس عديدة في بلغاريا وتبرع بالمال لانشائها فيها البارون هرش الذي مرَّ بنا ترجمة حياتهِ وهو المثري الشهير صاحب المآثر البيضاء والهمة الشماء الذي بعد صيتهُ الى الآفاق

وسنة ١٨٨٢ أُسست في اورشليم مدرسة كبيرة بمساعدة جمعية المتناجو في لندن بعد ان قاومت كثيرًا من الصعاب وهي تعدُّ الآن في مقدمة مدارس الاتحاد الاسرائيلي . وسنة ١٨٨٣ انشأت مدرسة فاس في مراكش فنجحت نجاحاً سريعاً

وتدرجت هذه الجمعية في انشاء المدارس في جميع الانحاء حتى عرف الناس أجمع ان غرضها الوحيد هو تعليم الشبيبة الاسرائيلية وتهذيب عقولها بالدرس والعمل . وقد اجمعت الجمعيات الاخرى على مدح خطتها واظهار شرف غايتها ونبالة مقصدها

أما في مصر فلم تشرع الجمعية في انشاء مدارسها الاّ سنة ١٨٩٦ لان حالة الاسرائيليين في مصر حسنة للغاية على ما يظهر والمدارس وافرة العدد وافية بالمقصود ولكن جمعيات اخرى أُسست مدارس صغيرة لتعليم الاولاد الفقراء مجاناً ولذلك كانت الطبقة الوسطى من الاسرائيليين ترسل اولادها الى مدارس الاجانب فلا يلبثون ان يقتبسوا فيها العوائد الغريبة حتى ينسوا واجبات ديانتهم ويهملوا امرها وهذا امر ذو بال اوجب جمعية الاتحاد الى انشاء مدرسة لها في القاهرة لتعليم الاولاد على اختلاف طبقاتهم وتغذية عقولهم باصول ديانتهم . وقد نجحت نجاحاً باهرًا وتقدمت تقدماً سريعاً محسوساً دلَّ على مهارة مديريها وسهرهم على تثقيف عقول التلامذة وتعليمهم العلم الصحيح وهي الآن تعد ٥٠٠ تلميذ بين اولاد وبنات

وسنة ١٨٩٨ وجهت الجمعية انظارها الى الاسكندرية وشرعت في اقامة مدرسة فيها لكن مصاعب شتى حالت دون اتمام المشروع الذي أُرجئ الى فرصة أُخرى على ان الامل وطيدٌ بزوال المصاعب قريباً باذنهِ تعالى فتصير مدرسة الاسكندرية تضارع أُختها التي في مصر تقدماً ونجاحاً

ولما انتهت الجمعية من انشاء بعض المدارس في مصر حولت انظارها الى بلاد العجم فانشأت عدة مدارس سنة ١٨٩٨ في جهات متعددة وتقدمت تقدماً سريعاً وادت خدماً جزيلة للاسرائيليين وعادت عليهم بفوائد جمة

فبعد مدرسة طهران انشئت مدرستان في همدان وذلك سنة ١٩٠٠ فامهما عدد عظيم من التلامذة حتى ضاق نطاقهما عنهم وقد أُقيمت في هاتين المدرستين محلات خصوصية لتعليم الاشغال اليدوية والخياطة وغيرها

وسنة ١٨٩٩ كان لجمعية الاتحاد ثمانية مدارس كبيرة في مراكش اثنتان منها في تطون واثنتان في طنجه واثنتان في فاس وواحدة في موجادور وواحدة في كاسا بلنكا . وسنة ١٩٠٠ اسست مدارس جديدة في مراكش وناف عدد تلامذتها في شهرين على خمسة مئة تلميذ وسنة ١٩٠٠ اقامت الجمعية مدرستين اخريين للاولاد والبنات ولا تسأل عن الفوائد التي اكتسبها الاسرائيليون في مراكش من مدارس الاتحاد

اما في فلسطين فامتدت مدارس الاتحاد الى جهات عديدة فبعد مدرسة اورشليم التي انشئت سنة ١٨٨٢ اسست مدرسة في يافا سنة ١٨٩٤ ومدرسة في صفد وغيرها سنة ١٩٠٠

وقد امتدَّ عملُ الاتحاد الى بلاد المغرب ولكن لم تتبع الجمعية طريقتها التي تمشت عليها في غيرها من البلاد . فان في تلك البلاد مدارس كثيرة يتعلم فيها الاسرائيليون ويتقدمون في العلوم والمعارف ولكنهم لا يخطون خطوة واحدة في سبيل تعليم اصول ديانتهم فانهم لا يدرون منها شيئاً ويجهلون تاريخ امتهم ويهملون امرها على تكرار الزمن وهذا هو السبب الجوهري الذي دعا الجمعية الى تلافي الداء وايجاد الدواء . فكانت فاتحة اعمالها هناك انشاءها اندية عديدة في جهاتٍ متعددة لتعليم اصول الديانة الاسرائيلية والتاريخ وغير ذلك مما تهم معرفتهُ واسست مدارس خصوصية للبنات لتعليمهنَّ التطريز والاشغال اليدوية حتى يصرنَ قادرات على اكتساب المعيشة بشغل ايديهنَّ

وقد نجحت مدارس الاتحاد في بلاد المغرب نجاحاً باهراً في زمن يسير وادت خدماً جزيلة للاسرائيليين وعزمت الجمعية ان تنشئ غيرها من المدارس في سائر بلاد المغرب

ولا يتوهم القارئ ان جمعية الاتحاد الاسرائيلي أنشأت كل هذه المدارس في الجهات والبلاد لتعليم الاسرائيليين فقط قافلة ابوابها في وجه

غيرهم فان مدارسها تقبل في صدرها الرحب الاولاد والبنات على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم وتعتني بتربية الجميع على السواء بقطع النظر عن مسائل الاعتقادات الدينية . ومما يدلنا على ذلك الاحصاء الاخير الذي وضعتهُ الجمعية عن عدد التلامذة في كل مدارسها . ويظهر منهُ انهُ يوجد فيها ٣٠٠ تلميذ بين مسلم ومسيحي ففي مدرسة حمدان خمسة وعشرون تلميذاً من العائلات الاسلامية الشريفة العريقة في الحسب والنسب التي يمتد اصلها الى الامام علي . وهو برهان كافٍ ودليل واضح على ان الطوائف الاخرى عرفت غاية الجمعية النبيلة واخذت تعتقد فيها اعتقاداً حسناً لا يشوّه وجههُ تعصبٌ اعمى . اما الجمعية فقد اجتهدت وتجتهد دائماً لكيلا تمس اعتقادات تلامذتها بشيء وتبذل جهدها في العناية بهم وتنوير اذهانهم والسهر على راحتهم . وهذا من الاسباب التي ساعدت على تقدم مدارسها ونجاحها نجاحاً عجيباً لم تلقهُ جمعية قبلها

وقد زار بعضٌ من الرجال العظام مدارس الاتحاد في مراكش وبلاد العجم وفلسطين وغيرها فسروا كثيراً بما رأوهُ من منافعها وفوائدها ودلائل تقدمها ونجابة تلامذتها واجمعوا على ان عمل الاتحاد نافع جداً لا يمحو ذكرهُ كرور الاعوام وتوالي الايام وانهُ يخلد لجمعية الاتحاد اطيب ذكر في صفحات التاريخ يعود على رجالها بالفخر والصيت الحسن

بيدَ اننا نقر انهُ وان كان عمل جمعية الاتحاد الاسرائيلي بلغ مبلغاً حسناً في انشاء المدارس ومعاهد العلم والصناعة فانهُ لم يصل بعدُ الى درجة الكمال ولم يفِ بالغاية المطلوبة ولم ينتج النتائج المنتظرة . واللبيب يدرك لاول وهلة ان السبب فيهِ قلة الدراهم فانها غير كافية لإيصال العمل الى منتهاهُ ولكن الامل وطيدٌ انهُ لا يمضي وقت قليل الاَّ وتكون مدارس الاتحاد مدارس عظيمة بالغة اوج الكمال يلهج بذكرها الخاص والعام

ألمعنا في ما مضى الى ان جمعية الاتحاد انشأت مدرسة كبيرة في اورشليم

وهي مدرسة صناعية تعد في مقدمة المدارس بنجاحها ونتائجها الحسنة . وقد زاد عدد تلامذتها في يناير سنة ١٩٠١ على ١١٥ تلميذاً منهم من يتعلم صناعة الحدادة والنجارة ومنهم اشغال الحفر والنقش وصنع الاحذية وغير ذلك. وفيها من مهرة المعلمين والصناع عدد كافٍ . وكانت مصنوعات المدرسة تباع باسعار حسنة في اورشليم مع ضيق ذات اليد فيها

وقد خرج من هذه المدرسة سنة ١٩٠٠ ثمانية واربعون تلميذاً بعد ان اتموا علومهم فيها ونبغوا في الصنائع وأُرسل بعضهم الى المدرسة الصناعية في فريبور لتمرينهم واقتباس ما فاتهم معرفتهُ . وقد رأت الجمعية تقدم المدرسة ونجابة تلامذتها فارسلت اليها عدداً وافراً من التلامذة من جهات مختلفة ليتعلموا فيها و يستطيعوا في المستقبل اكتساب معاشهم بسهولة

اما دخل وخرج هذه المدرسة فكما يأتي

س	فرنك	
٣٠	١٣٤,٢٧٧	مصاريف عمومية
١٠	٥٥,٩٠٩	مدخول
٢٠	٧٨,٣٦٨	

فيكون العجز مبلغاً عظيماً كانت الجمعية ترزح تحت ثقلهِ لولا المساعدات العظيمة التي ادتها جمعية الجويتس اسوسيشن وجمعية المتاجو في لندن في هذا السبيل وجود بعضٍ من اولي البر والاحسان باكف سخية لسد شيءٍ من ذلك العجز

واما مدارس الاتحاد الاسرائيلي بالقاهرة فرئيسها جناب الفاضل المسيو شاول سومخ . وقد انشئت سنة ١٨٩٦ كما تقدم صفحة ١٩٨ واشترت ملكاً بجانب محافظة مصر فجعلتهُ مدرسة للصبيان واخرى للبنات وفي مدرسة الصبيان استاذان للغة العبرية ومعلمان للانكليزية وثلاثة للعربية وثلاثة للفرنسوية ومساعد وخدم وعدد تلامذتها ٣٥٠ منهم ٧٠ تلميذاً يتعلمون مجاناً

وفي مدرسة البنات معلمتان للفرنسوية ومعلمٌ للعربي ومعلمٌ للانكليزي ومعلمة للاشغال اليدوية كالخياطة والتطريز وما اشبه ومساعد وخدم وتلميذاتها ١٥٠ تلميذة ٣٠ منهنَّ مجاناً . ولهذه المدرسة فرع بالظاهر في جهة العباسية تعلّم فيها ثلاث معلمات اسرائيليات بارعات وفيها ١٥٠ تلميذة

ولها فرع في الاسكندرية فتح سنة ١٨٩٧ ورئيسهُ حضرة الفاضل للموسيو دانون وفيهِ ١٥٠ تلميذاً و٧٠ تلميذة وعدد معلميهِ ١٢ معلماً . والامل انها تنجح نجاح اخواتها في مصر . وقد زرنا مدارس مصر فأعجبنا نظامها وسرَّنا تقدمها ونجاحها واهتمام جناب رئيسها وامتدحنا آداب الذين عرفناهم من المتخرجين منها وامانتهم وبراعتهم في اعمالهم

الجمعية الصهيونية

من الجمعيات الكبيرة عند الاسرائيليين في هذه الايام الجمعية الصهيونية وغايتها استعمار ارض فلسطين وعمرانها

انشئت هذه الجمعية سنة ١٨٩٦ وعقدت مؤتمرها الاول في مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ . وممن اشتهر في الغيرة عليها وعدَّ من اكبر دعاتها الدكتور هيرسل فانهُ بذل جهدهُ ليجعل اليهود ينضوون تحت لوائها و يساعدون اخوانهم لنقلهم من روسيا ورومانيا والاماكن التي اضطهدوا فيها الى ارض آبائهم واجدادهم في فلسطين

وقد تفرَّع من هذه الجمعية عدة جمعيات انتشر اعضاؤها بين اليهود في سائر اقطار العالم وهم يعقدون مؤتمراً عامًّا كل سنة في مدينة بال يحضرهُ كثيرون منتدبين من الجمعيات الفرعية

اما عدد المنضمين اليها فينيف على مليون نفس وعلى كل عضو ان يدفع شلناً في السنة . ولهذه الجمعية جرائد كثيرة في انكلترا واميركا والمانيا وروسيا

ومدارس شتى وشركات مختلفة وهي غنية بما لها من المساعدات ومن اموالها التي يشتغل بها عمالها

واشهر رؤساء الجمعية الصهيونية في فينا الدكتور هرزل وفي فرنسا الدكتور مارموريك رئيس مستوصف باستور الذي وهبتهُ ارملة المرحوم البارون هرش مليوني جنيه تذكارًا لزوجها المحسن الشهير وقد نشرنا ملخص ترجمتها في الصفحة ١٧٦ من هذا الكتاب

ولهذه الجمعية العظيمة رئيس في اميركا وآخر في روسيا واربعة عظماء من اشهر مشاهير الاسرائيليين في لندن اما غاية هذه الجمعيات فواحدة

واهم فروع هذه الجمعية "الشركة الانكليزية الفلسطينية" واموالها تدعى الاموال الاسرائيلية الوطنية وقد جمعت اموالاً لشراء الارض في فلسطين لليهود واستيطانهم اياها واستغلال خيراتها والتمتع بها واخص اشغالها التجارة في الشرق والاكتساب لتلك الغاية الشريفة

وشركة الاستعمار الاسرائيلية التي تأسست سنة ١٩٠٢ ووهبها المرحوم البارون هرش مليوني جنيه كما ذكر ذلك الشريف اوسكار ستروس في جريدة الفورم

ولما كان قصدنا الاقتصار على الالماع الى هذه الجمعية العظيمة وليس التطويل في تاريخها اكتفينا بما تقدم آملين اننا في الطبعة الثانية لهذا المختصر نطيل الشرح في ذلك ان شاء الله ونستوفي الكلام على بقية الجمعيات عند الاسرائيليين

هذا ولا ينبغي ان نغفل ان من آثار هذه الجمعيات وخيراتها شراء قرية المطلَّة في قضاء مرج عيون بولاية بيروت واستيطان الاسرائيليين لها وشراء اراضٍ في جهات الحولة وطبرية ويافا وحيفا وغيرها حيث استوطنها اليهود وابدلوا حالتها من عسر الى يسر ومن جدب الى خصب

جمعية بني بريت

او

عشيرة اولاد العهد المستقلّة

أُنشئت هذه الجمعية في مدينة نيويورك باميركا وهي على نظام الجمعية الماسونية ودعت اسم الجمعية الكبرى المركزية " المحفل الاكبر الاعظم في نيويورك " وكل ما يتبعهُ باسم "محفل "والغاية من هذه المحافل ضم الشبان الاسرائيليين بعضهم الى بعض للنظر في مصالحهم العمومية والمحافظة عليها وسبرغور حقوقهم والسعي في الحصول عليها وتلبيس الاذهان حلة الانسانية والشرف وحب الوطن واشراب القلوب محبة العلوم والفنون وتقويتها واعانة الارامل والايتام والفقراء والمحتاجين وعضد عائلات الذين يذهبون ضحية الاضطهاد . واوجبت على كل عضو من اعضائها ان تكون الخلال الشريفة متأصلة فيهِ وعواطفهُ كلها مائلة الى فعل الخير واقامة العدل وبذل الجهد في تمهيد الطرق التي توصل الى غرض الجمعية الصالح وان لا يضنّ بشيء مما لدى الاعضاء ماديًّا كان او ادبيًّا توصلاً الى النتيجة التي ترمي اليها تلك الجمعية الشريفة . وقد زاد عدد محافلها عن ست مئة محفل ولا تزال آخذة في التقدم ولها اعمال خيرية يضيق هذا المختصر عن سردها فنكتفي بالالماع اليها

وقد انشئ لها في مصر فرعان سمي احدهما "محفل ماغين داُفيد نمرة ٤٣٦" طبع قانونهُ النظامي في اللغة العربية ولا يكاد يختلف عن قوانين المحافل الماسونية ولكن هذا لطائفة الاسرائيليين فقط وذاك لجميع الطوائف بلا استثناء ورئيسهُ جناب الفاضل مومى بك قطاوي . والثاني محفل ميمونيت نمرة ٣٦٥ يشتغل باللغة الالمانية ورئيسهُ الموسيو كرمير احد موظفي نظارة

المالية المصرية . ويوجد محافل اخرى في الاسكندرية وطنطا وقد انشئ لها اجزاخانة في العباسية بمصر واسمها اجزاخانة نيويورك

وقد اطّلعنا على كثير من اعمالـــ هذه المحافل المبرورة وقرأنا قانونها ونظاماتها فسررنا بها وتمنينا لها الخير والتوفيق ولذلك نحث في كتابنا هذا جميع الشبان الاسرائيليين المهذبين على الانضواء تحت لوائها ومساعدة القائمين بشؤونها

وهناك جمعيات أُخرى كثيرة للاسرائيليين في كل مدينة ومملكة ليس من غرضنا التطويل عنها على ان في النفس ميلاً يدعونا الى العود اليها ثانيةً فنسأَل لها التوفيق في كل اعمالها الصالحة

الفصل الحادي عشر

رجال الدين

كنا نود ان ننشر في هذا الكتاب فصلاً مطولاً عن رجال الدين الاسرائيلي في هذا العصر ولكن رأَينا الآن ان نكتفي بمختصر تراجم ثلاثة من اعاظم احبار الطائفة مؤَجلين نشر ذلك الفصل الى الطبعة الثانية ان شاء الله . اما الاحبار الثلاثة المذكورة تراجمهم هنا فقد عرفناهم وحادثناهم فرأَينا فيهم امثلة التقوى والصلاح والغيرة على مصالح ابناء طائفتهم ولهم شهرة ذائعة في العلم والفضل وعلو الهمة

الحبر الجليل روفائيل هارون بن شمعون

حاخام باشي مصر وتوابعها

صاحب هذه الترجمة العالم العلاَّمة الحبر الجليل روفائيل هارون بن شمعون حاخام باشي الطائفة الاسرائيلية في مصر وتوابعها وُلد في مدينة ارباط من ثغور المغرب الاقصى في شهر

آب سنة ٥٦٠٧ الموافق لشهر اغسطس سنة ١٨٤٧ ولما بلغ الخامسة من عمرهِ رحل بهِ والدهُ الاستاذ الكامل المرحوم داود بن شمعون الى القدس الشريف قصد الاقامة فيها وهناك اعتنى بتربيتهِ وتثقيفهِ اعتناءً عظيماً وكان والدهُ من خيرة الرجال الافاضل اشتهر بسموّ مداركهِ وعلو همتهِ ونال مكانةً رفيعة في عيون ابناء طائفتهِ فرفعوا قدرهُ وعظموا مقامهُ. وفي سنة ٥٦١٥ الموافقة لسنة ١٨٥٢ انتخب حاخام باشي لطائفة المغاربة القاطنين بالقدس الشريف فقام بمهام هذا المنصب الجليل قيام الرجل العاقل الحازم فرفع شأن الطائفة ومهّد لها سبل النجاح ونظم عقد جامعتها فبنى لها المدارس والكنائس والملاجئ ووقف عليها الاوقاف وكان برّاً تقياً كثير الرحمة والشفقة على الفقراء والايتام والارامل فلم يكن يطيب لهُ عيش الاّ باتخاذ كل وسيلة لراحتهم وتخفيف احزانهم وجبر قلوبهم. ولا تزال آثار فضلهِ باديةً باهرة في مدينة اورشليم ولا يزال ذكر اعمالهِ الصالحة يدور على ألسنة الناس بالحمد والشكر

اما سيادة صاحب هذه الترجمة فقد اخذ عن والدهِ كل الفضائل الباهرة والمبادئ الشريفة وتلقى العلوم الدينية في المدارس الكبرى الربانية في اورشليم ونبغ في فن الكتابة والحساب وكان

سكرتيراً للمرحوم والدهِ في تولي مهام اعمال الطائفة فاظهر في منصبهِ هذا مقدرة الرجال العظام وكان في اكثر اوقاتهِ يعكف على المطالعة والدرس والتبحر في العلوم والمعارف حتى اصبح عالماً معدوداً من علماء عصرهِ وكاتباً نحريراً وشاعراً مجيداً يشار اليهِ بالبنان وهو الآن مشهورٌ بقوة مداركهِ وتصوُّراتهِ ومعدود من اكابر احبار الطائفة الاسرائيلية العظام

ففي سنة ٥٦٣٧ الموافقة لسنة ١٨٧٨ عُيّن ناظراً على المدرسة الربانية الكبرى في القدس الشريف وهي مدرسة خيرية قائمة باحسان واوقاف ابناء الطائفة الاسرائيلية في فرنسا واوستريا وجرمانيا ولما توفي المرحوم والدهُ خلفهُ على منصب الرئاسة فتولى شؤون الطائفة بهمة فائقة . وفي سنة ٥٦٥١ الموافقة لسنة ١٨٩١ انتخب حاخام باشي للطائفة الاسرائيلية في مصر وتوابعها ووردت لهُ البراءة الشاهانية الرسمية في سنة ٥٦٥٣ الموافقة لسنة ١٨٩٣

وفي سنة ٥٦٥٦ الموافقة ١٨٩٦ انعم عليهِ جلالة السلطان بالوسام المجيدي الثـاني وسنة ٥٦٦٢ الموافقة سنة ١٩٠٢ منحهُ الوسام العثماني الثاني

وقد زار سيادتهُ اكثر العواصم الاوربية مراراً كثيرة وجال ايضاً في امهات مدن المغرب الاقصى وهو يحسن اللغات

العربية والفرنسوية والايطالية والاسبانيولية ولهُ عدة مؤلفات جليلة في الديانة اليهودية وهي الآن تحت الطبع في مطبعة الاسكندرية وهو دمث الاخلاق انيس المحضر واسع الرواية متواضع في اقوالهِ واعمالهِ . ومن صفاتهِ محبة القريب والاصلاح بين الناس الى غير ذلك من الصفات الممدوحة . ادامهُ الله ذخراً للفضائل والكمالات

سيادة الحبر المفضال ايليا حزان

حاخام باشي الطائفة الاسرائيلية في الاسكندرية

صاحب هذه الترجمة هو السيد الجليل والحبر الفاضل النبيل ايليا حزان ابن الحبر الفاضل حاييم داڤيد حزان وحفيد المطوب الذكر الحبر الاعظم داڤيد حزان وُلد في مدينة ازمير في ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٤٥ ميلادية الموافقة سنة ٥٦٠٥ عبرية ولما كبر وترعرع احضرهُ جدهُ الى اورشليم لاجل تربيتهِ وتعليمهِ في المدينة المقدسة وترك والديهِ الفاضلين في ازمير يتحملان لوعة فراقهِ لفائدتهِ وهما يسكبان دموع المحبة بسخاءٍ ويسألان لهُ التوفيق فنشأَ على محاسن الاخلاق والتربية الصالحة وتعلمَ العلوم في مدرسة اورشليم الكبرى . ولما كان جدهُ في منزلةٍ عالية بالنسبة

لعلمهِ وتقواهُ وفضلهِ انتخب حاخامباشي لطائفتهِ في اورشليم فكان صاحب الترجمة سميرهُ في غربتهِ وتعزيتهُ على فراق ابنهِ وذويهِ وخصوصاً لما انهى دروسهُ فسلمهُ جميع اشغالهِ واعمالهِ ولما توفاهُ الله كان صاحب الترجمة عارفاً بكل ما يلزم لوظيفتهِ واقترن صاحب الترجمة سنة ١٨٦١ بالسيدة دينا كريمة حاخام باشي الالمان في اورشليم . وعين كاتماً لاسرار الطائفة الاسرائيلية في اورشليم سنة ١٨٦٤ . وسنة ١٨٦٧ انتخب عضواً للمجلس الرباني الاكبر . وفي سنة ١٨٧٤ الموافقة سنة ٥٦٣٤ عبرية عين حاخاماً على طائفتهِ في طرابلس الغرب ووردت لهُ البراءة السلطانية بذلك فقام بمهام منصبهِ الجليل قيام الرجال العظام وفي سنة ١٨٧٦ انعم عليهِ جلالة السلطان بالنشان المجيدي الثاني . وفي سنة ١٨٧٨ منحهُ النشان العثماني الثاني

وقد جال سيادتهُ في البلدان الاوربية فزار فرنسا وانكلترا وايطاليا والنمسا وحظي بمقابلة جلالة الامبراطور فرنسوى جوزيف مقابلة خصوصية . وفي سنة ١٨٨٨ انتخب حاخاماً على الطائفة الاسرائيلية في الاسكندرية فقام باعباء وظيفتهِ المقدسة خير قيام . وقد انعم الله عليهِ بخمسة صبيان واربع بنات فرباهم التربية الصالحة على قويم المبادئ

وسيادتهُ من الكتَّاب المعدودين لهُ مؤلفات عظيمة الفائدة منها كتاب ديني اسمهُ "تالموت لب" وكتاب اسمهُ "نيفه شالوم" في عوائد المصريين وكتاب اسمهُ "ايسماح موشه" في موضوع مبرات القائد نسيم شماما جنرال تونس وهذا الكتاب ترجم الى الايطالية لشهرتهِ واهمية موضوعهِ وحداثتهِ وهو يتكلم اللغات الفرنسوية والايطالية والاسبانيولية والعربية والتركية

وفي يوليو سنة ١٩٠٣ حضر سيادتهُ اجتماع الرؤساء الروحيين الاسرائيليين وانتخب رئيس شرف للمؤتمر المذكور في مدينة غاليسيا

الحاخام مسعود حاي بن شمعون

هو الشهم الفاضل والهمام الكامل شقيق سيادة حاخام باشي الطائفة الاسرائيلية بمصر وسكرتير ووكيل حاخامخانة مصر وتوابعها وُلد في القدس الشريف في ٢١ ايلول سنة ٥٦٢٩—٢٧ اغسطس ١٨٦٩ واعتنى والداهُ بتربيتهِ اعتناءً زائداً ولما بلغ العاشرة من عمرهِ توفي والدهُ الى رحمة ربهِ تاركاً اولادهُ فقراءَ مثقلة كواهلهم بالديون الكثيرة وقد كان رحمهُ الله سخيًّا جواداً خدم طائفتهُ خدماتٍ جليلة وكان يأبى ان يأخذ منها اجراً او ينتفع بدرهم واحد وهو

من عائلةٍ عريقة في الحسب والنسب . اما اولادهُ وآلهُ فانهم جاهدوا بعد وفاتهِ جهاد الابطال وتمكنوا بجدهم وثباتهم من ايفاء ديون المرحوم والدهم كلها حرصاً على شرف العائلة ومقامها الرفيع

وتلقى صاحب الترجمة العلوم الدينية في المدرسة الكبرى الربانية بالقدس الشريف وخرج منها بعد ان اتم دروسهُ كلها وظهرت عليهِ علائم الفضل والكفاءة والذكاء

وفي سنة ٥٦٥٣ الموافقة سنة ١٨٩٣ عُيّن سكرتيرًا ووكيلاً لحاخامخانة مصر وتوابعها ولا يزال الى اليوم قائمًا بمهام وظيفتهِ بهمةٍ ونشاط وامانة وفي سنة ٥٦٥٧ الموافقة سنة ١٨٩٧ انعم عليهِ جلالة السلطان بالوسام المجيدي الرابع وفي سنة ٥٦٦٣ الموافقة سنة ١٩٠٣ انتدب عضواً من قبل الطائفة الاسرائيلية في مصر لحضور مؤتمر رؤساء الدين الاسرائيلي الذي عُقد في مدينة غاليسيا . وفي اثناء سياحتهِ مع سيادة الحبر الفاضل الحاخام باشي الاسكندري زار العواصم الاوربية وهو محبوب مكرَّم من ابناء طائفتهِ التي يقوم بخدمتها بامانة واخلاص لا يأْلو جهدًا في كل ما يؤُول الى انجاحها وعلو شانها. وحضرتهُ يجيد القراءة والكتابة باللغات العبرانية والعربية والاسبانيولية ويحسن التكلم باللغات الفرنسوية والايطالية

الفصل الثاني عشر

اعيان اليهود في القطر المصري

عائلة منشه

المرحوم البارون يعقوب ده منشه

كبير عائلة منشه وعميدها هو الطيب الذكر المرحوم البارون يعقوب ده منشه وُلد في مصر سنة ١٨١٠ وتوفي في الاسكندرية في شهر نوفمبر سنة ١٨٨٣

كان من اذكى الناس فؤَادًا واسمحهم وجهاً واكرمهم يدًا واكثرهم خيرًا واحسانًا وكان في عصرهِ نابغة في حدة الذهن وسرعة الخاطر واسع الاطلاع في فن الحسابات وضبطها مشهورًا بالدقة والمهارة في ادارة الاعمال والنظر البعيد في معضلات الامور وقد درس في ايامهِ العلوم التي مكَّنتهُ الظروف من الوصول

اليها ولما شبَّ اقترن بالطيبة الذكر المرحومة استير كريمة المرحوم موسى نجار وكانت نابغة في الكمال والفضل بين نساء عصرها وقد توفيت بعد وفاة زوجها بنحو عشر سنوات

ورُزق المرحوم البارون يعقوب منشه من البنين اربعة صبيان وثلاث بنات وهم البارونات بخور وموسى وايلي ويوسف وقرينة نيجا بك وقرينة الخواجا نجار وقرينة فرنسيس بك وقد توفي الذكور كلهم الاَّ ان اسمهم لا يزال حيًّا مخلدًا في خلفهم الذين تفتخر الانسانية باعمالهم الصالحة ومبراتهم الكثيرة

عُيِّن المرحوم البارون يعقوب منشه في اوائل شبيبتهِ صرافًا في مديرية الجيزة ثم عُيّن وكيلاً لاشغال المرحوم حسن باشا المنسترلي والد راشد باشا الذي كان واليًا على سوريا في ذلك العهد. اما سبب تعيينهِ وكيلاً لاشغال حسن باشا المذكور فلهُ حديث طويل نلخصهُ في هذا المقام ومنهُ يستدل على ما كان عليهِ صاحب الترجمة من سمو المكانة في النباهة والذكاء والرأي الثاقب

كان لحسن باشا عهدة في القطر المصري على ايام المرحوم عباس باشا والي مصر (والعهدة هي الاموال الاميرية التي كانت تؤخذ من الفلاح بطريق الالتزام فاصحاب العهد كانوا يشترون قيم العهدة من الحكومة ويتكلفون عنها تحصيلها من الفلاح). ففي

ذلك الزمان حدث خلاف بين عباس باشا والي مصر وبين حسن باشا المنسترلي حتى آل الامر الى غضب عباس باشا عليهِ وانتقامهِ منهُ فخاف المنسترلي باشا العاقبة وايقن باستفحال خطبهِ وحرج موقفهِ وكان ابنهُ راشد (باشا) لا يزال صغيرًا فاوجس خيفةً عليهِ وحار في امرهِ وضاقت مذاهبهُ حتى لجأَ اخيرًا الى البارون يعقوب منشه وكان يعرفهُ جيدًا واخبرهُ بالامر وسلمهُ ابنهُ راشدًا فرحل البارون بالولد الى بلاد النمسا ومنها الى باريس وهناك ادخلهُ احدى مدارسها المشهورة التي تعلم فيها المرحومان اسمعيل باشا ومصطفى باشا وقفل راجعًا الى النمسا واجتهد بمهارتهِ وذكائهِ حتى تحصل على حماية دولتها ومن ثم اخذ يسعى في خلاص صديقهِ المنسترلي باشا من نقمة عباس باشا فاول شيءٍ عملهُ انهُ رفع قضية على المنسترلي باشا الى ساحة القضاء في الاستانة وطلب ان تكون المحاكمة في الاستانة نفسها لانهُ اجنبي ولأَن من كان في رتبة المنسترلي باشا في تلك الايام لا تجوز محاكمتهُ الاَّ في العاصمة العثمانية فارسلت الحكومة مركبًا حربيًّا مخصوصًا مع قومسير عثماني الى مصر فسافر عليهِ المنسترلي باشا لحضور المرافعة هناك . وبهذه الوسيلة الغريبة تمكن البارون من خلاص المنسترلي ونجاتهِ من نقمة عباس باشا . وظل المنسترلي في الاستانة ولم يعد الى القطر

المصري بعد ذلك واقام البارون منشه وكيلاً عنهُ في ادارة املاكهِ وامواله

وكان البارون منشه يميل ميلاً خصوصياً الى راشد باشا في صغرهِ ويحنو عليهِ حنوّ الاب على ابنهِ ولذلك كان الولد يحبهُ ويدعوهُ اباً لهُ فكان يناديهِ (بابا) ولما كبر وظهرت عليهِ علائم الفضل والكفاءَة لتولي الاعمال الكبيرة عُيّن والياً على سورية وفي ذلك الوقت زار البارون القدس الشريف فاستقبلهُ في يافا وفدٌ من قِبَل الباشا استقبالاً باهراً بموكب حافل دلالة على رفعة قدرهِ وعظيم فضلهِ . ولما قُتل راشد باشا في غضون حادثة السلطان عبد العزيز بكاهُ البارون بكاءَ الاب على ولدهِ ولبست عائلة منشه الحداد حزناً عليهِ

وفي سنة ١٨٦٩ جاءَ الى القطر المصري جلالة فرنسوى جوزيف امبراطور النمسا لحضور الاحتفال بافتتاح قنال السويس فتقدم البارون لاستقبالهِ بصفتهِ رئيساً للنزالة النمسوية والطائفة الاسرائيلية في القطر المصري فاكرمهُ الامبراطور لما وجد فيهِ من محاسن الخلال وسموّ المدارك وقلدهُ وساماً جليلاً . ولما زار راشد باشا مدينة ڤينا عاصمة النمسا حظي بمقابلة الامبراطور فاطنب امامهُ بصفات البارون الشريفة وأطرأ اعمالهُ الخيرية ومبرّاتهِ

الكثيرة فمنحهُ الامبراطور وساماً آخر مع لقب شرف. وفي سنة ١٨٧٥ منحهُ لقب بارون لقباً متوارثاً لهُ ولذريتهِ من بعدهِ وهو اول من حاز هذا اللقب من الاسرائيليين في القطر المصري

ولما بلغ هذا المقام الجليل من الجاه وعلو القدر نظر الى الدنيا نظر الحكيم العاقل فرأى ان النجاح الحقيقي فيها لا يتم الاَّ بالاقدام على الاعمال التجارية العظيمة الفائدة لاسيما وانهُ شاهد في الاقطار الاوربية دولاب التجارة العظيم يدور باصحابهِ على محور العظمة وجلالة الشان وينهض بالافراد الى سماء المجد والفخر فحدثتهُ نفسهُ الكبيرة ان ينشئ محلاَّت تجارية بالاشتراك مع اوربا فكان اول مصريّ اهتم لهذه الامور المفيدة فانشأ محلاً تجارياً في مرسيليا ومحلاً آخر في ليفربول وجرى في كل اعمالهِ على خطة الامانة والاستقامة مع الجد والثبات فنجح نجاحاً عظيماً

وكان صاحب الترجمة محسناً جوَّاداً لا يطيب لهُ عيش الاَّ بالاكثار من الاعمال الخيرية فبنى في الاسكندرية كنيساً لطائفتهِ ووقف لها املاكاً في مصر وبنى فيها ايضاً المدرسة المعروفة اليوم باسم مدرسة منشه ووهبها اربعة آلاف جنيه لتنفق على تحسينها ونجاحها

ووهب ارضاً في يافا لبناء مدرسة فبنيت وجاد بهبات

كثيرة للمستشفيات الخيرية ووقف قبل وفاتهِ املاكاً ينفق ريعها على فقراء ذريتهِ

وقد توفاهُ الله في مدينة الاسكندرية في شهر نوفمبر سنة ١٨٨٣ ودُفن بما يليق بمقامهِ من التجلة والاحترام مخلفاً آثاراً حميدة لا يمحوها كرور الايام

انجالهُ واحفادهُ

قلنا ان البارون يعقوب منشه خلف اربعة صبيان وثلاث بنات فتوفي الذكور كلهم

وكان بينهم المرحوم البارون بخور اشتهر في حياتهِ باعمالهِ الخيرية ومبرَّاتهِ الصالحة مقتفياً في ذلك خطوات والدهِ الكريم فرأَس المستشفى الاسرائيلي في محرَّم بك واتى من الاعمال المجيدة ما ترك لهُ الذكر المجيد والصيت الحميد وقد رزقهُ الله خمسة اولاد وابنة واحدة وهم البارون جاك البكر . والبارون فيلكس . والبارون الفرد . ومدام جناب المسيو روبينو والبارون ايلي . والبارون يوسف . وهذان الاخيران توفيا الى رحمة ربهما



البارون جاك ده منشه

البارون جاك بخور ده منشه

البارون جاك ده منشه ابن المرحوم البارون بخور ابن المرحوم البارون يعقوب ده منشه وُلد في مصر في شهر يناير سنة ١٨٥٠

ولما كبر وترعرع دخل المدارس فاتقن اللغات العربية والفرنسوية والايطالية والنمسوية والانكليزية ولما كان بكر اخوته كان لهُ المنزلة الاولى بينهم فاقتفى خطوات ابيهِ وجدهِ في الاشغال الخصوصية والاعمال المبرورة

وفي سنة ١٨٧٤ اقترن بصاحبة العفة والكمال البارونة ادريانة كريمة المرحوم الخواجه نحمان فرزقهُ الله ستة بنين نجباء وهم المسيو هنري وادمون واميل وجستون وديني واوجين وابنة وهي السيدة مرغريت قرينة جناب المسيو جاك اجيون

اما ابناهُ هنري وجستون ففي جيش النمسا والمجر الاول برتبة ملازم اول والثاني برتبة ملازم ثانٍ والباقون يساعدون جناب والدهم في اشغاله

والبارون جاك ده منشه بنكيير شهير وقد انتظم في سلك الجمعية الماسونية سنة ١٨٧١ ولهُ فيها مآثر غراء وقد نال سنة ١٨٨٦ النشان المجيدي الثاني والعثماني الثالث من المرحوم توفيق

باشا خديوي مصر ومنحهُ جلالة امبراطور النمسا وسام التاج الحديد الذي كان عند جدهِ وكان عضواً في مجلس الاسكندرية البلدي فاستعفى منهُ منذ اربع سنين لوفرة اشغالهِ وهو اليوم رئيس الطائفة الاسرائيلية في الاسكندرية ورئيس الجمعيات الخيرية النمسوية ولهُ ايادٍ بيضاء في كل مشروع خيري واشتهر بسخائهِ بين قومهِ خصوصاً وبين كل الطوائف عموماً . اطال الله عمرهُ ليعم احسانهُ ومبرَّاتهُ

البارون فيلكس بخور ده منشه

البارون فيلكس ابن المرحوم البارون بخور ابن المرحوم البارون يعقوب ده منشه وُلد في الاسكندريَّة في اغسطس سنة ١٨٦٥ ولما بلغ اشدهُ دخل المدارس فاتقن اللغات الفرنسوية والانكليزية والنمسوية والايطالية والعربية وفي ديسمبر سنة ١٨٩٠ اقترن بالمرحومة سيلين كريمة المرحوم البارون يوسف ده منشه ورزق منها ولد وهو المسيو جورج منشه وتوفيت. ثم اقترن بالسيدة روزت دي بستوس ورُزق منها ولدين وهما الموسيو موريس والموسيو اندريا وهو بكيير كاخوتهِ

وقد نال منذ ثلاث سنين وسام فرنسوى جوزف النمسوي

وهو يدير شؤون الاسبتالية الخيرية وركن مهم من اركان طائفته ولهُ مساعٍ حميدة ومآثر في الاعمال الخيريَّة العمومية عديدة

البارون الفرد بخور ده منشه

البارون الفرد ابن المرحوم البارون بخور ابن المرحوم البارون يعقوب ده منشه وُلد في باريس في سنة ١٨٦٧ ولما كبر دخل المدارس فاتقن من اللغات الفرنسوية والنمسوية والايطالية والانكليزية والعربية وفي سنة ١٨٩٤ اقترن بذات الصون والفضيلة السيدة هيلانة كريمة جناب الموسيو فيلكس سوارس ورزق منها ولد وهو المسيو شلر . والبارون الفرد ده منشه بنكيير بشراكة حضرات الخواجات رولو وشركاهم

وهو اليوم عضو كبير عامل في المجلس البلدي الاسكندري مشهورٌ فيهِ بجليل الخدمات العائدة بالنفع والاصلاح على البلد ومشهودٌ لهُ بحرية الضمير والغيرة على مصلحة البلدية ولهُ مآثر غرَّاء في عمل الخير وخدمة الانسانية وهو يدير شؤون المدارس الاسرائيلية الصناعية وحائز لوسام فرنسوى جوزف النمسوي

البارون جاك ايليا ده منشه

البارون جاك ايليا ده منشه ابن المرحوم البارون ايليا ابن المرحوم البارون يعقوب ده منشه وُلد في الاسكندرية في ٢٦ اغسطس سنة ١٨٦٨ ولما ترعرع دخل المدارس فاتقن من اللغات الفرنسوية والانكليزية والايطالية والنمسوية ويتكلم العربية

وفي سنة ١٨٩٢ اقترن بالسيدة جبريال كريمة المرحوم موسى اجيون . والبارون جاك ايليا ده منشه بنكيير مشهود لهُ بحسن الجد والاستقامة

ومن اعمالهِ الخيرية انهُ شارع في تشييد دار العجزة التي كان المرحوم والدهُ البارون ايليا ده منشه قد اوصى قبل وفاته ببنائها في الاسكندرية

عائلة القطاوي

المرحوم يعقوب بك قطاوي

اب هذه العائلة الشهيرة وكبيرها هو المرحوم يعقوب بك قطاوي المنتقل الى رحمة الله في ٣ ابريل سنة ١٨٨٣ كان في ...هِ مشهوراً بعلوّ همتهِ وسموّ مداركهِ معروفاً باقتدارهِ على اتيان الاعمال الكبيرة النافعة نابغةً بذكائهِ وحدة ذهنهِ ومكارم اخلاقهِ ... بلطفهِ ودعتهِ مقاماً رفيعاً بين اقرانهِ ومعارفهِ وكان على جانب عظيم من المهابة والكمال تقرَّب بهما من الحكام فاحترموهُ وانزلوهُ بينهم منزلةً سامية . وقد تنقل في وظائف الحكومة المصرية على عهد المرحوم عباس باشا عزيز مصر . وتولى ادارة اشغال الضربخانة المصرية بكل فروعها . ثم التزم المخابز وتعهد بتقديم لوازم الحكومة ... والتزم حلقات الاسماك والكمارك المصرية بالاشتراك مع غيرهِ وظلَّ ملتزماً لها مدة حكم المغفور لهُ المرحوم سعيد باشا . ثم

عيّن شيخاً للصيارفة (الصرافين) رسمياً فكانت تُعهد اليهِ ضمان كل صيارفة الحكومة بالمال وغيره

وقد رزقهُ الله اربعة اولاد ذكور وهم اصلان ويوسف وايلي وموسى فربّاهم وغرس فيهم المبادئ القويمة وهذبهم في احسن المدارس فنشأوا على اكمل مثالٍ من الآداب والفضائل والمحامد

وكأنَّ افكارهُ السامية وآمالهُ البعيدة وهمتهُ العالية كانت توحي اليهِ ان يجول في ميدان الحياة جولة المقتدر الحازم لا سيما وان ابواب النجاح كانت مفتوحة امامهُ فانخرط في سلك التجار العظام واشترك مع البارون منشه وغيرهُ واسسوا محلاتهم الشهيرة في مصر والاسكندرية ولندن باسم " منشه وشركائهِ "

ولما كبر انجالهُ وظهرت عليهم ملامح النجابة والذكاء والاقتدار على العمل انفصل عن محل منشه وباشر الاعمال مع اولادهِ بهمةٍ ونشاطٍ لا مزيد عليهما ففتح ثلاثة محلات في باريز ومصر والاسكندرية واناط ادارة محل باريز بابنهِ المسيو ايلي وادارة محلي مصر والاسكندرية بابنهِ اصلان واخوتهِ بالاشتراك مع عائلة اجيون وبيجا بك

وقد تولى رئاسة الطائفة الاسرائيلية في القطر المصري مدة حياتهِ فاظهر من المقدرة والغيرة على مصالح ابنائها ما لا يزال

مسطّرًا لهُ بمداد الثناء والحمد . وقد توفي ابنهُ الاكبر الخواجه اصلان في ٢ فبراير سنة ١٨٨٣ ثم توفي هو في ٣ ابريل من السنة نفسها فكان لوفاتهما رنة حزنٍ واسف في كل انحاء البلاد الشرقية عموماً والمصرية خصوصاً وفقدت مصر بفقدهما ذخيرتين من اعظم ذخائرها . ولكن حضرات اولادهِ الافاضل ابوا الآن يبقى ذكرابيهم المحبوب مخلّدًا فابقوا محلاتهم كما كانت باسم "يعقوب منشه قطاوي واولادهِ" وهي الآن لا تزال آخذةً في النجاح عاماً بعد عامٍ يضرَب المثل بامانتها ووفائها وحسن معاملاتها

ولما زار المرحوم البرنس رودولف وليّ عهد ملك النمسا القطر المصري احتفل يعقوب بك قطاوي بقدومهِ احتفالاً يليق بمقامهِ السامي واحبَّ ان يجعل لزيارتهِ هذه تذكارًا جليلاً واثرًا حميدًا فشرع في بناء مستشفى في العباسية لابناء الطائفة النمسوية في مصر فسرَّ البرنس بذلك وطلب ان يضع بيدهِ الكريمة الحجر الاول من اساسهِ وقد جرى لذلك احتفالٌ باهر حضرهُ نخبة من عيون اعيان مصر وعظمائها وجمهورٌ عظيمٌ من الناس على اختلاف مللهم ونحلهم . ولكن ابت التقادير ان يتمَّ بناء هذا الاثر الحميد في حياة صاحب الترجمة فتوفي الى رحمة ربهِ وقام انجالهُ الكرام بعدهُ فأتموا بناءهُ وسلموهُ الى نائب الحكومة النمسوية

المرحوم اصلان بك يعقوب قطاوي

اصلان بك يعقوب قطاوي وُلد في مصر سنة ١٨٢٤ واقترن بالسيدة جراسيا فرُزق منها خمسة اولاد ذكور وخمس بنات . والاحياء من اولادهِ الذكور الآن هم حضرات الخواجه جاك ويوسف بك والخواجات ادولف واميل واخواتهم وكلهم على جانب عظيم من الفضل والنبل ومكارم الاخلاق . ولا غرو فانهم من سلالة ذلك الرجل العظيم صاحب الصيت الحسن والمآثر الحميدة . وهم يديرون اشغال البنوك كما هو مشهور ومعلوم

وكان المرحوم اصلان بك قد اشترك في اعمال وتنفيذ مشروع معمل تكرير السكر مع الخواجات اخوان سوارس . وكان رئيساً في محل ادارة ذلك المعمل مدة حياتهِ وقد توفاهُ الله في اليوم الثاني من فبراير سنة ١٨٨٣ فحفظ اولادهُ الكرام كرامة ابيهم وحافظوا على مبادىء جدهم الشريفة ولا تزال اعمالهم سائرة من حسن الى احسن



يوسف بك قطاوي

يوسف بك يعقوب قطاوي

وُلد يوسف بك في مصر في ١٥ مايو سنة ١٨٤٥ وتخرج في مدارسها ولما بلغ السن الذي يخوّلهُ الظهور في ميدان الاعمال اخذ يتمرَّن على اشغال البنوك ثم اقترن بكريمة حاخام باشي الطائفة الاسرائيلية في ذلك الوقت في سنة ١٨٦٥ فرزقهُ الله منها بنون وبنات منهم الخواجات ايلي وموريس والبير فالخواجه موريس كان ميالاً الى الهندسة فتعلمها واتخذها حرفةً لهُ والباقون اشتغلوا في البنوك كما يشتغل حضرة والدهم

وكانت جمعية الطائفة الاسرائيلية قد اجتمعت اجتماعاً كبيراً عند وفاة المرحوم يعقوب بك قطاوي رئيسها اذ ذاك وقرَّ قرارها على ان تطلب من جناب يوسف بك وشقيقهِ موسى بك ان يترأَساها مكان المرحوم والدهما فلبَّيا طلبها عن طيب نفسٍ حبّاً بعمل الخير ومساعدة البائسين ورغبةً في رفع منار هذه الطائفة والذود عن مصالحها فقاما في اعباء هذه الخدمة الشريفة بما اشتهر عنهما من الغيرة والهمة ببذلان جهدهما في خيرها و يسهران على اوقافها ومبرَّاتها وسائر شؤُونها

ولما كان الشيءُ بالشيءِ يُذكر اقول انني حضرتُ مرةً الصلاة

في كنيس الاسرائيليين بمصر يوم عيد الصوم الكبير ولما طافوا بالتوراة امام الشعب تقدم المحسنون الذين يرغبون حمل اجزاء التوراة وقد هزَّتهم الاريحية فتبرع كلٌّ منهم بما سمحت بهِ نفسهُ فكان السابق في جودهِ واحسانهِ يوسف بك قطاوي . فلما شاهدتُ ذلك لم اتمالك ان جاهرت بمدح السخاء والكرم والقدوة الصالحة واثنيت الثناء الجميل على سماحة وغيرة هذه الامة عموماً و يوسف بك خصوصاً

ولم يقتصر حضرتهُ على القيام بمهام الاعمال الكثيرة التي يديرها مع شقيقهِ الهمام في محلهم المشهور ولم تقعد بهِ همتهُ العالية عن الاشتغال باعمالٍ اخرى عظيمة فقد عُيّن مديراً لعدة شركات اهمها الشركة العقارية المصرية وشركة مياه طنطا وهو من مديري سكة حديد حلوان ولهُ علاقة بكثيرٍ من الشؤون العائدة بالنفع على مصر والمصريين

اما صفاتهُ واخلاقهُ فتحلّيها الوداعة والاتضاع مع الانفة وعزة النفس و يزينها الادب والكمال والتقوى ولهُ المقام الاول بين اقرانهِ يحترمونهُ و يحلّون آراءهُ المحلّ الاسمى وهو محبوب كثيراً من اواسط الناس وفقرائهم للطفهِ ووداعتهِ فانهُ يقابلهم كأنهُ واحد منهم ويجتمع معهم ويتفقد احوالهم ويشرح صدورهم برقة احاديثهِ . ادامهُ الله وجزاهُ قدر حسناتهِ ومبرَّاتهِ



الموسيو ايلي قطاوي

المسيو ايلي قطاوي

وُلد المسيو ايلي يعقوب قطاوي في مصر في ٣ مارس سنة ١٨٤٩ وتخرَّج في المدارس ولما دخل في ميدان العمل اقترن بكريمة المرحوم ليون فلنسين فرُزق منها ابنتين وقد كان نصيبهُ الاقامة في مدينة باريز حيث يدير محلات الخواجات قطاوي بهمتهِ وذكائهِ

ولما توفيت زوجتهُ اقترن بسيدةٍ من بنات عائلة ريدلخ الشهيرة في بلاد النمسا والمجر ورُزق منها ابنةً

وهو الآن احد مديري شركة اعمال السكر المسماة " راتين ريسيه " واحد اعضاء البنك العقاري المصري وغيرهِ من البنوك

ويدير في باريز ايضاً اشغال اخرى لها علاقة بمصر وغيرها من البلدان

موسى بك يعقوب قطاوي

موسى بك قطاوي نجل المرحوم يعقوب بك قطاوي وهو رابع اخوتهِ الذكور . وُلد في مصر في اليوم الثاني من شهر فبراير سنة ١٨٥٠ ونشأ على المبادىء الصحيحة ولما بلغ السابعة من عمرهِ ظهرت عليهِ مخائل النجابة والذكاء وتوقع الناس لهُ مستقبلاً باهراً ومقاماً رفيعاً . وكان نحيف الجسم ضعيف البنية الاَّ انهُ كان عالي الهمة متقد العزيمة قضى ايام شبيبتهِ في جدٍ ونشاط مكبًّا على الدروس وتلقي العلوم تارةً في مصر وتارةً في اوربا حتى نال نصيباً وافرًا من المعارف والفنون ومحاسن التربية الحديثة ولما ترعرع اخذ في السياحة والاسفار ليقرن العلم بالاختبار والتحنك من احوال الدنيا وشؤُونها وكانت همتهُ العالية تدفعهُ الى هذه السياحة معتمدًا على نفسهِ وافكارهِ شأن الحكيم العاقل حتى رسخت فيهِ قوة الاعتماد على النفس المقرونة بحسن التدبير ومحاسن الاخلاق واستمر في سياحاتهِ هذه حتى بلغ العشرين من عمرهِ فظهرت عليهِ اذ ذاك علائم الاقتدار على الاعمال وادارتها فطلبهُ والدهُ وادخلهُ في دائرة اشغالهِ فاظهر مقدرة سامية في كل الاعمال التي عُهدت اليهِ ونجح فيها نجاحاً باهرًا ولما رأى كفاءتهُ ونشاطهُ في الاعمال جعلهُ شريكاً



موسى بك قطاوي

لهُ في بنكهِ فقام بهذه المهمة على احسن ما يكون من حسن التدبير والادارة . وبعد ذلك باعوامٍ قليلة عزم والدهُ على زواجهِ وكاشفهُ في ذلك فلم يمتنع طوعاً لارادتهِ فاقترن بالسيدة ايدا كريمة العالم الشهير الدكتور روسي بك طبيب العائلة الخديوية وهو في الرابعة والعشرين من عمرهِ وكان ذلك في ١٢ ابريل سنة ١٨٧٤ وقد احتُفل بزفافهِ احتفالاً بلغ الغاية القصوى من العظمة ورفعة الشان وكان لهُ رنة بلغت حد الانتشار حتى لهج بها الناس في كل مكان وذلك دليل واضح على ما لهذه العائلة الكريمة من سمو المكانة في اعين الناس

وفي ١٥ يناير سنة ١٨٧٥ رزقهُ الله مولوداً ذكراً سماهُ جستاف واحتفل بختانهِ بعد ثمانية ايام من ميلادهِ على حسب عقائد الديانة الاسرائيلية فأُقيمت شعائر الافراح وبشائر السرور والابتهاج وعزم جد المولود الكريم المرحوم يعقوب بك قطاوي على احياء ليلة راقصة دعا اليها جمهوراً عظيماً من اعاظم الكبراء والاعيان . ولما كان المرحوم يعقوب بك قطاوي مقرَّباً من عزيز مصر المغفور لهُ اسمعيل باشا طلب اليهِ ان تكون تلك الحفلة الحافلة تحت رعايتهِ تيمناً باسمهِ وتشريفاً بطلعتهِ فاجابهُ عزيز مصر الى ذلك . ولما انتظم عقد الحفلة وظهر بدر كمالها وجلالها قدم سموّ الخديوي المُعظَّم في

الساعة التاسعة مساءً من تلك الليلة بموكبهِ الباهر يتبعهُ حضرات رجال المعية السنية وضباط الحرس الشريف ودخل المنزل بين انغام الموسيقى وذبح الذبائح حتى جلس سموّهُ في المكان المعد لهُ فمرَّ المدعوون والمدعوات امام سموّهِ لحيّاهم وكرَّمهم ومن ثمَّ ابتدأت الحفلة ودارت المحاضرة على نغم الالحان المطربة ودام الفرح والسرور حتى مطلع الفجر وخرج المدعوون وهم يثنون على آل المنزل الكرام لما لقوهُ منهم من حسن الاستقبال والاكرام . وحمد افراد هذه العائلة الكريمة سموّ الخديوي المعظم على ما تكرَّم بهِ من تشريفهِ تلك الليلة البديعة الانتظام والترتيب

وفي ٣١ يناير سنة ١٨٧٦ رُزق صاحب الترجمة مولودًا آخر سماهُ ايكتور وفي ٢٠ يناير سنة ١٨٧٨ مولودًا ثالثًا دعاهُ ادجار وفي ٢٩ اغسطس سنة ١٨٨٧ رُزق مولودة سماها ايديت ولم يولد لهُ غيرها من البنات فربّى اولادهُ تربية صالحة وهذَّب اخلاقهم في المدارس وعلمهم اللغات المشهورة فنشأُوا على اكرم الخصال واشرف الصفات

ولم تكن كثرة اشغالهِ التجارية والخصوصية لتثنيهِ عن الاشتغال بالاعمال الخيرية فقد كان مغرماً بتهذيب اخلاق الشبان سواءٌ كانوا فقراءَ او اغنياءَ ولاسيما اقرانهُ ورفاقهُ الذين نشأَ معهم

وشبَّ بينهم وكان من رأْيهِ الصحيح انهُ لا سبيل للانسان الى التمدن والحرّية الاَّ من طريق العلوم على انواعها ولا يبلغ درجة الكمال ولا يعرف الحقوق والواجبات الانسانية الاَّ اذا تلقى العلوم والفنون والمعارف في المدارس · وهذا الميل الى ترقية اخلاق الشبان كان غريزيًّا فيهِ ولذلك شرع في انشاء مدرسة خصوصية على نفقة عائلتهِ الكريمة واتمها وفتح ابوابها لطالبي العلم على اختلاف اجناسهم ومذاهبهم وجلب اليها الاساتذة الماهرين وألف لها لجنة ادارية برئاستهِ تنظر في امورها وشؤُونها وسماها المدرسة التجارية ثم دعيت دار العلوم العالية فنجحت نجاحاً عظيماً وظهرت ثمار فوائدها في التلامذة الذين تخرَّجوا فيها وتهذبت اخلاقهم فخرج منها شبان كثيرون متممين فيها الدروس الابتدائية والثانوية وبعض هؤلاء الشبان لم يخرج منها الاَّ لكي يتمم علوم الطب والهندسة والقانون في مدارس اوربا فذاعت شهرة هذه المدرسة وفاقت بادارتها وحسن تعليمها واجتهاد اساتذتها وتلامذتها سائر المدارس في القطر المصري · وكأَنَّ القدر المتاح كان كاتباً لها ان لا يطول عمرها كثيراً وذلك ان صاحب الترجمة عرض لهُ في ذاك الاوان ما دعاهُ الى الاقامة في اوربا سنة كاملة فاخذت المدرسة في غيابهِ تتقهقر وتتأخر شيئًا فشيئًا الى ان اقبلت على شفا الخراب ولما عاد من سفرهِ وشاهد

ما صارت اليهِ من الانحطاط تأسف كثيرًا ولاسيما ان امراضها كانت قد تأصلت فيها فرأى ان ارجاعها الى حالتها الأولى من أصعب الامور واشدها فتركها ووجه عنايتهُ الى تحسين حالة المدارس الخيرية المجانية الاسرائيلية التي كان يديرها ويلاحظ شؤونها فنجحت هذه المدارس في مدة قصيرة وحازت قصب السبق على غيرها وهي لا تزال الى اليوم راقية في معارج النجاح والفلاح وتلامذتها ينيفون على الخمس مئة بين ذكور واناث

ولم تقعدهُ كل هذه المشاغل عن الاشتغال بامور خيرية اخرى يعود نفعها على بني الانسان فقد كانت غيرتهُ ومروءتهُ تدفعانهِ الى الاكثار من اعمال البرّ والاحسان حبًّا بصالح الفقراء والمعوزين وغيرهم الذين كانوا يلتجئون اليهِ فيفرج كربهم ويزيل عثراتهم غير فارقٍ بين مذاهبهم واديانهم شأن الحكماء العقلاء الذين لا يثنيهم شيءٌ عن اداء الفروض والواجبات الانسانية المفروضة على كل غنيّ مقتدر امام الفقير البائس ولاسيما من كان مثل صاحب الترجمة رئيسًا على الطائفة الاسرائيلية عارفًا باحوال الفقراء ميالاً الى اصلاح احوالهم وتبديد همومهم

اما رئاسة الطائفة الاسرائيلية فقد نالها بالاشتراك مع حضرة شقيقهِ الفاضل يوسف بك قطاوي بعد وفاة والدهما المرحوم يعقوب

بك قطاوي في سنة ١٨٨٣ وهما لا يزالان الى الآن قائمين بمهام هذه الرئاسة بهمة واخلاص لا مزيد عليهما كما يشهد بذلك كل فرد من افراد هذه الطائفة الكريمة في القطر المصري

وقد نال الرتبة الثانية مع لقب بك من المرحوم الخديوي السابق توفيق باشا .

ولما برح القطر المصري سعادة بلوم باشا وكيل نظارة المالية المصرية سابقاً انتخبتهُ الطائفــة النمسوية المجرية بمصر رئيساً على شركاتها الخيرية بدلاً عن الباشا المذكور ورئيساً ايضاً على ادارة المستشفى النمسوي الخيري الذي في العباسية وهو الذي انشأهُ والدهُ المرحوم يعقوب بك قطاوي بمالهِ الخاص

اما اعمال صاحب الترجمة المالية والتجارية فهي كثيرة جداً ولو شئنا الالمام بها كلها لضاق بنا المجال في هذا المقام وانما نقول ان كل مشروع اخذ فيهِ او سعى في تنشيطهِ وتعضيدهِ كان يبلغ حد النجاح ويثمر ثمار الفوائد العائدة بالنفع العمومي. فانهُ اشترك بمالهِ وادارتهِ في انشائهِ السكك الحديد الحلوانية المستجدة والسكك الحديد الممتدة بين قنا واصوان والسكك الحديد الزراعية الشرقية التي ابتاعتها بعد ذلك شركة الدلتا وكان من العاملين في انشاء شركة مياه طنطا وشركة مركبات الامنيبوس بمصر وهو الآن احد

مديري كل هذه الشركات فضلاً عن انضمامهِ الى مديري البنك العقاري المصري والبنك الاهلي والشركة الزراعية وغيرها من الشركات التجارية والمالية المشهورة

وهو رئيس محفل بني بريت ورئيس شرف في المحافل الماسونية المصرية وكان من اهم اعضاء محفل كوكب الشرق الانكليزي

ومع كل هذه الاعمال العظيمة التي كان يقوم باعبائها بهمتهِ وسموّ مداركهِ فان الاعمال الخيرية كانت دائمًا تجول في خاطرهِ وتشغل قسماً كبيرًا من اوقاتهِ فقد بلغهُ ذات يوم ان تكية رودلف في الاسكندرية سائرة في طرق الخير والاحسان يلجأ اليها عدد عظيم من المحتاجين والمعوزين فكتب الى حضرة مديرها الفاضل الاب رودلف يلتمس منهُ ان يحضر الى مصر ويساعدهُ على انشاء تكية فيها على نسق تكية الاسكندرية فاجابهُ الى طلبهِ وجاء الى مصر وخطب في محفل حافل حضرهُ جميع رؤساء الشركات الخيرية على اختلاف مذاهبهم واميالهم وابان المزايا الحميدة التي تعود على الانسانية من عمل الخير والاحسان وارفض ذلك المحفل بعد ان اقرَّ على انشاء هذه التكية وابتياع منزل يكون لائقاً بها ومن ثم اخذ صاحب الترجمة يسعى في ايجاد المنزل المطلوب حتى وجدهُ وابتاعهُ على ذمة التكية وعمَّرهُ واصلح منهُ ما كان في حاجة

الى الاصلاح على نفقة مشتركي هذه الشركة وفتح ابوابهُ للفقراء والبائسين من جميع الملل والمذاهب وقد جعلت هذه التكية تحت رعاية جناب اللورد كرومر وزير الدولة البريطانية بمصر

وفي سنة ١٨٨١ جاء اللورد دوفرين الى القاهرة مندوباً من دولة بريطانيا العظمى لتعديل وانشاء نظامات وقوانين لبلاد مصر بعد حدوث الثورة العرابية فلم تجد الحكومة اذ ذاك منزلاً يليق بذلك الرجل العظيم غير بيت القطاوي فطلبت من هذه العائلة الكريمة ان تعد منزلها لهُ فاقام فيهِ اللورد مدة مكوثهِ في مصر وبعد اتمام مهمتهِ التي جاء لاجلها رحل الى بلادهِ بعد ان اهدى صاحب الترجمة رسم الملكة فيكتوريا مكبرًا ومكتوباً عليهِ هذه الكلمات « هدية تذكار لضيافة اللورد دوفرين »

وفي سنة ١٨٩٠ انعمت عليهِ حكومة النمسا بنيشان فرنسوى جوزيف من الدرجة الثالثة مكافأةً لهُ على خدماتهِ الجليلة نحو الطائفة النمسوية بمصر. وعند الاحتفال بحلول العام الخمسين من جلوس الامبراطور على عرش النمسا انعم عليهِ بالنشان نفسهِ من الدرجة الثانية

وهو على جانب عظيم من الوداعة واللطف والشهامة ومكارم الاخلاق ومشهورٌ بين اصدقائهِ ومعارفهِ العديدين بسموّ الافكار والآراء وعلوّ الهمة والعزيمة

عائلة رولو

بين التجار الذين استوطنوا القطر المصري من عهدٍ بعيد المرحوم الخواجه روبين رولو وقلَّ من لا يعرفهُ من معاصريهِ ويشهد بمهارتهِ وطهارة ذمتهِ وقد رزقهُ الله اولاداً شبوا وشابوا على الاجتهاد ومزاولة الاعمال بالنشاط فالخواجه سيمون ولد في مصر سنة ١٨٤٤ والخواجه جاكومو ولد في مصر ايضاً سنة ١٨٤٧ وقد تعلما في المدارس العلوم اللازمة للاعمال التجارية

وفي سنة ١٨٦١ اقترن الخواجه سيمون بالسيدة روزا كريمة المرحوم بخور نجار فرزق منها ولداً وابنتين وسُمّي ولده روبير وكانت ولادتهُ في ١٥ اكتوبر سنة ١٨٦٩ وهو الآن في عنفوان الشباب وقد تعلم العلوم واللغات العصرية وهو يشتغل مع والدهِ في اشغالهم المتنوعة

واقترن الخواجه جاكومو سنة ١٨٦٩ بالسيدة جراسيا كريمة المرحوم بخور روصانو ورُزق منها اربعة صبيان واربع بنات فرباهم التربية الجيدة والذكور منهم يشتغل بعضهم الآن مع جناب والدهم

وفي سنة ١٨٧٠ فتحوا محلهم المشهور في الاسكندرية برئاسة جناب الخواجه جاكومو بعنوان "روبين رولو واولاده" ولا يزال

الخواجه جاكومو يدير اعماله بهمة لا تعرف الكلل منذ انشائهِ الى الآن

وظلّ المرحوم روبين رولو ونجله الاكبر الخواجه سيمون يشتغلان في مصر وعنوان محلهم "روبين رولو واولادهُ"

وفي سنة ١٨٧٦ اشترك محلهم في مصر والاسكندرية مع الخواجات اخوان سوارس ولا يزالون الى الآن مشتركين في الاشغال والمشروعات المتنوعة العائدة بالنفع على سكان القطر المصري عموماً

والخواجات سيمون وجاكومو يتوليان ادارة اشغال خصوصية عدا عن اعمالهم الكثيرة وهما من اعضاء عدة شركات كالدائرة السنية وشركة سكة حديد حلوان والبنك العقاري والشركة العقارية المصرية والبنك الأهلي وغير ذلك ولهما مقام رفيع عند جميع معارفهما لما اتصفا بهِ من المزايا الحميدة والاخلاص في معاملاتهما حتى ذاعت شهرتهما في الصدق والامانة مع كل الذين يعاملونهما وقد جمعا ثروتهما بكدهما واجتهادهما ولم نسمع بمشروع دخلا فيه الاّ كان لهما الايادي البيضاء في انجاحهِ وفقهما الله

عائلة موصيري

هذه العائلة الكريمة اسبانية الاصل كما يُستدَلُّ من وجود اسمها بين اسماء العائلات التي هاجرت اسبانيا الى بلاد الشرق واول من قصد القطر المصري منها احد افرادها المرحوم نسيم موصيري في سنة ١٧٥٠ افرنجية فمكث فيهِ واستوطنهُ ثم اخذت هذه العائلة تنمو وتتفرع حتى اصبح عدد افرادها ينيف على الخمسين في مدة قرن ونصف قرن فكانوا كلهم مثالاً للمهارة والنشاط والامانة في اعمالهم حتى احرزوا مقاماً جميلاً بين سكان مصر مستظلين بظل حكامها ومشمولين برعاية دولة ايطاليا المعظمة ومن رسم الشجرة المطبوعة في آخر تراجم هذه العائلة يعرف تاريخ افرادهم واسماء الذكور منهم . اما اشغالهم التي يتعاطونها فمتفرقة فاشتغل بعضهم في الامور المالية وانخرط البعض الآخر في الصنائع والفنون المختلفة وبرع فيها وفاز على اقرانهِ وحاز شهرة بعيدة ونحن

ومن افراد هذه العائلة الكريمة الآن من يشتغل بفن المحاماة والطب والهندسة والزراعة والتجارة على اختلاف انواعها وفروعها وكلهم جارون في اعمالهم على خطة الاستقامة والاخلاص والامانة في المعاملات مشهورون بطهارة السيرة والسريرة حتى اصبحوا في مقام رفيع من الجاه ورفعة القدر

وكان المرحوم موسى موصيري الكبير جد الخواجه موسى موصيري رجلاً تقياً غيوراً على طائفتهِ ولهُ ولعٌ في امر الكنائس وعمل البرّ واحد انجالهِ الخواجه داود جاء على مثال ابيهِ في التقوى والفضل وتربية بنيهِ على قويم المبادئ والعلم . وقد اشتهر بهذه الخصال الحميدة ايضاً المرحوم يوسف نسيم موصيري والد المرحومين نسيم بك موصيري وجاك موصيري والخواجات فيتا وايزاك موصيري وخدم الكنائس والمدارس والجمعيات الخيرية . وربى اولادهُ التربية الصالحة فنبغوا بين اقرانهم ومن سيرة ابنائهِ تُعرَف اخلاقهُ الكريمة

المرحوم نسيم بك يوسف موصيري

المرحوم نسيم بك يوسف موصيري وُلد في مصر سنة ١٨٤٨ وتلقى العلوم في مدارسها ففاز على اقرانهِ بفرط ذكائهِ وشبَّ على حب الفضيلة من صغرهِ فكان نابغةً باجتهادهِ ومثالاً في آدابهِ . ولما بلغ اشدهُ وخرج من المدارس اقترن سنة ١٨٦٨ بذات الكمال السيدة الينا كريمة المرحوم يعقوب بك قطاوي الشهير الذي مرَّ بنا ترجمة حياتهِ صفحة ٢٢٣ من هذا الكتاب فرُزق منها ثمانية اولاد وثلاث بنات وهم يوسف وُلد سنة ١٨٦٩ وايلي سنة ١٨٧١ واستير سنة ١٨٨١ وروجينا سنة ١٨٨٣ وجاك سنة ١٨٨٤ وموريس سنة ١٨٨٦ وفيكتوريا سنة ١٨٨٧ ودافيد سنة ١٨٨٩ وليون سنة ١٨٩١ وفيلكس (سعد) سنة ١٨٩٣ واميل سنة ١٨٩٦

ولما توفي المرحوم ابوهُ كان عمر نسيم بك ٢٨ سنة فاستلم ادارة اعمالهِ التجارية وافلح في ترقية امورها ونجاحها فلاحاً عظيماً واعتنى بتربية اخوتهِ الصغار وبسائر عائلة المرحوم والدهِ اعتناء الرجل العاقل الحازم وما زال يرقى في معارج التقدم والمجد حتى انعم عليهِ المغفور لهُ الخديوي الاسبق اسمعيل باشا بالوسام المجيدي الثالث دلالةً على امانتهِ واخلاصهِ للعائلة الخديوية المعظمة ثم انعم

عليهِ بالرتبة الثانية مع لقب بك

وفي سنة ۱۸۸۸ منحهُ جلالة ملك ايطاليا نيشانًا من درجة اوفيسيه ثم انتخب عضوًا في الجمعية الخيرية الايطالية فابدى من الشهامة والمروءة والغيرة على الفقراء ما لا يزال مسطرًا لهُ بمداد الشكر والاجر . وكان نائبًا لرئيس الطائفة الاسرائيلية ومندوبًا في محكمة مصر التجارية المختلطة لبث في هذه المهمة عدة سنوات ابدى فيها همة عالية ومدارك سامية وحاز على رضى الشعب وثقة الحكومة فكان مقرَّبًا محبوبًا منهما . وانتخب عضوًا للجنة عوائد الاملاك بالقاهرة . وانتهج مسالك كثيرة نافعة عادت بالخير الكثير على البلاد

وكان على الجملة حكيمًا عاقلاً مجتهدًا حازمًا جمع ثروة طائلة بثباتهِ وعلو همتهِ وحسن تدبيرهِ وتوفي الى رحمة ربهِ في ٤ يناير سنة ۱۸۹۷ وهاك ما ذكرتهُ جريدة المقطم ثاني يوم وفاتهِ

استأثرت رحمة الله بالمأسوف عليهِ نسيم بك موصيري احد وجهاء الطائفة الاسرائيلية فشقَّ نعيهُ على جميع معارفهِ لما كان عليهِ من الوجاهة وكرم الاخلاق وشيّعت جنازتهُ في الساعة العاشرة صباحًا من منزلهِ بالاسمعيلية ومشى فيهِ كبراء القوم ووجهاؤُهم . ووضع الفقيد في مركبة فاخرة ومشى امامها البوليس ويسقجية

قناصل الدول واولاد المدارس ينشدون الاناشيد وكان سعادتلو اباتا باشا وحضرات الخواجه سوارس والافوكاتو فيجري وقطاوي بك يحملون بساطي الرحمة ومركبة الفقيد مغطاة باكاليل الازهار ووراءها كثير من المركبات تحمل اكاليل الازهار وخيلها موشحة باثواب الحداد . ولما بلغ المشيّعون المحكمة المختلطة ركبوا المركبات وساروا وراء الجنازة الى المدفن حيث واروا الفقيد التراب ورجعوا يعزّون آله الكرام عن هذا المصاب . تغمدهُ الله برحمتهِ واحسانهِ

والمرحوم جاك يوسف موصيري هو شقيق المرحوم نسيم بك موصيري توفي منذ عهد قريب في مصر وكان رحمهُ الله طيب السيرة والسريرة ونظير اخيهِ في اكثر وظائفهِ

والخواجه فيتا موصيري هو ابن المرحوم يوسف موصيري وشقيق المرحوم نسيم بك موصيري وُلد في مصر في ١٥ فبراير سنة ١٨٥٦ فرباهُ والداهُ على محبة الفضيلة والاتضاع فنشأ شهماً وديعاً انيس المحضر رقيق الطباع . وقد اشترك مع اخيهِ في الاعمال التجارية فكانا فيها مثالاً للصدق والامانة وعنواناً للنشاط والاجتهاد

وفي ٢٧ يناير سنة ١٨٨٠ اقترن بحضرة السيدة المصونة اليجره كريمة المرحوم حاييم راصون فرزقهُ الله منها اربعة اولاد

ذكور وخمس بنات نأتي على اسمائهم حفظاً لتاريخ ميلادهم وبياناً لحسن تربيتهم وآدابهم وهم متيلده ولدت في مصر سنة ١٨٨٠ وراشيل سنة ١٨٨٢ . ويوسف وهو اكبر اولادهِ الذكور وُلد في ١٠ اغسطس سنة ١٨٨٤ وهو الآن شاب في مقتبل العمر ونضارة الحياة . وايدا وُلدت سنة ١٨٨٦ . وانيس سنة ١٨٨٨ والبير سنة ١٨٩١ وروجينا سنة ١٨٩٢ وجان سنة ١٨٩٥ وموريس سنة ١٩٠٠ . نقول والشيء بالشيء يذكر اننا عرفنا من انسبائهِ جناب الخواجه نسيم ايلي جرين زوج احدى كريماتهِ المصونات السيدة راشيل وهو شابٌ من نوابغ الاسرائيليين وألطفهم خلقاً واوفرهم ذمةً وادباً يشتغل بالتجارة في مصر

والخواجه فيتا صاحب هذه الترجمة بنكيير شهير في مصر مشهود لهُ بالامانة وهو عضوٌ في الجمعية الخيرية الاسرائيلية ورئيس لجمعية زواج بنات فقراء الاسرائيليين ورئيس لكنيسة الاسمعيلية بمصر . وحذا على مثال اخوتهِ شقيقهم الخواجه زاكي موصيري وهو اصغرهم وشريكهم في الاعمال ايضاً

يوسف بك نسيم موصيري

وُلد يوسف بك موصيري نجل المرحوم نسيم بك موصيري في مصر في ٢٣ يونيو سنة ١٨٦٩ فوضعهُ والداهُ في المدارس وتربى احسن تربية فتعلم الفرنسوية والعربية والايطالية وبرع في الامور التجارية ولما بلغ عمرهُ ٢٥ سنة اقترن بصاحبة العفة السيدة چان كريمة المرحوم موسى اجيون فرزق كريمتان وفي سنة ١٩٠١ رُزقَ ولداً سماهُ نسيم باسم جدهِ ولما توفي المرحوم والدهُ في ٤ يناير سنة ١٨٩٧ خلفهُ في اعمالهِ التجارية وحذا حذوهُ بالصدق والامانة فنجح واضاف الى مآثر عائلتهِ الجليلة مزايا حميدة تُذكَر لهُ بالثناء فاهتمَّ كل الاهتمام بتشييد كنيسة الاسمعيلية الشهيرة وشارك ابناء ملتهِ في الاعمال المبرورة . وقد انتخب عضواً للجمعية الخيرية الايطالية سنة ١٩٠٠ . ونائب رئيس للطائفة الاسرائيلية .ومندوباً بين قضاة المحكمة المختلطة التجارية بمصر وفي بداية سنة ١٩٠٤ انعم عليهِ سمو الخديوي عباس حلمي باشا الثاني بالرتبة الثانية مع لقب بك فسرَّ ذلك عائلة موصيري المكرمة خصوصاً وجميع الاسرائيليين والاصدقاء عموماً واقبل المهنئون يهنئونهُ من سائر انحاء مصر بما نال عن اهلية واستحقاق

وبالاجمال فهو كأَبيهِ كريم الاخلاق لطيف المعاشرة سليم القلب بشوش الوجه محبٌّ لعمل الخير والاحسان ولهُ الرأي الاول والكلمة النافذة بين معارفهِ واصدقائهِ الذين يحترمونهُ ويجلُّون قدرهُ لما عُرِف بهِ من سامي المدارك وعلو الهمة

الخواجه فيكتور موسى موصيري

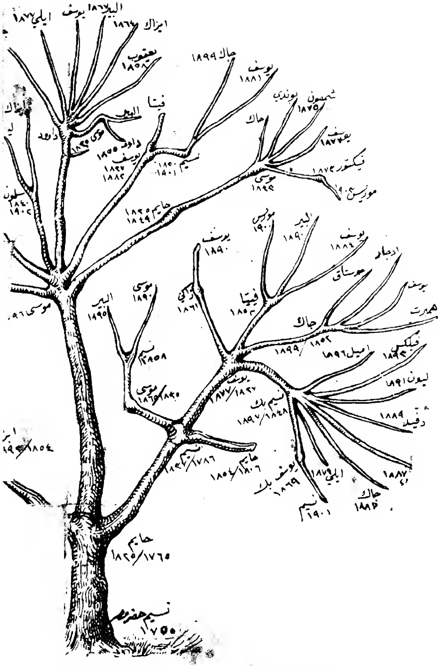
وُلد الخواجه ڤيكتور من ابوين كريمين اشتهرا بالفضل وحب الله والانسان وحصَّل ابوهُ الخواجه موسى موصيري حفيد المرحوم موسى موصيري الكبير باجتهادهِ ما لم يحصلهُ غيرهُ واقترن بالسيدة الفاضلة نظلة موصيري شقيقة المرحوم نسيم بك موصيري فوُلد لهُ منها اولاد رباهم على احسن المبادىء فشبوا على حب الفضيلة والاجتهاد ونحن نقتصر على ملخص ترجمة اكبرهم الخواجه فيكتور للدلالة على بقيتهم ومن ترجمتهِ تعرف اخلاق والدهِ الكريم

وُلد الخواجه فيكتور في ١٤ نوفمبر سنة ١٨٧٣ ولما بلغ السابعة من العمر وضعهُ والداهُ في المدارس وما زال يتنقل من مدرسة الى اخرى حتى نال شهادة البكلوريا ثم درس في فرنسا العلوم الهندسية والزراعية فنال من كليتي باريس ومونبليه شهادة مهندس

ومزارع . ولما عاد الى مصر اظهر كفاءة بعلمهِ وعملهِ فعين مديراً للاعمال الهندسية والكيماوية والزراعية لفابريقة سكر من سنة ١٨٩٥ الى سنة ١٨٩٧

ثم تفرَّغ الى الدرس في الامور التي تهمّ زراعة القطر المصري كزراعة القطن وقصب السكر وامراض النباتات ونحوها واهتمَّ باراضيهِ الخاصة فاصلح فيها حتى صيَّرها مخصبة بعد الجدب ونضرة بعد القحط

وفي ٢٨ يناير سنة ١٩٠١ اقترن بالسيدة استير كريمة خالهِ المرحوم نسيم بك موصيري ورُزق منها بولد في سنة ١٩٠٣ سماهُ باسم جدهِ الخواجه موسى موصيري . وصاحب الترجمة عضو في عدة جمعيات شهيرة في مصر واوربا ولا يزال في مقتبل العمر ونضارة الحياة يعمل اعمالهُ بهمة ونجاح وفقهُ الله واكثر امثالهُ



هذه الشجرة تحتوي اسماء الذكور من عا

الخواجه هرون دي لاذرميرس

هو السري الوجيه الكامل ابن المرحوم لاذرميرس بن فيكتور ميرس وُلد في الاسكندرية في ٣ اغسطس سنة ١٨٤٩ ونشأ على مكارم الاخلاق ومحاسن الخلال وكان المرحوم والدهُ بنكييراً شهيراً في الاسكندرية وشريكاً للبارون منشه والخواجات تلكه وغيرهم اشتهر بفضلهِ وصدق معاملاتهِ وشدة اخلاصهِ وتوفي الى رحمة ربهِ في اغسطس سنة ١٨٨٧ في المدينة نفسها اما الخواجه هرون دي لاذرميرس صاحب هذه الترجمة فلما بلغ العاشرة من عمرهِ دخل في المدارس الابتدائية الايطالية فتعلم فيها اللغتين الايطالية والعربية وتلقى المبادئ القويمة والمزايا الحميدة التي اهلتهُ للانخراط في سلك التجارة وهو في الثامنة عشرة من عمرهِ : فنال مقاماً رفيعاً بين اربابها لما ابداهُ من الهمة والنشاط والذكاء . وفي سنة ١٨٦٥ اقترن بالمرحومة استير كريمة المرحوم سلمون حيفص ورزقهُ الله منها اربعة ذكور واربع بنات ثم توفيت الى رحمة ربها فاقترن بعدها بالسيدة هنريت كريمة المرحوم سلمون موصيري ورزق منها ولدين وخمس بنات وقد قام بتربية اولادهِ قيام الاب الحكيم العاقل فنشأوا كلهم على اكرم المبادئ واشرف الخصال . وفي سنة ١٨٦٩ استوطن مصر وانشأ بنكاً فيها واداره بذكائه

ومقدرتهِ فنجح نجاحاً بيناً

وفي ٤ اغسطس سنة ١٨٩٨ دخل محفل بدر حلوان فنال الدرجات العالية فيهِ ومدَّ اليهِ يد المساعدة واهدى اليهِ عدة ادوات على سبيل التذكار . وهو كريمٌ جوَّادٌ كثير الشغف بالاعمال الخيرية شديد الغيرة على ابناء ملتهِ ولاسيما الفقراء منهم فقد بنى لطائفتهِ كنيسة في حلوان من مالهِ الخاص ولا يزال الناس يقبلون عليها ويصلون فيها ولهُ مآثر جليلة في عمل البر والخير تذكر لهُ بالحمد والثناء

استدراك

اكتفينا في هذه الطبعة بنشر هذه التراجم الوجيزة التي وصل الينا ملخص تواريخ اصحابها مؤملين من حضرات قراء هذا الكتاب المعذرة على هذا الاكتفاء الذي دعانا اليهِ تعذُّر الوصول الى بقية تراجم مشاهير الامة الاسرائيلية في الشرق فضلاً عن انا لو اردنا تدوين تراجم سائر الافراد المشهورين في اوربا واميركا لالتزمنا طبع مجلدات كبيرة بهذا الموضوع على اننا نرجو ممن يعثر على تراجم عائلات او افراد من هذه الامة الكريمة امتازوا بفضلهم وجليل اعمالهم في مصر والشام ان يوافينا بها لننشرها في الطبعة الثانية من هذا الكتاب ولهُ منا مزيد الشكر

الفصل الثالث عشر

في نوابغ الاسرائيليين

نشرنا في هذا الفصل ترجمة البعض من الذين عرفناهم وخبرناهم زمناً طويلاً ورأينا من براعتهم في اعمالهم وتفننهم في مصالحهم واخلاصهم في معاملتهم وشهامتهم وكرم اخلاقهم ما اوجب علينا تدوين ملخص تراجمهم لتكون مثالاً جليلاً لطلاب العلى والفخر من الشبان الاذكياء وقدوةً صالحةً لغيرهم من المجتهدين النجباء ولكي يتحفنا قراء هذا الكتاب بتراجم غيرهم من النوابغ الكرام الذين لم تتيسر لنا معرفتهم لنضيفها الى الطبعة الثانية ان شاء الله

فيكتور هراري باشا

هو صاحب السعادة والوجاهة ابن المرحوم روفائيل هراري وُلد في مصر سنة ١٨٥٧ ونما على فضائل التربية الجيدة ولما بلغ العاشرة من عمرهِ أُرسل الى اوربا لتلقي العلوم في مدارسها فلبث في مدارس فرنسا وانكلترا ثماني سنوات نال في اثنائها نصيباً وافراً

من الآداب والمعارف المهيئة للنجاح وحظاً عظيماً من المبادئ المقوّية للهمم والعزائم ثم رجع الى مصر ولبث فيها عدة سنوات يزاول شؤون الحياة ويمارس فنون الحنكة والاختبار حتى اذا تجلّت عليهِ امارات الفضل والكفاءة دخل في خدمة الحكومة المصرية في اول شهر سبتمبر سنة ١٨٧٦ فاظهر نشاطاً فائقاً واجتهاداً نادراً وفي ٢٥ يناير سنة ١٨٨٠ عين رئيساً لقلم الموازين في نظارة المالية وفي ١٨ فبراير سنة ١٨٨٢ عين ناظراً لقلم الحسابات بالنظارة نفسها وفي سنة ١٨٨٣ انعم عليهِ المغفور لهُ توفيق باشا بالرتبة الثانية جزاء اخلاصهِ وعلوّ همتهِ في خدمة الحكومة وفي ١٨ مايو سنة ١٨٨٤ عين ناظراً لادارة الخزينة بالمالية وفي السنة نفسها انتدب للذهاب مع بلوم باشا بصفة سكرتير لحضور المؤتمر المالي في لندن فمكث هناك الى شهر اغسطس من تلك السنة ثم عاد الى مصر وفي ٢٣ اغسطس سنة ١٨٩٠ عين مديراً لعموم الحسابات بالمالية بالتوكيل عن مديرها

وقد انتدبتهُ الحكومة المصرية لاصلاح ميزانية الاوقاف فاظهر لدى هذه المهمة مقدرة الرجال الاكفاء وحاز شهرة بعيدة بين اقرانهِ ومعارفهِ ومقاماً رفيعاً في عيون عظماء الموظفين واكابرهم فأجلُّوا قدرهُ ورفعوا مكانتهُ . وخدم الاوقاف اجل خدمة كما

يعلم الواقفون على سرّ اعماله

وفي ١٠ نوفمبر سنة ١٨٩٠ عين مراقباً للحسابات العمومية في الحكومة وفي ١١ مايو سنة ١٨٩٢ نال الوسام المجيدي الثاني · وفي اول يناير سنة ١٨٩٩ عين مديرًا لعموم الحسابات المصرية فقام بهذه الوظيفة المهمة قيام الرجل الخبير المحنك وفي يناير سنة ١٩٠١ نال رتبة الميرميران الرفيعة وفي ٣٠ يناير سنة ١٩٠٤ نال العثماني الثاني . وفي صدرهِ الرحب من سامي الرتب والنياشين مثل ما في نفسهِ الكبيرة من سامي الهمم والمدارك

وهو الآن مندوب الحكومة في البنك الاهلي ومندوبها ايضاً في البنك الزراعي وعضو في المجلس الاعلى للمجالس البلدية وعضو في المجلس الاعلى المختص بالسكك الحديدية الضيقة ومندوب الحكومة لاصلاح مالية ديوان الاوقاف من سنة ١٨٩٧ ويدير غير ذلك من الاعمال المفيدة العائدة بالخير والنفع على البلاد وهو يحسن اللغات العربية والفرنسوية والانكليزية والايطالية

الخواجه افرايم عداه

الخواجه افرايم عداه ابن المرحوم اسحق عداه وُلد في مصر في سنة ١٨٥٨ ولما ترعرع أُدخل في مدرسة الفرير فتعلم فيها اللغات العربية والفرنسوية والايطالية . وكانت مخائل النجابة والذكاء ظاهرة عليهِ من صغرهِ حتى كان الذين يترددون على منزلهم من الاقارب والاصدقاء يتوسمون لهُ مستقبلاً حميدًا وطالعًا سعيدًا لما كان يزدان بهِ من رقة الاخلاق واللطف والادب

ولبث في المدارس يتلقى العلوم والمعارف لغاية سنة ١٨٧٤ ثم خرج منها لمزاولة الاعمال والتمرُّن على اشغال الحياة وشؤُونها المختلفة حتى اذا كانت سنة ١٨٧٧ دخل في وظائف الحكومة المصرية ففي سنة ١٨٧٨ عُيّن كاتبًا في قلم مراقبة الايرادات بنظارة المالية فاظهر من البراعة والنشاط ما دعى الى ترقيتهِ فرُقي في اواخر سنة ١٨٧٩ الى وظيفة سكرتيرية قلم الموازين فضبط اشغالها وحساباتها واحكم العمل فيها . وفي اوائل سنة ١٨٨٢ عُين رئيسًا لقلم الموازين وأُضيف اليهِ ايضًا ادارة قلم المستخدمين ثم أُحيلت عليهِ ايضًا في السنة نفسها سكرتيرية اللجنة المالية فاظهر في ادارة هذه الاعمال مقدرة فائقة وجدارة عظيمة واستعدادًا كافيًا فرُقي في

سنة ١٨٨٣ الى وظيفة وكيل ادارة الموازين والمستخدمين وكان رؤَساؤُهُ يعجبون بنباهتهِ وبراعتهِ ويثنون على ذكائهِ ونشاطهِ ويتوسمون لهُ مستقبلاً باهراً . وقد ظلَّ في خدمة الحكومة الى سنة ١٨٨٦ . ولما رأَى حاسدوهُ والذين يزاحمونهُ على الوظائف انهُ اذا بقي في خدمة الحكومة يكون سبباً لحرمانهم من الترقي والنجاح لاسيما وانهُ نال الرتبة الثالثة من الحضرة الخديوية واحرز مقاماً رفيعاً في عيون أُولي الشأن عند ما رأَوا ذلك اخذوا يختلقون اسباباً للشر ادَّت الى انفصالهِ عن خدمة الحكومة الاَّ ان عمل اولئك الحاسدين كان سبباً في خيرهِ وسبيلاً لتقدمهِ ماليًّا واستقلالهِ في اعمالهِ وغير ذلك مما يغنيهِ عن مزاحمة الوظائف الاميرية وقد أَنف من العودة الى خدمة الحكومة بعد ان رأَى ما رأَى من التعصب عليهِ ولم يستخدم اقلَّ واسطة للعودة اليها مع شدة الحاح الناس وطلبهم منهُ التوسط لاولياء الامر بشأْنهِ

وظلَّ بعد ذلك سنتين كاملتين يتعاطى اشغالاً خصوصية بمعزلٍ عن علاقات الناس المتعبة

وفي ١٠ ديسمبر سنة ١٨٨٨ عُين رئيساً لحسابات سكة حديد حلوان فبرع في تنظيمها وضبطها وفي سنة ١٨٩٠ أُحيلت عليهِ ادارة اعمال السكك الحديدية في دمنهور وقنا واصوان كما

ترى ذلك في ترجمة جناب الخواجه فيلكس سوارس

وفي ١٩ ابريل سنة ١٨٩١ اقترن بالسيدة استير كريمة جناب الوجيه الخواجه زكيتو جاليكو البنكيير المشهور فرزق منها ولدان ذكران وُلد الاول في ٢٦ فبراير سنة ١٨٩٢ وسماهُ ادمون والثاني في ٣ ديسمبر سنة ١٨٩٨ ودعاهُ فرنان

وفي سنة ١٨٩٣ عيّن رئيساً لمكتب عموم شركة السكر. وفي شهر مايو من السنة نفسها عيّن مديرًا لمصلحة سكة حديد حلوان. وفي سنة ١٨٩٦ عُهدت اليهِ ادارة اعمال الشركة العقارية المصرية وغيرها من الاعمال فاظهر في كل ذلك براعة نادرة المثال وهو لا يزال الى الآن قائمًا بشؤون اشغالهِ بامانة واجتهاد لا مزيد عليها حتى ليعجب الذين يعرفونهُ كيف يستطيع ضبط الحسابات وتنظيمها مع وفرة الاشغال التي يديرها

وعلى الجملة فهو نابغةٌ بين اقرانهِ محبوبٌ من قومهِ ومن رجال الطبقة الاولى في فن الحساب وادارة الاعمال وعلى جانب عظيم من الحكمة والتدبير وكرم الاخلاق فلا تعرض عليهِ مشكلة الاّ ويصرفها بالمعروف والحسنى ولا يألو جهدًا في انجاح الاعمال المنوطة بهِ

مرك حيم يالوبس بك

هو السري الوجيه والشهم الفاضل ابن المرحوم حيم يالوبس وُلد في مصر في ٥ مارس سنة ١٨٦٢ وكان والدهُ رحمهُ الله وجيهاً في قومهِ حكيماً في عملهِ وعلمهِ وكان من رأيهِ ان التربية الصحيحة هي الاساس الوحيد لسعادة الانسان في هذه الدنيا ولذلك اعتنى بتربية ولدهِ وتهذيب اخلاقهِ اعتناءً فائقاً . ولما بلغ السابعة من عمرهِ ادخلهُ في احدى مدارس مصر المشهورة ليغتذي بألبان المعارف والتهذيب فمكث فيها خمس سنوات اظهر في خلالها من الذكاء والنجابة وتوقد الذهن ما جعلهُ قدوةً لاقرانهِ التلامذة وموضوع اعجاب المعلمين والاساتذة وفي سنة ١٨٧٥ ارسلهُ والدهُ الى باريس لاتمام علومهِ في اشهر مدارسها فلبث هناك خمس سنوات حاز فيها قصب السبق على اقرانهِ بالذكاء والنباهة والاجتهاد ونال شهادة البكالورية في العلوم والفنون من مدرسة باريس الجامعة في سنة ١٨٧٩ وعاد في السنة نفسها الى القطر المصري مزوَّداً بالعلم والمعرفة ومملوءًا همة ونشاطاً وحائزاً على جانب عظيم من دماثة الاخلاق ورفيع المبادئ والخصال ومن ثمَّ اخذ في طريق المجد والفخار وجعل يجني ثمار اجتهادهِ ونشاطهِ فانخرط في خدمة الحكومة

المصرية وعُيّن كاتباً افرنجياً في مصلحة قومسيون الاراضي الاميرية في ٢٩ يوليو سنة ١٨٨٠ فقام بهذه الوظيفة قيام الشاب المجتهد الذي ينظر الى المستقبل نظر الحكيم الخبير المحنك وكانت افكارهُ السامية وآمالهُ البعيدة تنهض بهِ الى السعي في مقام ارفع من هذه الوظيفة وكانت نفسهُ الكبيرة تحدثهُ دائماً بانها لم تخلق لمثلهِ ولم يخلق هو لمثلها فاستقال في اوائل سنة ١٨٨٤ من منصبهِ وعُيّن في نظارة المالية بوظيفة ارقى من الاولى وارفع منزلةً فاظهر فيها مقدرةً على الاعمال الكبيرة ونشاطاً نادر المثال مما دعى اولي الشان الى ترقيتهِ وتنشيطهِ . وفي سنة ١٨٨٧ عُيّن وكيلاً لرئيس قلم المحاسبة في نظارة الحربية فكانت لهُ الايادي البيضاء في ترتيب حسابات تلك النظارة وتنسيقها على احسن نمط وارقى نظام وفي شهر يناير سنة ١٨٨٧ انعم عليهِ المغفور لهُ توفيق باشا خديوي مصر بالنشان العثماني الرابع وفي ١٨ يوليو سنة ١٨٩٠ انعم عليهِ ايضاً بالرتبة الثالثة مكافأةً لهُ على همتهِ ونشاطهِ وحسن مباديهِ وفي سنة ١٨٩٥ عُيّن رئيساً لقلم السكرتارية المالية بنظارة الحربية وفي ٢٢ ابريل من السنة نفسها انعم عليهِ بالرتبة الثانية الرفيعة الشان وفي سنة ١٨٩٧ عُيّن وكيلاً لادارة السكرتارية المذكورة وفي سنة ١٩٠١ انتخب ناظراً لها نظراً لما اتاهُ من الاقتدار على جليل الاعمال المالية فيما

يختص بحسابات الجيش ومصالح السودان المختلفة قبل ان تستقل بذاتها وفي شهر يناير من هذه السنة نفسها انعم عليهِ الجناب العالي الخديوي بالنشان المجيدي من الدرجة الثالثة

وقد اشتهر صاحب الترجمة بكرم اخلاقهِ ولين عريكتهِ وعلو همتهِ وحسن معاملتهِ لمرؤوسيهِ الذين يحبونهُ ويحترمونهُ نظرًا لشفقتهِ واخلاصهِ كأَنهُ ابٌ شفوق عليهم غيور على نجاحهم وترقيتهم

وهو يحسن القراءة والكتابة جيدًا في اللغات العربية والفرنسوية والانكليزية والايطالية

وقد كان زواجهُ في ٨ دسمبر سنة ١٨٩١ ورزقهُ الله ولدًا في ٢١ مايو سنة ١٨٩٣ سماهُ فيكتور وولدًا آخر في ١٢ مايو سنة ١٨٩٤ دعاهُ اندريا وثالثًا في ٢٠ يوليو سنة ١٨٩٨ سماهُ جرمن ووُلد لهُ ابنةٌ في ٢ مايو سنة ١٩٠٢ دعاها لوسين وقد اتبع خطوات المرحوم والدهِ في تربية اولادهِ التربية الصالحة وتهذيب طباعهم على المبادىء القويمة

التفات

وقد اشتهر ما بين نوابغ الاسرائيليين كثيرون لم تساعدنا الاحوال على نشر شيءٍ من تراجمهم ولذلك نشير الى بعضهم مثل

حضرة الخواجه ايلي كوريل في بنك الانجلو والخواجه بخور نجار في البنك الاهلي والموسيو شبتاي والموسيو لوساتو في البنك المصري والموسيو كاتسينيو في البنك العثماني واصحاب المحلات الشهيرة والاعيان كالخواجات افرايم ليفي وبلاتشي ومراتشي وروصانو وفيكتور عمار والكسندر داليكو واخوان زجدون ونجار وعفيف وموسى ونسيم جرين واخوان سبيعو واخوان اشير وحضرة الدكتور شمعون مويال وقرينته الفاضلة السيدة استير وغيرهم . وعسى ان نتوفق في المستقبل الى الكتابة عنهم بما يخلد لهم الذكر الجميل ويجعل الآخرين غيرة للاقتداء باعمالهم

الفصل الرابع عشر

في الامة الاسرائيلية

مرَّ على الامة الاسرائيلية ادهارٌ طويلة وهي تضرب في انحاء الارض هائمة على وجهها لا يستقرُّ لها قرار ولا يهدأُ لها بالٌ من شدة ما انتابها من نوازل الاقدار التي هدمت اركان عزها وقوَّضت دعائم مجدها وذهبت بدولتها الرفيعة الشأْن حتى تفرَّق شمل اليهود في جميع الامصار . ولكنها كانت مع كل ذلك على رغم الدهر دائبةً في لمّ شعثها وجمع كلمتها وضمّ جامعتها تدافع عن كيانها بالصبر وثبات الجأْش والرضوخ لاحكام الاقدار فلا تقعد عن عملٍ يلوح لها فيهِ بارقة املٍ للوصول الى غايتها الشريفة ولا تأْلو جهدًا في كل ما يأُول الى خيرها ونفعها شأْن الامم الحية النامية التي لا تملُّ من مقاومة العقبات وازالة العثرات ولا تكلُّ من مقارعة الحوادث والنكبات فهي نابغة سائر الامم على الاطلاق بما خصها الله من الذكاء وصدق العزيمة الذي حفظت بهِ حياتها

كل هذه الادهار الطويلة وهي لا جامعة لها تجمعها ولا وطن لها يضمها ولا راية تظللها ولا ملك يدير شؤونها ولا دولة تدافع عن حقوقها ولا حكومة تعطف عليها ولا شعب يميل الى مؤاساتها بل كانت منفردةً في جهادها وحيدةً في سعيها واجتهادها . وكانت الامم تمقتها وتخفض من شأنها وتغضُّ من كرامتها وتنظر اليها بعين الازدراء وتعامل افرادها معاملة الاذلاَّء وهي لا ذنب لها سوى ما اشتهر عنها من الذكاء النادر المثال والدهاء البعيد المنال وهما الخلتان العظيمتان اللتان عُرِفت بهما هذه الامة الكريمة واستطاعت ان تحافظ بهما على وجودها كل هذه المدة الطويلة

وكأنَّ الامم في العصور الماضية اكبرت ذكاء هذه الامة وهالها شدة محبة افرادها بعضهم لبعض واقتدارها على انتهاز الفرص المقوّية لحياتها على ما هي عليهِ من الضعف وتشتيت الشمل فانقلبت عليها بالحسد والغيرة وجعلت ترميها بالتهم الشنيعة وتعاملها بالاضطهاد والعنف وتشيّع عنها الاخبار المهيجة للخواطر والافكار وتلفّق الاشاعات والاكاذيب والمفتريات وكان الجهل ضاربًا اطنابهُ في تلك العصور المظلمة فكان الناس يتلقّون تلك الاشاعات وينزلونها منازل الحقائق الراهنة ويتحدثون بها في الاندية والمجتمعات ويبالغون في تميق احاديثهم عنها ويضيفون اليها

ما شاؤوا من الاكاذيب والمفتريات ومن ثمَّ اخذت تلك الاوهام ترسخ في العقول وتوغر الصدور حتى قامت قيامة الدنيا على هذه الامة واخذ الجهلاء الاغبياء يصبُّون عليها من صواعق غضبهم وحقدهم وانتقامهم ما لو صُبَّ على جبال راسخة لدكها وغادرها هباءً منثورًا ولكنها كانت تتلقى كل ذلك بالصبر وتتقيهِ بالمهاجرة والرحيل من ارض الى اخرى متخذة من ذكائها نبراساً ينير ظلمات حياتها المدلهمة

ترحَّلْ عن بلادٍ فيها ضيمٌ   وخلِ الدار تنعى من بناها
فانك واجدٌ ارضاً بارضٍ   ونفسك لم تجد نفساً سواها

فمن تلك الاشاعات والمفتريات تهمةٌ وقعت على هذه الامة ظلماً وعدواناً واوغرت صدور جهلاء الامم عليها وزادت بغضهم لها وكراهتهم بها وهي ان اليهود يذبحون اطفال النصارى ويستنزفون دماءهم ويمزجونهُ بالخمير . ولعلَّ هذه التهمة الفظيعة كانت السبب الاقوى في ما انتابهم من انواع المظالم والمغارم وقد يكفي لنفي هذه التهمة أن الامة الاسرائيلية اشتهرت شهرة عظيمة بالمحافظة على معتقداتها الدينية واتباع ما جاء في كتبها الالهية من تحريم الدم وغيرهِ من المحرمات كما علمت من الفصول المتقدمة في هذا الكتاب وليس تحت السماء شعبٌ

حافظ على قوانين دينهِ مثل هذا الشعب فكيف يعقل انهُ يقدم على اهراق الدماء البريئة ولهُ من زواجر كتبهِ المنزلة ما يمنعهُ عن ذلك وينذرهُ بسوء المصير · ولكن ابى الدهر الاَّ ان تتسلَّط الاوهام على العقول الضعيفة حتى في ابَّان تلقّيها للحقائق فانك لا تجد عاقلاً يتجاسر على اثبات هذه التهمة الفظيعة التي طواها التمدن في سجل الخرافات القديمة ونادى العلم ببطلانها مرارًا عديدة

هذا ولم يمرَّ بالامة الاسرائيلية زمنٌ كثر فيهِ انصارها وظهر مجدها وفخارها مثل هذا الزمن المستنير بانوار العلم والمعرفة والمستضيء بانوار التمدن والحضارة فان العالم المتمدن باسرهِ يميل اليها ويرفع قدرها ويخطب ودها ويدافع عنها وذلك اعظم فوز احرزتهُ هذه الامة بعد جهادها الطويل وافضل نعمة نالتها بعد الصبر الجميل بل هو اعظم برهان واقوى حجة على براءتها من التهم التي نُسبت اليها قديمًا وحديثًا كما في حوادث الجزائر وكتشنيف وغيرها

ولعلَّ الشرقيين يجهلون ان للاسرائيليين في اوربا واميركا حظًّا وافرًا من العلم والمعرفة وانهم منذ ارتفع الظلم عنهم واعترفت الامم بحقوقهم في المساواة اخذوا يسابقون مواطنيهم في حلبة

الحضارة فلهم في المانيا وهولندا وانكلترا الساسة والعلماء والموسيقيون والفلاسفة والمحامون والكتّاب والخطباء والممثلون والمعلمون والاساتذة هذا فضلاً عن مقامهم المالي المشهور الذي وضعهم في منزلة رفيعة وكيف لا يكون ذلك ولهم بيت روتشيلد وكاسل وغيرها رجالٌ يعدّون في مقدمة ماليي العالم فضلاً عن انهم في مقدمة مثريه

ولو نال الاسرائيليون حقهم من المساواة منذ زمان طويل لسبقوا سائر الملل في فروع العلم والتجارة والصناعة وهذا هو الذي حرّك عليهم جيرانهم منذ عهد طويل فاخذوا ينتحلون الاسباب الوهمية لقطع دابرهم والتخلص من مناظرتهم للاستئثار بموارد الغنى التي كانوا يردونها

ولا نرى مسوغاً للناس اضطهاد اليهود لذكائهم ومقدرتهم في الاعمال كما اننا لا نرى وجهاً لقبول هذه الخرافات التي يشيعها الجهلاء وذوو المآرب عنهم ولا نعلم ان تهمةً واحدةً مما اتهموا بهِ كانت صحيحة او ان التحقيق كشف عن جريمة لهم ولا عبرة بما يقال عنهم انهم يخرسون الالسنة بنضارهم اذ لا يصدق ان ليس بين جميع قضاة الارض رجل عادل يترفع عن الرشوة ويأبى ان يبيع ذمتهُ بمالٍ كثير او قليل

والخلاصة ان اليهود كغيرهم من البشر في عواطفهم واميالهم واخلاقهم فيهم الصالح والطالح والطيب والخبيث فمن الظلم ان يسري حكم واحد على الامة باسرها اعتماداً على ما يرى من بعض افرادها ولا يستطيع العاقل المنصف الاَّ الاعجاب باجتهاد هذه الامة وحكمتها وصبرها وما في قلوب كبارها من عواطف الحنان والشفقة والرحمة فيبذلون اموالهم في أسعاف البائسين والمساكين من ابناء ملتهم وغيرها كما يرى في مصر وفي سائر انحاء العالم

وعندنا ان اليهود لا ينالون حقهم بين الامم الاَّ متى استنارت البصائر بنور العلم الحقيقي وعلم الناس ان الرجل يقاس باخلاقهِ وافعالهِ لا بمذهبهِ ومعتقدهِ وان الامة تتألف من الافراد وان لكل امة دليلاً يرشدنا الى طبائعها واخلاقها واحوالها ومن العبث اتهام امة باسرها تهماً فظيعة لا اصل لها او نسبة امور اليها تكذبها عادات تلك الامة واخلاقها وتاريخها

تقاريظ الكتاب

لم يدر في خلدنا عند ما انتهينا من طبع هذا الكتاب انهُ يلقى من سراة الامة الاسرائيلية ووجهائها استحساناً عظيماً واقبالاً لا مثيل لهُ يدفعاننا الى المجاهرة بالثناء على فضلهم ومكارم اخلاقهم ولم نكن نتوقع ان سيادة الحبر الجليل حاخام باشي الطائفة الاسرائيلية في مصر سيكون في طليعة المؤيدين لمشروعنا بما اظهرهُ لنا من دلائل الترغيب والاستحسان فانهُ اطال الله بقاءهُ تكرم علينا بالكتاب الآتي باللغة العبرية فرأينا ان نترجمهُ ونزيّن بهِ صفحات الكتاب اقراراً بفضلهِ واجلالاً لعظيم قدرهِ قال

طالعتُ بكل سرور التأليف الجديد "تاريخ الامَّة الاسرائيليَّة" لسعادة مؤلفهِ الفاضل شاهين بك مكاريوس وتأمَّلتُ حسن ترتيبهِ وتنسيقهِ وإحكام ضبطهِ في ايراد التواريخ والاخبار فأُعجبتُ بدقَّة روايتهِ وموافقتهِ لاصحّ المؤلَّفات التي وضعها اشهر مؤرّخي الامَّة الاسرائيليَّة . فبالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن ابناء طائفتي اقدّم الى مؤلّفهِ الفاضل عظيم شكري وامتناني على مشروعهِ العظيم الذي عانى الصعاب الكثيرة في سبيل اتمامهِ

وابرازهِ الى الامَّة تحفةً نفيسةً وذخرًا جميلاً . اسأَل الله ان يمدَّهُ ببركاتهِ السموية لتنوير الاذهان بالعلم والمعرفة . ولي الثقة التامة ان الجميع يقبلون على مطالعة هذا السفر المفيد ويكونون عضدًا لمؤَلفهِ الفاضل لابراز غيرهِ من جواهر مؤَلفاتهِ النفيسة العائدة بالنفع العظيم على ابناء الطائفة عمومًا ومحبي الفضيلة خصوصًا

واسأَل الله في الختام ان يكلل عملهُ المبرور بالنجاح الذي يستحقهُ كما يشتهي قلبهُ وقلب كل محب للعلم والادب

حاخام باشي مصر

روفائيل هارون بن شمعون

وهذا ما ورد الينا من حضرة صديقنا الاستاذ الفاضل الحاخام مسعود حاي بن شمعون وكيل حاخامخانة مصر

جناب الصديق الحميم سعادتلو افندم شاهين بك مكاريوس الافخم

بعد التحية والاحترام . . . ان كتابي هذا ينوب عني بالاعتراف بفضلكم العظيم لاعتنائكم بتأْليف كتاب (تاريخ الامة الاسرائيلية) فقد تصفحتُ بامعانٍ زائد كل مشتملاتهِ وقرأْتُ صفحاتهِ حرفًا حرفًا فوجدتهُ كتابًا جامعًا لاعظم الفرائد والفوائد

وسفرًا شاملاً لاشتات الاخبار والتواريخ التي تقلَّبت عليها الامَّة الاسرائيليَّة من اقدم عصورها الى هذا اليوم . فهو حريٌّ بان يطالعهُ كل فردٍ من افراد الامَّة لما فيهِ من الحقائق الراهنة المدوَّنة على نسقٍ بديعٍ يروق الخاصَّة والعامَّة على السواء ويسهّل على الاحداث مطالعتهُ وادراك معانيهِ

ولقد قارنتهُ باعظم كتب المؤرّخين من ابناء الامَّة الاسرائيليَّة الذين سأُوضح اسماءهم فظهر لي باجلى بيان ان كتابكم اعظم فائدةً واعذب موردًا واقرب منالاً لاحرازهِ على مزيَّة الضبط والتدقيق في تنسيق الاخبار الصحيحة وتنظيم الحقائق التاريخيَّة فضلاً عن انهُ جامع لفرائد اولئك المؤرّخين وشامل لفوائد عظيمة وشوارد متفرّقة لم تدوَّن في صحائف من تقدمكم من المؤرّخين الصادقين

اما الكتب التي راجعتُ كتابكم عليها فهي اولاً (اليوسيفون) وثانيًا (هادوروت) وثالثًا (صباح دافيد) ورابعًا (تواريخ المؤرخ الشهير كلمن شولمن) وهم دبري يمي عولام والمحاموت هايهوديم وقدمونيوت هايهوديم ودبري يمي يسرائيل وغيرها من اشهر كتب مؤرّخي الامة . وعندي ان كتابكم هذا سيأْتي بفوائد عظيمة للامة عمومًا وللاحداث منها خصوصًا اذ يمكّنهم من مطالعة تاريخ

امتهم باللغة العربية على اقرب منالٍ واهون سبيلٍ ولا عجب بعد ذلك اذا رأيتم الاقبال عليهِ عظيماً

هذا وارجو في الختام قبول تشكراتي القلبية واني اسأل الله ان يبارك اعمالكم ويعضد مساعيكم الحميدة ويرينا من ثمار اياديكم البيضاء في تنوير الاذهان والانتصار للحقيقة في كتبكم التي عزمتم على تأليفها وطبعها ما يؤكد للامة حسن خداماتكم المشهورة واطال الله بقاءكم صديقكم

مسعود حاي بن شمعون

وقد اكتفينا بهذين التقريظين مع الشكر للذين اتحفونا بغيرهما وربما نعود فننشر بقية التقاريظ في وقتٍ آخر

فهرست الكتاب

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر